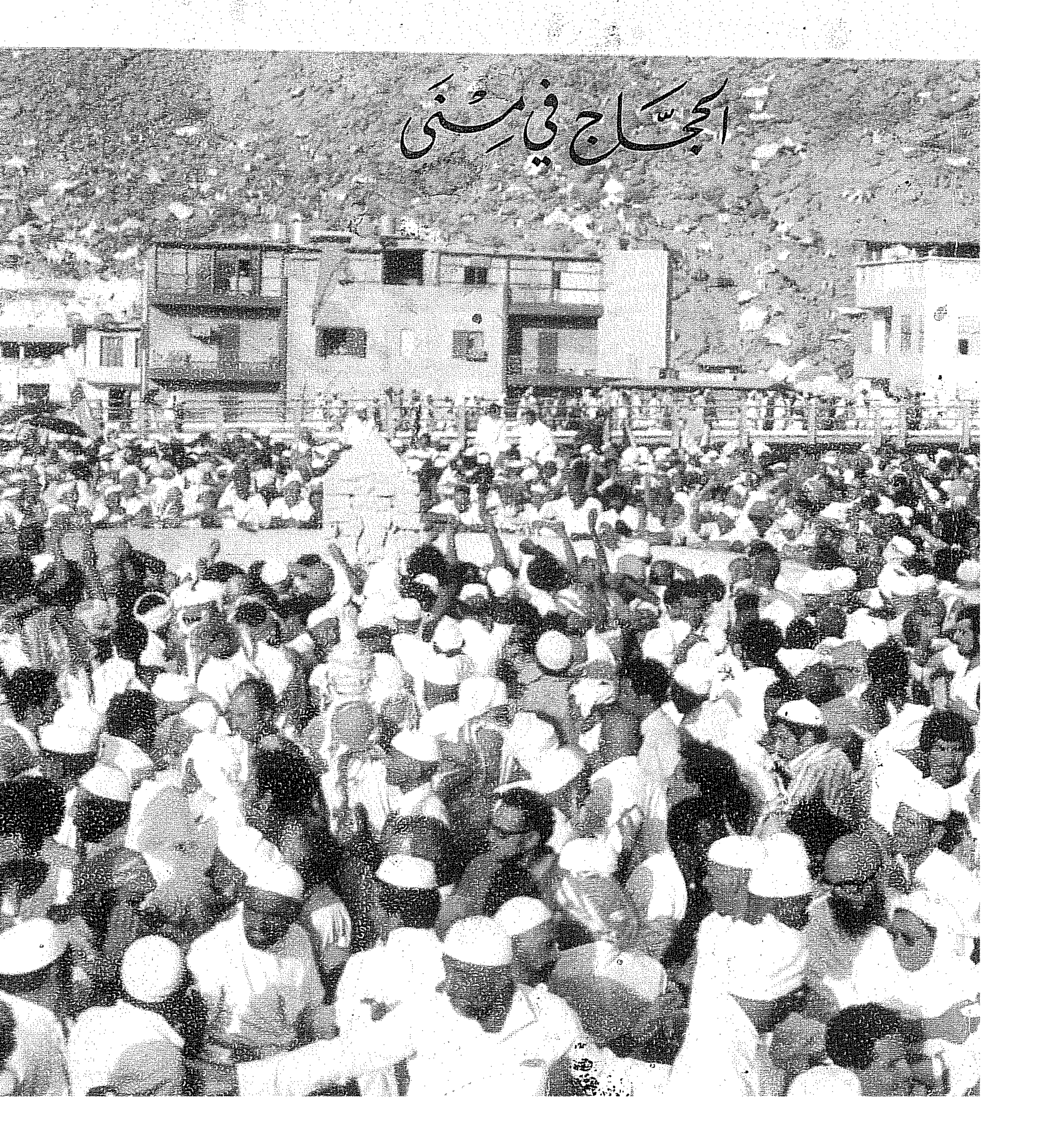
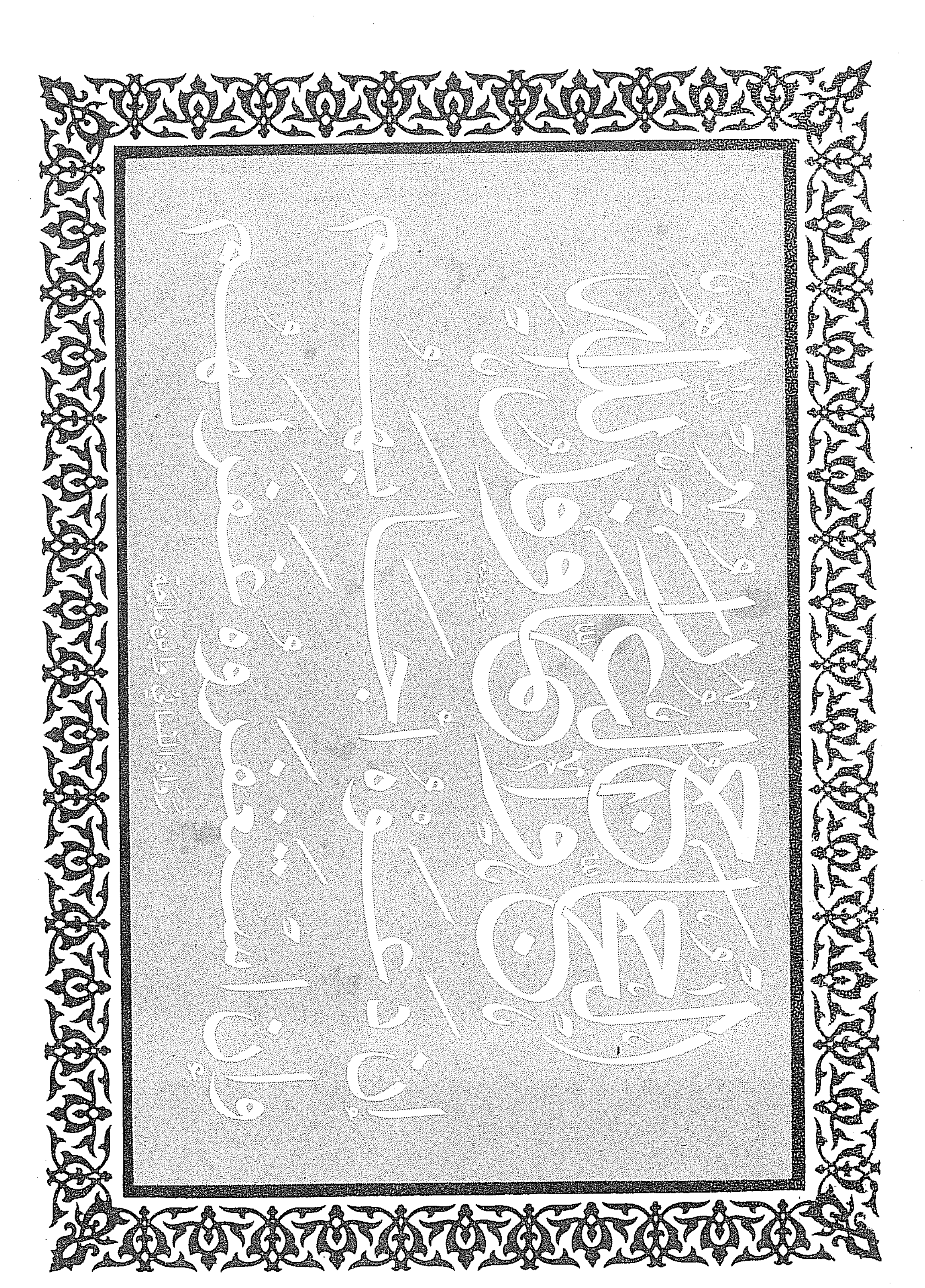
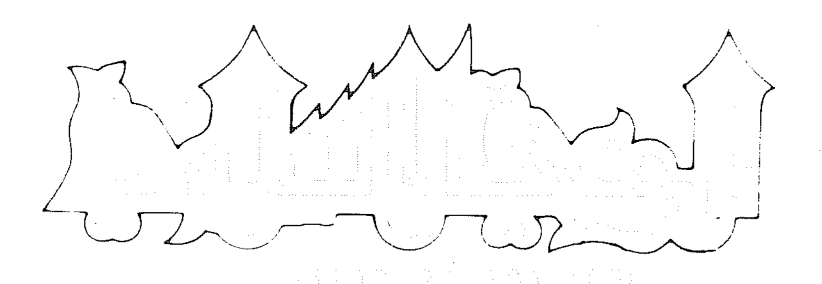
الوعي الإسلامي

هديتك
مع العـــدد
مجلة
براعم الايمان







العدد ٢٦٣ ـ ذو القعدة ١٤٠٦هـ ـ يوليو ١٩٨٦م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

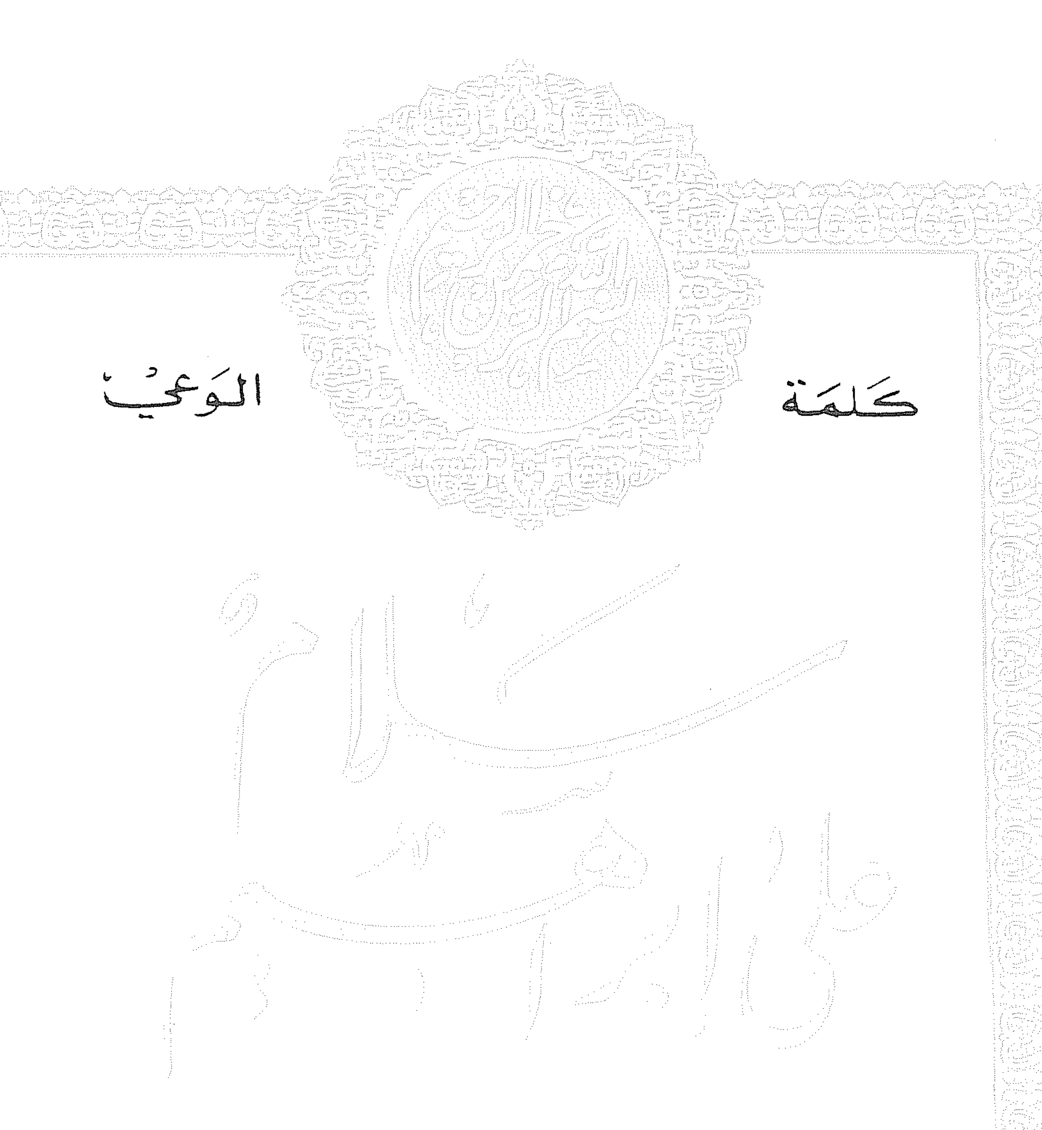
بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة .

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت
الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

البلد	السعر
الكويت	١٥٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٢٠٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	درهمان
البحرين	١٥٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا
الاردن	١٥٠ فلسا
سوريا	ليرتان
لبنان	ليرتان
تونس	٢٥٠ مليم
الجزائر	ديناران
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	ريالان
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٣ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٥٠ فلسا كويتيا



تتميز مناسك الحج باستحضار ذكريات خلدها التاريخ وباركها الاسلام ، في رحابها يتنبه الفكر وتهفو القلوب إلى ماتوحي به من أحداث مليئة بالعظات والعبر ، كأنها مرآة صادقة ، تنظر فيها الأجيال المتعاقبة صور الماضي المشرق بالرضا والحق والايمان ، ليأخذوا أنفسهم بما توحيه من دروس المجد ، وما تمليه من مواقف إيمانية يصلح بها أمر الآخرين كما صلح بها أمر الأولين ، هذه المناسك توحي بأن دين الله في الأولين هو دينه في الآخرين ، وتعلن شرف انتساب المسلمين إلى أبيهم إبراهيم هو الذي سماهم من قبل ، قال تعالى (**وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما**

جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ...) ٧٨ الحج

وهو الذي دعا ربه أن يبعث فيهم رسولا من أنفسهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . وقد حكى القرآن الكريم ذلك ، يقول الله تعالى (**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**) البقرة / ١٢٩ . وهو الذي رفع قواعد البيت العتيق ومعه ولده اسماعيل ، وظل البيت المحرم مطلع فجر الهداية ورمز التضحية وباعث الايمان ، مهما تطاولت القرون وامتد الزمان ، وسيبقى بيت الرجاء والأمل ، في جنباته الطهر والنقاء ، وفي رحابه تتنزل الرحمات من رب لاتتوقف عطاياه ، ولا تسد أبوابه ، ومن دخله كان آمنا ، وهو الذي أذن في الناس بالحج فصحا الكون ، ولبى الوجود هذا النداء وصغت له قلوب الأجيال عبر الزمان واستجابت له النطف في الأصلاب والأجنة في الأرحام ، ونادته السماء عليك الأذان وعلينا البلاغ ! إنه نبي الله وخليله ، إنه أبوالانبياء الذي وفى وأعلن كلمة التوحيد بعزيمة صادقة ، وحجة دامغة ، وبيان أخاذ ، فأفحم دعاة الشرك وحطم آلهة الكفر ، وبنى على أنقاضها صرح الهداية والايمان ، وذلك بعد جهاد مرير وصراع طويل ، ما وهن فيه وما ضعف وما استكان ، وماكانت تزيده المحن إلا ارتباطا بالله وإيمانا به ، وتسليما لأمره ، فأعزه الله ونصره وأنجاه من نار موقدة ، وفي ذلك يقول الحق سبحانه (**قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين**) من ٦٨ إلى ٧٠ سورة الأنبياء . نبي الله وخليله الذي رفع بأمرالله قواعد البيت ، يشاء الله له أن يقيم صرح الايمان وأن يجسد معنى التضحية والفداء ، بصورة عز منالها في أي مكان من الأرض ، لأنها صورة صنعتها السماء ، هيأت لها ابراهيم وهاجر واسماعيل ، أما إبراهيم عليه السلام فقد تحدثت عنه الآيات في خمس وعشرين سورة من سور القرآن ، وأما هاجر

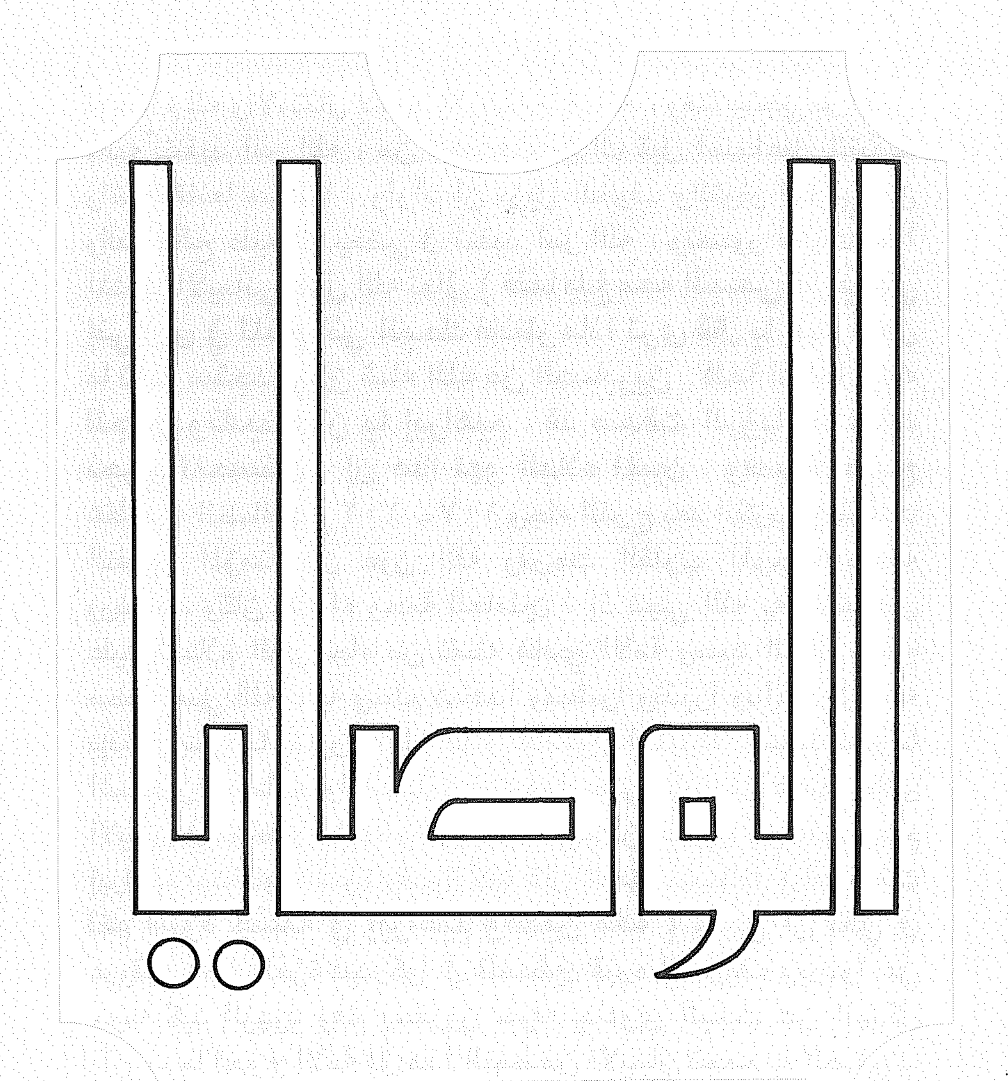
فقد سطرت على جبين التاريخ حروف الايمان ، إذ جاء بها زوجها في مكان قفر لاأنيس به ولا جليس ، ولا ماء ولا ظل ، لا يغري بالاقامة حيث انعدمت فيه مقومات الحياة ، وتفاجأ هاجر بتركها مع طفلها الرضيع ، ويعود خليل الله قافلا ، ولما نادته كيف تتركنا في هذا المكان الموحش ؟ لم تسمع منه جوابا يرد لهفتها ، بل يلوذ الأب الحاني والزوج الوفي بالصمت الرهيب ، فأيقنت أن ذلك أمر لا اختيار له فيه ، فقالت آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم ، فاطمأنت ورضيت بحكم الله وترجمت هذا الرضا بقولها إنه لا يضيعنا ! ولما اشتد العطش بولدها مناط أملها وقرة عينها ، جدت في البحث له عن شربة ماء لتنقذ بها حياة طفلها الذي أرهقه الظمأ ، فأخذت تهرول وسط الجبال وبطون الوادي السحيق ، في صعود وانحدار ، أخذت تتردد بين الصفا والمروة ، وأسلمت نفسها وولدها لله ، ولم تفقد الأمل لحظة في رحمته ، فأسعفتها عنايته وفجر ماء زمزم ينساب عذبا دافقا ، ونبعا ميمونا مباركا من عهد هاجر إلى يوم الدين ، ومن هنا كان السعي بين الصفا والمروة من شعائر الله .

وكان من بناة الصرح الايماني اسماعيل . جاء إلى الدنيا بعد شوق ورجاء وتضرع ودعاء ، هتف به قلب ابراهيم عليه السلام مناديا ـ رب هب لي من الصالحين ـ وكان خليل الله في شوق إلى ذرية صالحة ترث منه الحكمة والكتاب ، ليسود دين الله الأرض وتزول معاقل الشرك والوثنية ، لم ييأس لحظة من رحمة الله ، رغم هرمه وكبر سنه وزوجته سارة عجوز عقيم و يهيء الله الأسباب وتهبه جاريتها هاجر فتلد اسماعيل يرضع لبان الايمان ويشب في بيت النبوة وفي رحاب البيت العتيق ، ويشاء الله أن يمر اسماعيل عليه السلام بامتحان رهيب ، حين رأى ابراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبحه، أي بلاء هذا ؟ وأي إنسان يمكن أن يتحمل هذا الخطب الجسيم ؟ ولم يطل الصراع النفسي داخل ابراهيم كنبي مرسل وكوالد إنسان ، مادامت رؤيا الأنبياء حق وأنها وحي من الله واجب التنفيذ ، وهنا تظهر قوة الايمان وتتحقق الحكمة من الرؤيا ، وهي

الاسلام لله والامتثال لأمره والرضا بقضائه ، وهنا يتجلى بر الابن بأبيه لتنفيذ أمر الله ، من أجل هذا وذاك قبل اسماعيل التنفيذ راضيا قانعا مختارا ، وأراد أن يزيل الخوف والتوتر النفسي عن والده فألح عليه ان يمضي في تنفيذ أمر الله ، وتصور الآيات هذا المشهد الايماني يقول الله تعالى (**فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين. وناديناه أن يا إبراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم**) الصافات/ ١٠٢ ـ ١٠٧ وجاء الفرج بعد الكرب واطمأنت النفوس المؤمنة إلى عون الله وفرحت القلوب الموحدة بنعمه ورضاه ، وكان الفداء رحمة للعاملين ، إذ نجى الله به اسماعيل عليه السلام الذي جاء من نسله هادي الأمة وسيد البشر ، جاء محمد صلى الله عليه وسلم شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا لعل هذه الصور المشرقة يستحضرها المسلمون أينما حلوا وحيثما ارتحلوا حتى لايغيب عنهم جلال الايمان في مواطن الشدة والكرب ، عليهم أن يذكروا مواقف أبيهم إبراهيم ليتخذوه أسوة وقدوة كما قال الحق سبحانه (**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه**) وعسى أن تغلي في عروقهم دماء العزة فيدركوا في فلسطين قبره الشريف ويردوا عن حرمه كيد اليهود وهم يحفرون حوله بدعوى البحث عن الهيكل المزعوم ما أحوج الأمة إلى هذا النمط من الايمان تجمع به الصفوف وتحرر المقدسات ، وتدخل التاريخ من جديد وتكون خير أمة أخرجت للناس .

رئيس التحرير

حسن منّاع



للدكتور/محمد محمد الشرقاوي

الوصايا باب من أبواب الخير ...

وهي بهذا المفهوم شاملة لقوله تعالى : « **ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون** » الأنعام/١٥١ بعد ان ساق سبحانه وتعالى مجموعة من أوامر الدين الهامة ، ونواهيه المؤكدة .. ولذلك كانت وصايا الله تعالى الى خلقه في القرآن الكريم تحمل معنى الأمر الواجب الطاعة ، والعهد اللازم التنفيذ .. ومثل ذلك في قوله تعالى : « **ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون** » ،

(ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام/١٥٢ ، ١٥٣ .. وقوله جل من قائل في سورة النساء/١١ : « **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين .. الآيات)** فان هذه التوصية خاصة بقسم المواريث بعد إخراج الوصية من ثلث المال ، والدين المستحق من كل المال ، ثم يعطي كل ذي حق حقه من تركة الميت حسب ما قسم الله (**للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن)** النساء/٣٢ وذلك بدون إضرار .. أو تبديل في نظام القسمة ، أو احتيال على تحكيم الهوى والغرض .. لما في ذلك من تعد لحدود الله الموجب لعقابه كما قال تعالى في ختام آية المواريث : (**تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعدحدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)** النساء/١٣و١٤ .. ومن هذا القبيل قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري : (استوصوا بالنساء خيرا فان المراة **خلقت** من ضلع أعوج ، وان اعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا) فالوصية هنا بمعنى الأمر الواجب ، لأنها جزء من أوامر الدين ، حيث أمر الله بالاحسان الى الزوجة ، ومعاملتها بالرفق والمعروف في قوله تعالى : **(وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم)** النساء/٣٦ فقد فسر الصاحب بالجنب بالمرأة في بعض الوجوه (البيضاوي/١١١) وهو ما اختاره الطبري .. وقد زاد الفقهاء في مفهوم الوصية قيدا يفيد أنها لا تكون إلا تمليكا مضافا لما بعد موت الموصى بطريق التبرع سواء كانت تمليكا لأعيان أو إدارة أو منافع .. ولأنها تبرع .. لم تصح شرعا ممن ليس أهلا للتبرعات كالصبي والمديون .. لأن وفاء الديون التي للعباد مقدَّم على الوصية .. لوجوب الأول ، وسنية الثاني .. قال علي كرم الله وجهه : (انكم تقرؤون الوصية قبل الدين ..) أي في قوله تعالى : **[من بعد وصية يوصى بها أو دين]** وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدأ بالدين (الزيلعي جـ ٦ : ١٨٥) وهذا إذا كان الدين مستغرقا كل المال .. أما لو كان غير مستغرق .. جازت الوصية في ثلث ما يتبقى بعد الدين قال صاحب الكشاف : فإن قلت : لم قدَّمت الوصية على الدين مع أن الدين مقدَّم عليها في الشريعة ؟ .. قلت : لأن الوصية تشبه الميراث في عدم العوض عنها .. فكانت أمرا شاقا على الورثة ، ويظن التهاون فيه من قبلهم .. فقدَّمت على الدين بعثا الى المسارعة في أدائها ، والتحرز من إهمالها .. ولذا جيء بكلمة أو لافادة الأهمية المشتركة .. ولما كانت الوصية بالمال أو المنفعة معلقة بموت الموصي .. لم يعتبر

قبولها أو رفضها في حال الحياة .. لأن أوان ثبوتها بعد الوفاة ، أما الوصية الى الغير بالادارة والتصرف نيابة عنه بعد وفاته فيجوز ردها أو قبولها حال الحياة .. والوصية للغير بالمنافع فقط دون الأعيان جائزة مثل الوصية بثمار الأرض أو بسكنى الدار مدة معينة أو مدة حياة الموصى له .. أو حياة ذريته .. أو أبدا .. وحينئذ إذا انتهت مدة الانتفاع عادت الى ملك ورثة الموصي بمنافعها ، وكان القياس يأبى جواز الوصية .. لأن وقتها بعد الموت .. وهو ليس وقتا للتمليك لأن الميت زال ملكه بعد وفاته .. ولكن الشارع الحكيم أجازها للضرورة رفقا بالناس ، ورحمة بالأمة ، وتوسعة لفرص الخير والبر والثواب أمام طالبيها ، فإن العمر قد يقصر عن اكتناز الخيرات ، والموت قد يفجأ المرء بدون إعداد له ، وتهيؤ لما بعده .. ومجالها المحدد شرعا هو ثلث التركة .. حتى لا يضار الورثة .. وقد جعل الله لهم الأكثر .. وجعل للوصية الأقل تحقيقا للتوازن بين مصلحة الموصي .. ومنفعة ورثته .. فقد روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال : (جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني من وجع اشتد بي .. فقلت يا رسول الله قد بلغ بي من الوجع ما ترى ، وأنا ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة لي .. أفأتصدق بثلثي مالي ؟ .. قال : لا ، قلت : فالشطر (أي النصف) يا رسول الله ؟ .. قال : لا .. قلت : فالثلث ؟ .. قال : الثلث .. والثلث كثير .. أو كبير ، إنك ان تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس) أخرجه البخاري .. وعلى ذلك لو أوصى الموصي بأكثر من ثلث ماله لا تصح وصيته في الزائد عن الثلث كما لا تصح أساسا لقاتله ولا لوارثه .. إلا بإجازة الورثة .

ثم الوصية عند الفقهاء تختلف أحكامها باختلاف أحوالها وهي إجمالا قسمان واجبة ومستحبة ... فالوصية الواجبة أنواع :

(١) إن كان على صاحب المال حقوق مستحقة لله تعالى : كالزكاة أو الصيام أو الحج التي فرط فيها .. ولم يؤد حق الله فيها وجب عليه الوصية بها للورثة من ثلث المال .. وعلى الورثة تنفيذها عملا بقوله تعالى : (**من بعد وصية يوصى بها أو دين**) فإن قصروا أثموا .

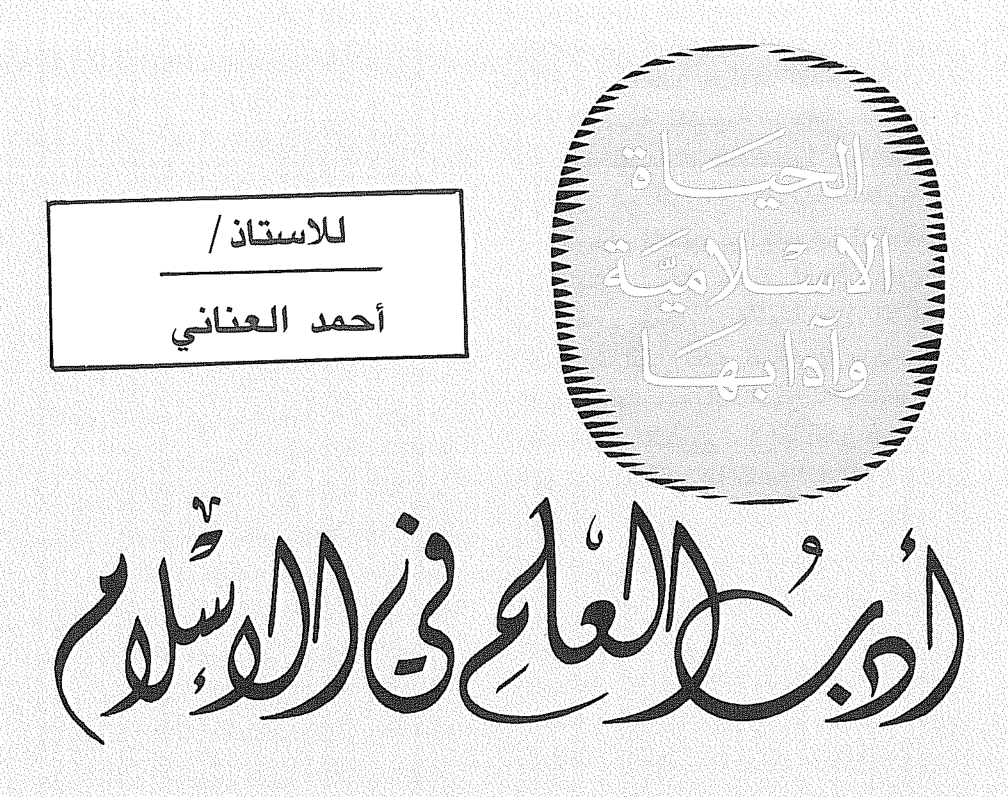
(٢) لو كان عليه حقوق للعباد مثل الديون .. خرجت ديون الصحة من كل ماله .. وخرجت ديون المرض المعلومة الأسباب كثمن دواء وغذاء معلومين من كل ماله أيضا .. وعلى الورثة إنفاذها حتى لا يقعوا تحت طائلة العقوبة .

(٣) الوصية التي كانت واجبة للوالدين والأقربين في أول التشريع ثم نسخت بآية المواريث ، وهي المعنية بقوله تعالى : (**كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين**) البقرة/١٨٠ قال البيضاوي/٣٧ في شرحه لهذه الآية : وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث ، وبقوله عليه الصلاة والسلام : (إن الله أعطى كل ذي حق

حقه ألا لا وصية لوارث) رواه احمد وأبوداود وهذا الحديث وان كان خبر آحاد إلا ان الأمة الاسلامية بفقهائها وعلمائها تلقته بالقبول فصار مشهورا وإن لم يكن متواترا .. ومثله تنسخ به الأحكام القرآنية لأنه يوجب علم الطمأنينة وهو فوق غلبة الظن ودون اليقين .

(٤) الوصية الواجبة : وقد نص القانون المصري في مادته ٧٦ على ما يأتي : (إذا لم يوص الميت لفرع ولده الذي مات في حياته ، أو مات معه ولو حكما ، بمثل ما كان يستحقه هذا الولد ميراثا في تركته لو كان حيا عند موته .. وجبت للفرع في تركته وصية بقدر هذا النصيب في حدود الثلث) ومن أحكامها : أنها تثبت لأهل الطبقة الأولى من أولاد البنات ولأولاد الأبناء من أولاد الظهور وإن نزلوا ، ومن أحكامها ايضا توزيع هذه الوصية الواجبة على نظام الميراث العام للذكر مثل حظ الأنثيين ويحجب كل أصل فرعه ، ولا يحجب فرع غيره ، ويبطل ما زاد على الثلث ويعود لبقية الورثة ، ويشترط عدم إرثهم من هذا الميت ولو قليلا ، وألا يكون الميت قد أعطاهم بدون عوض في حياته هبات أو غيرها قدر هذا الثلث .. وهذه الوصية الواجبة ليست من فقه الأئمة الأربعة المشهورين ولكنها اقتبست من عموم الأدلة مثل الآية السابقة ومثل قوله صلى الله عليه وسلم (ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده) رواه البخاري ومسلم وإليها ذهب ابن حزم وسعيد بن المسيب والحسن البصري وطاووس واحمد وداود الظاهري .

(٥) الوصية المندوبة .. وهي ما زاد على ما تقدم ، وأفضلها ما كان للأقارب غير الوارثين كالآباء الكافرين أو الأرحام المحجوبين بغيرهم في نظام المواريث .. وقد جاء الحث عليها والترغيب فيها .. لأنها من الآثار الحميدة التي تتبع صاحبها بوصول الثواب اليه ، وزيادة الخير له بعد موته وفي القرآن الكريم : (**إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم**) يس/١٢ والآثار التابعة للميت منها ما هو خير وبر ومنها ما هو شر ومفسدة .. وكل منهما لاحق بصاحبه إن خيرا فخير وإن شرا فشر ... وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنها رحمة بالناس ، وان تشريعها على خلاف القياس للرفق بالمقصرين وغيرهم للاستزادة من أعمال الخير ، واستدراك ما عسى أن يكون قد وقع فيه الموصي من تقصير في العمل ، أو نقص في الحسنات .. وميدان الوصية المندوبة فسيح وأوسع من أن يحيط به العد .. فيشمل الوصية للفقراء والمساكين وعمارة المساجد وإيواء أبناء السبيل ، وطلاب العلم ، والمديونين ، ومن نزلت بهم كوارث وغير ذلك .



أدب العلم في الإسلام

للاستاذ /
أحمد العناني

الاسلام لم يقتصر على أنه كان السبّاق في إنشاء أدب عام للحياة الانسانية ، وأدب خاص بكل فئة منها وعلى رأسها جميعا فئة العلماء الذين فضلهم الله على غيرهم تفضيلا صريحا ، ولكنهَ هو الذي وضع قواعد هذا الأدب الانساني إلى يوم الدين ..

ولقد أحسن الأوروبيون إلى أنفسهم وإلى الدنيا حينما نقلوا في بضعة القرون الممتدة بين بداية الحرب الصليبية بنهاية القرن الحادي عشر للميلاد ، ورسوخ ما سموه بعصر النهضة في القرن السادس عشر ، أقباسا كثيرة من آداب الاسلام وتقاليده وطريقة تفكيره ، وكانوا عندئذ إنسانيين ، وكان التأثر المعلن أو غير المعلن بثقافة الاسلام هو الحافظ على شيء من الانسانية في ثقافة أوروبا وحياتها ، فلما انفصلوا عن كنيسة روما - لأسباب جوهرية تناقض العقل في نصوصها وسلوكها - أخرجهم ذلك التمرد عن سائر أشكال التقاليد والمؤسسات والمفاهيم المرعية إلى تمرد علماني إلحادي انتهى بالعالم اليوم الى هذه الازمة الرهيبة الخطيرة في شئون السياسة والحياة

حتى ليوشك أدنى الأخطاء أن يؤدي إلى احتراق العالم بوسائل التدمير التي لم تجد من الأيدي النظيفة والنفوس المؤمنة ما يعطيها توجها انسانيا راحما كرحمة الاسلام الذي ساوى في الرحمة بين الناس على اختلاف عناصرهم وأديانهم وألوانهم وأوضاعهم .

وكان أصدق الأوروبيين لهجة في ملاحظة هذه الظاهرة الخطيرة الرئيسة السابقة لقسم الدراسات الاسلامية والشرقية بجامعة ميلانو (في كتابها عن خصائص الحضارة الاسلامية بالايطالية) دكتورة فاجليري التي لاحظت أن غياب القرآن هو السر الكامن تحت كل مصائب الحياة المعاصرة ، لأن ذلك الغياب أفقد الحياة الاوروبية كل أثر للتوجهات الانسانية مما أنتج حضارة ظالمة «براجماتية» ، نفعية مادية ، حضارة عنصرية تعطي للآري الأوروبي كل شيء ، وتعتبر كل جنس آخر وكأنما هو كطفيليات النبت البري تحت شجرة وارفة مثمرة معززة .. حضارة نشأت في ظروف طلاق تام بين الدين وأجهزة عقل علماني ملحد ، يؤمن بالحس وحده ، ويتعامل مع كل شيء بمنطق الأرقام وحساب الأرباح والخسائر ..

فأين ذلك من الربط المحكم عندنا بين العلم والدين ، وتفسير النفع على أنه أولا وقبل كل شيء معرفة الحلال من الحرام والتوصل إلى رضوان ذي العزة والجلال .. كتبنا في إطار العلم العام وثقافتنا وقرآننا وأحاديث رسولنا وسلوك علمائنا وشعوبنا وخواصنا وعوامنا كلها تربط العلم بصلاح الفرد وصلاح المجتمع والتقاء الناس على ما ينفعهم في آخرتهم مع الحرص على ما ينفعهم في حياتهم ايضا .. (**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**) البقرة/ ٢٠١ ورسالة العلم في أوسع إطاراتها هي خشية الله تعالى : (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر/ ٢٨

والعلم رسالة تجمع الملائكة والبشر إذا ما تداعى الأخيرون لفهم كتاب الله واستكناه أسراره والتثبت من معانيه ورسالته ، فعندئذ تلقي الملائكة بأجنحتها عندهم ، تراهم ولا يرونها بطبيعة الحال . والمسلم الذي يدرس علوم الدنيا يقصد بدراسته نفع المسلمين وتسهيل أمور حياتهم باكتشاف له أو اختراع أو تدبير فإن الحق جل جلاله يحتسب له أجرا عن كل منتفع بعلمه .

● وليس في روح الاسلام ، ولا في توجهاته أدنى إمكان مهما قل لتصور شيء « مادي » منفصل عن « شيء » « روحي » ، أو انفصام بين روح وجسد ، ومادة ومعنى ، وتلك هي حقيقة الفطرة السليمة ، وإلا فمن ذا يستطيع أن يفصل جمال الزهرة أو الشجرة عن كيانهما الحياتي .

مسئولية العلم وأدب العلماء :

أعطى الاسلام العلم مكانة المسئولية الأولى في الحياة الاسلامية ، لأن الشريعة التي يقوم العلماء على سدانتها لها الكلمة العليا فوق السلطة التنفيذية .. ومن روح الاسلام كان

يتكلم أبوبكر الصديق رضي الله عنه : « لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن اسأت فقوموني » لكن الاعانة أو التقييم تكون بالمعرفة اليقينية الناتجة عن العلم - منقولة وعقلانية - ولقد نهضت امرأة للفاروق عمر رضي الله عنه تذكره بخطأ ما ذهب إليه استنادا منها إلى قوله تعالى : (**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا**) النساء/ ٢٠ ، ٢١ فأسقط في يد عمر وقال كلمته المشهورة : « أصابت امرأة وأخطأ عمر » .

● ومن هنا لم يكن أحد يملك لنفسه شيئا أمام كلمة القاضي ولو كان ذلك هو أمير المؤمنين كما حصل مرارا وتكرارا في تاريخ الاسلام إلى أن جاء حكم السلاجقة الذين كانوا هم والأتراك من بعدهم يتصرفون وكأنما ليس في الاسلام وحكمه وحياته إلا الجهاد وأمور الجهاد ومصاولة الأعداء ، لذلك ودون توجه سيىء منهم ، جعلوا كلمة القاضي تحت كلمة الحاكم أو قائد الجيش ، وهي غلطة يعتبرها العارفون من أفدح الأخطاء التي أضرت بالحضارة الاسلامية ومسيرتها .

لقد كان أدب العلم على مستوى قدره الذي لا يعلوه قدر شيء سواه في الحياة الاسلامية ، وكان العلماء يدركون جلال مسئوليتهم وشرف ما يتعاملون به فكان الامام مالك رضي الله عنه لا يتحدث في شأن حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلا مغتسلا متطيبا وفي أفضل هيئة له وأحسن ملابسه ، وكان الامام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه لا يمد رجله ناحية بيت استاذ له مهما بلغ به الجهد في جلسته ، ولم يكن من أخلاق العلم التهافت على أهل الدنيا بل كان مما يعيب العالم سعيه إلى حاكم مهما بلغ شأنه إلا أن يكون ذلك المسئول في حاجة له فيسأله أو يستنصحه ، ولم تكن عملية نقل المعرفة تتم إلا في الظرف المواتي كل المواتاة معطي العلم دون آخذه ، فعلى الطالب ان ينتظر مهما طال به الانتظار دون حق له في تأفف أو انزعاج ، وتروى في هذا تفاصيل غاية في الروعة عن الامام البخاري صاحب الصحيح رضي الله عنه لا سيما في رحلاته في الحجاز واليمن طلبا للحديث ، واستزادة من التثبت من رواته .

والواقع أن ثروتنا في باب العلم وأدب العلم لا يمكن أن تضارعها ثروة في الدنيا أو ترقى الى مستواها ، ولقد كان الامام الغزالي رضي الله عنه من أكثر من فصلوا في هذا الباب مفردا في بعض كتبه الجامعة كإحياء علوم الدين ، أو رسائله المتخصصة كرسالة « أيها الولد » مجمل موقف القرآن والسنة والتقاليد الاسلامية من كل لون من ألوان آداب العلم وأهله .. وإنك لتجد فصولا عن هذا الموضوع في أمهات كتب الأدب والمصادر الاسلامية ، فهناك أدب

المتعلم مع العالم ، وأدب العالم مع المتعلم ، وأدب العالم مع ذوي السلطان ، وأدب أهل العلم مع الناس ، وهناك الأدب الاسلامي العام في تقديم كل مادة اسلامية أو أثر علمي أو خطبة أو مشروع فكرة ، فذكر الله تعالى والاستعانة به ، والاستهداء بنوره ، وشكر نعمته ، وطلب المزيد من العلم بإذنه ، والتعوذ بالله من آفات العلم من الكبر والغرور ، ثم الصلاة والسلام على رسول الله ، وربما ثناء الكاتب على أساتذته ومشايخه ثم دعواته لتلاميذه .. ثم ينتهي التقديم للدخول في المتن ..

والروح العامة في ذلك كله هي حفظ العلم في وعاء التقوى والابقاء على العلم في حدود الوسيلة فلا ينقلب إلى غاية أبدا . وإلا صار بيد الشيطان وسيلة للطغيان كذلك فإن المعرفة مسئولية خطيرة جدا لأن الله سبحانه وتعالى الذي أعد للعالم العامل بعلمه أجرا عظيما فإنه جعل حسابه على المخالفة عن أمر ربه عسيرا ، وهذا متسق تماما مع توجيه الحق سبحانه وتعالى ، اذ هو حين لبى طلب حواريي عيسى ابن مريم عليه السلام بأن ينزل عليهم مائدة من السماء ربط الاجابة بمسئولية مضاعفة **(إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين)** المائدة/١١٢ فلما بينوا له انهم ينشدون طمأنينة القلب بشاهد حسي ، بالرغم من ان الله تعالى رفعهم بصحبته ونور معرفته عن مستوى الآخرين ، دعا عيسى عليه السلام ربه بتنزيل المائدة فكان جواب الحق عند تنزيلها . **(قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين)** المائدة/١١٥ .

والحقيقة أن من أحسن من عنوا بتصنيف آداب العلم وأخلاق أهله الشيخ محمد سليمان وكان قاضيا بدمياط في كتابه : « من أخلاق العلماء » فقد أوفى حقا فيما جمع ، وإن كان على طريقة وقته لم يلق نظرة تحليلية على ما جمع ليصل إلى نظرية واحدة متماسكة ، مقررة لكل تلك الأخلاق سارية فيها ، وهي في اعتقادي ، كون المعرفة في الاسلام وسيلة لشيء أهم وأعظم ألا وهو رضوان الله تعالى بصلاح النفس ، وصلاح الدنيا بالكسب الحلال .. وقد جمع المؤلف مجموعة نفيسة من القصص الرائعة عن تقاليد التواضع والزهد ، والاعتراف بالجهل ، وتحري الحقيقة الدقيقة ، والصبر في الطلب ، والتبحر في المعرفة ، ومجانبة التسرع أو الاندفاع لمراكز المسئولية ومناصب القضاء والوعظ والافتاء بخاصة ، والتضحية بالمنافع الدنيوية ، والصدق الصريح المستعلن ، والاستماتة في رفض أي هدية أو منفعة من طرف من طرفين متنازعين في القضاء ، والرجوع عن الخطأ حالما يتبين الصواب ومواجهة السلطة التنفيذية بالحق مهما كان ذلك مغضبا أو مخيفا وعمل المرء بعلمه ، ومواصلة طلب العلم مدى الحياة .. الى آخر تلك الصفات التي وضعت للعلم أدبا

متكاملا وتقاليد شاملة كل مناشط المعرفة ومشكلاتها مع الناس ..

ومن الفصول الممتعة الرائعة في أدب العلم ما كتبه صاحب « عيون الأخبار » في باب العلم فقد كتب كلاما رزينا متكاملا في هذا الموضوع .. كذلك يخصص ابن عبد ربه صاحب العقد فصلا مطولا عن موضوع العلم والعمل به .. أما عبد الرحمن ابن خلدون فهو فضلا عما كتب في هذا الموضوع يقدم لنا في الحق درسا عظيما بالتزامه توصيل المعرفة بعد ذكر الله سبحانه وتعالى والتواضع لله ، وختام كل فصل بشكره الله عز شأنه على توفيقه إياه في بسط نظريته او فكرته تاركا إياها مفتوحة لنقاش الآخرين وإبداء ما عندهم دون أن يدعي ان علم شيء ما انتهى إليه .

المنهج العلمي التطبيقي المهتدي :

ولقد كان قمة الرسالة العلمية الاسلامية ذلك المنهج العلمي التطبيقي المهتدي الذي كان من أروع هدايا الاسلام إلى الانسانية على مدى العصور .. وربما تجلى ذلك المنهج فيما يجده الانسان من وسائل التبصر في الظاهرات واستقصاء ما بينها من وجوه الشبه والخلاف توسلا الى افتراض تعميمي يجري تطبيقه على حالات مستجدة متنوعة فإن نجح في كل مرة أصبح نظرية علمية تكشف عن سنة جديدة خافية من سنن الله تعالى في الكون ، أو هو المتابعة التطبيقية لتدوين تغير النتائج بتغيير العوامل المؤثرة فيها ، ثم المقارنة والدراسة والوصول الى التعميم كما كانوا يفعلون في الأندلس ـ كالعلامة ابن البتاني مثلا ، أو في الدراسة السريرية لاحوال المريض مع تدوين المتغيرات والمؤثرات كما فعل أطباء المسلمين لأول مرة في تاريخ الانسان وعلموه للعالم كله من بعدهم ، فإن المسلمين في كل ذلك خطوا خطوة عظيمة غابت عن أذهان الاغريق ألا وهي عملية التطبيق المختبرية ، أما ما اهتدى له المسلمون ولما يهتد له سواهم بعد فهو هذا العلم المهتدي ، العلم الذي يظل في نطاق الوسيلة ، أو القوة المسخرة لسعادة الناس .. وليس القوة الجامحة التي كادت تهلك العالم بحربين عالميتين ، وتذيبه فرقا ورهبة من حرب ثالثة لا تبقى ولا تذر .

إن المسلمين كانوا وينبغي أن يظلوا قارئين باسم الله تعالى وفاقا لأول أمر انزله الله تعالى مع جبريل الى رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم : (**اقرأ ... باسم ربك**) وليس في القراءة باسم الله تعالى قنابل ذرية ولا اسلحة جرثومية ولا هجمات على الموادعين والعزل ، وذلك هو منهج العلم التطبيقي المهتدي وفقنا الله لاعادة أدب العلم الى حياة اسلامية عزيزة مهتدية موفقة وهو ولينا ونعم المولى ونعم النصير .



للاستاذ / سعد عوض المر

كما يأمرنا ربنا الغفور أن نقرأ قرآنه المسطور فانه ايضا يحثنا أن ننظر في كونه المنظور سواء في قلب السماء أم في أعماق الحصباء (**قل انظروا ماذا في السموات والأرض**) يونس/ ١٠١ ، ولم لا ننظر ؟ وفي هذا النظر ذكر (**الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري**) الكهف/ ١٠١ ، ولم لا نذكر ؟ وفي هذا الذكر عبادة (**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين . إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته**) الاعراف/ ٢٠٥ و ٢٠٦ ولم لا نعبد ؟ وقد خلقنا الله تعالى من أجل تلك العبادة (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) الذاريات/ ٥٦

لكن .. هل هذه النظرة التي أرادها الله منا حين أمرنا بها هي تلك النظرة العابرة التي نمر بها معظم الوقت فوق الخلق دون أن نتذكر فنذكر او نتفكر فنشكر ؟ بالطبع لا .. انها ليست تلك النظرة الساذجة التي تأتينا فلا تؤثر فينا او نلقيها فلا نتأثر بها ، أو كتلك التي ذم الله بها أصحابها (**وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون**) يوسف/ ١٠٥ ، ان هذا ما نلمحه بين ثنايا كلمة (ماذا) التي أوردها الله تعالى حين أمرنا بالنظر في الآية الاولى بعد المائة من سورة يونس تلك التي نجد فيها هذا التوجيه الإلهي لهذا العقل البشري نحو أنوار البحث والتأمل في قدرته التي نطق بها جميع الخلق

لهذا السبب ولغيره من الاسباب أمرنا العزيز الوهاب أن ننظر الى الإبل (**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت**) الغاشية/ ١٧ ، لقد وجهنا الله الى طبيعة تلك النظرة بلفظ (كيف ؟) كي نتعمق بها في البحث

عن كيفية خلق هذا النوع الذي يختلف عن غيره من الحيوانات الأخرى ، ان خلق الإبل دليل للوصول الى سبيل الحق ولم لا ؟ وآية الابل تشدنا الى رؤية عظمة الصانع في ابداع صنعته وأسرار حكمته . في طلاقة قدرته كي يتواءم كل مخلوق مع بيئته ، ان هذا بعينه ما أخبرنا به المصطفى صلى الله عليه وسلم حين بين لنا بأن كل مخلوق ميسر لما خلق له .

النظرة الاولى للإبل تتمثل في تلك الصورة الخارجية لها :

إن أول ما يلفت النظر الى الجمل هو حجمه الكبير ، كذلك أطرافه الطويلة التي تساعده على سرعة عدوه وخفة حركته ولم لا ؟ وكل قدم فيه تنتهي بخف عريض يسهل له السير فوق الرمال سواء كانت خشنة فلا يتألم أم ناعمة فلا تغوص في أعماقها خلال حباتها بسبب ثقله أو ما قد يكون فوقه من أحمال ، كذلك يوجد على جانبي ذيله الطويل شعر كثير ـ يحمى الاجزاء الخلفية الرقيقة من أي أذى .

رقة الجمال تتمثل في جمال رقابها :

اذا . نظرنا لتلك الرقبة سنجدها مرتفعة كجذع النخلة ، لقد خلقها الله هكذا في هذا الجمل من أجل سهولة حصوله ويسر وصوله الى طعامه نتيجة لارتفاعه عن سطح الارض ، كذلك ليستعين بها على النهوض بأثقاله وأحماله إلى أعلى ، وياللعجب لما نجد : فبسبب بعد الرأس « مكان المخ » عن القلب « مكان ضخ الدم » خلق الله له في بداية الشريان الذي يحمل الدم إلى الرأس شبكة من الشعيرات الدموية الرقيقة تعرف بـ (**reta- merabile- caroticum**) كي تتحكم في تنظيم كميات الدم التي تندفع الى المخ أو تعود منه أثناء ارتفاع الرأس أو انخفاضها حتى لا تقل كميات الدم عن معدلها المطلوب أو تزيد .

إعجاز خلق الجمل يتركز في رأسه :

لقد خلق الله رأس الجمل في حجمها الصغير الذي نراه ـ بالنسبة لجسمه ـ كي يسهل عليه حملها وتحريكها هنا وهناك إلى أعلى أو إلى أسفل خاصة وأن الرقبة التي تحمل تلك الرأس الصغيرة ليست بقصيرة ، إن الواقف أمام الجمل يستطيع أن يرى بوضوح عينيه اللتين تمتازان بحدة البصر ترتفعان من فوق رأسه بعض الشيء في نفس الوقت الذي ترتدان فيه قليلا نحو الخلف كي يتسع لهما مجال الرؤية ، لقد غطاهما الله بجفنين كبيرين بارزين تنمو على حافتيهما رموش قوية تقيهما ضوء الصحراء الشديد الذي يزيد عن غيره بسبب قلة الظلال لندرة الزرع وانعدام الاشجار التي تحمل أوراقا عريضة أو كثيفة ، كذلك من أجل حمايتهمامن دخول أية أتربة قد تثار نتيجة لهبوب رياح أو تحرك رمال ، كذلك الحال اذا ما نظرنا الى فتحتي

الانف ـ التي تتمتع بحاسة شم قوية ـ سنرى فوقهما صمامين يقفلانهما حينما تشتد العواصف حتى لا تندفع فيهما حبات الرمال ثم تنفتحان بعد ذلك مرة اخرى حين يصفو الجو ، كذلك نرى فتحتي الاذنين الخارجيتين محفوفتين بشعر يعمل حاجزا طبيعيا واقيا ضد الاتربة الهشة التي تأتي مع كل هبة .

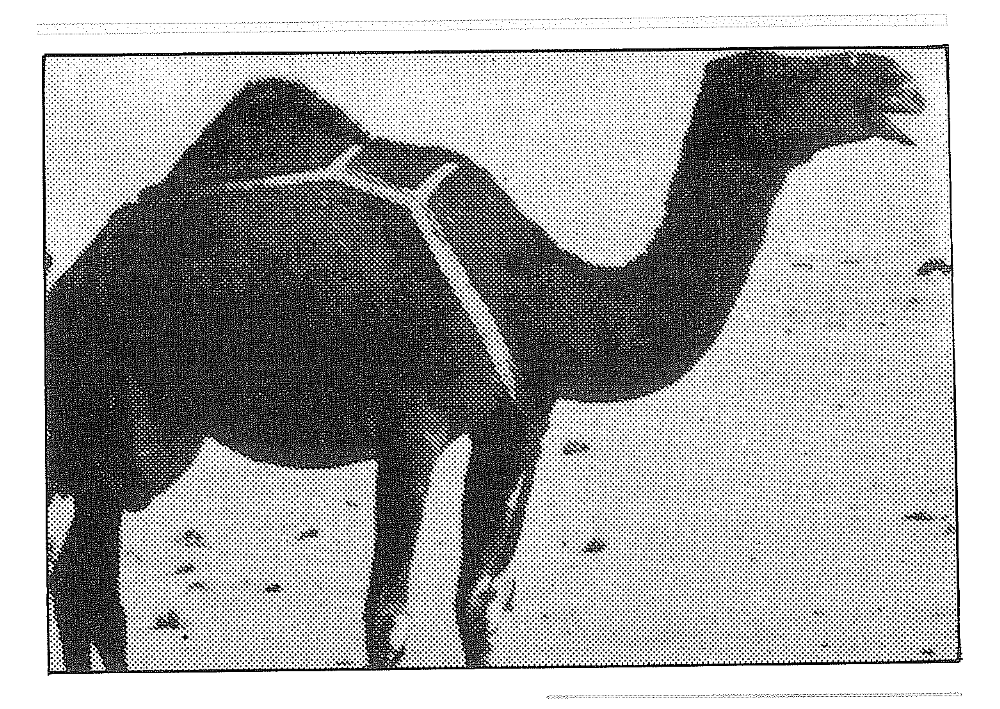
وقبل أن نترك الرأس بما حوى يجب أن نتوقف برهة كي ننظر لحظة الى ذلك الفم الذي نرى فيه تلك الشفة العليا التي شقها الله شقا ثم نصغى برهة اخرى الى تساؤل قدنسمعه منك همسا : لماذا خلقها الله بهذا الشكل ؟ حينئذ سترد علينا الحكمة : لقد شقها البديع الحكيم بتلك الهيئة كي يستطيع الجمل أن يتناول كل أنواع النباتات الصحراوية ذات الاشواك الحادة ـ رحمة منه تعالى ـ كي لا يتألم حينما يقضم ما يريد أن يأكل أو يجرح فكه أو ينزف فمه .

درع الجمل نراه في جلده ووبره :

وإذا ما انتقلنا لتلك المخدات القرنية ذات الجلد السميك في مقدمة الصدر وعند الرسغين وعلى الركبتين وفوق المرفقين فاننا حتما سنقول : لقد جعلها الله في ذلك التكوين كي تكون للجمل مرتكزا يرتكز عليها وقت البرك أو عند القيام حتى تحمى بدنه من أضرار الاحتكاك برمال الحصباء كذلك عدم الاحساس بسخونتها ، واذا ما أطلنا النظر الى هذا الوبر الذي يعلو جلده سنجده كالرداء الدافىء الحنون الذي لا ينخلع عنه أبدا كي يحميه الزمهرير فهو غطاء عازل يتحرك مع صاحبه أينما ذهب خاصة بالنسبة لهذا الجمل ذي السنامين (Bactrian Camel) الذي ينتشر في آسيا الوسطى والتي يكون الشتاء فيها باردا للغاية .

صبر الجمل في جسمه وسنامه :

كثيرا ما رأيت السنام فوق الجمل .. فهل تخيلت مرة هذا السنم مثل الجمل ؟ اذا كان الجواب بالايجاب ؟ هل سألت نفسك لماذا خلقه الله بهذا الشكل ؟ اذا أجبت وقلت : بانه يساهم في علو الراكب كي يصل بسهولة الى غايته حينما يرى اطول مسافة ممكنة بسبب هذا الارتفاع ، قلنا لك : لقد جئت فقط بواحدة .. أما الكثير الكثير فما زال خافيا ، واذا أردت المزيد .. فانظر لتلك الدهون التي يحتويها السنم ثم راقبه حين يكون ضامرا او بعد أن يكون منتفخا ، ثم استنتج بنفسك أسرار ذلك بعد ، لكن إياك أن تظن أو تعتقد ان هذا السنام هو ذلك المكان الأجوف الذي يحل محل المعدة كي يحفظ الماء أو يخزنه مثل قربة مفرغة ، كذلك لا تظن بسبب هذا القول أن الأكياس الصغيرة التي تنتشر على جدران معدة الجمل تعتبر مخازن ماء كما كان يعتقد : انها فقط تحتوي على سوائل هاضمة منفرة أشبه بحساء البازلاء الخضراء .



الإبل والماء والبيداء :

لاشك ان سر الحياة فوق هذا الكوكب هو ذلك الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي والذي بدونه لا يستطيع انسان ولا حيوان أن يعيش الا فترة قصيرة من الزمان حتى تلك الميكروبات **(وجعلنا من الماء كل شيء حي)** الانبياء/ ٣٠ ، انه ذلك

الماء الذي يتمثل في ذلك الجزء الاكبر من كل جسم والذي بدونه لا يتم هضم او تخلص أو ابعاد أي مواد ضارة أو زائدة عن الحاجة

سواء عن طريق البول أو البراز أو العرق ، كذلك بدونه لا يستطيع الجهاز الدموي أن يؤدي دوره كما يجب ، بسبب ما ينشأ من لزوجة دموية ، كما يعتبر الماء من أهم الوسائل التي تنظم وتوزع درجة الحرارة في الجسم ، ويمكن إيجاز القول بأن الماء ضروري لمختلف أنواع النشاطات في مختلف أنواع الخلايا لكل الاحياء ، ولا يفوتنا في هذا المقام أن نتوقف لحظة أو لحظات أمام حرف الجر (من) ذلك الذي سبق كلمة الماء في الآية المباركة السابقة ولم لا ؟ وهذا الحرف يجرنا الى تذكر مكونات الماء خاصة هذا الاكسجين الذي لا يستطيع أي انسان أو حيوان أن يعيش بدونه حتى تلك الاسماك .

ولما كانت البيئة التي تحيا فيها الإبل غالبا ما يندر فيها الماء ، فلقد تجلت قدرة الحق في خلقه بتلك الصورة كي تجعله يحتفظ باكبر قدر من هذا الماء أطول مدة ممكنة دون أن

يفقد منه الكثير سواء عن طريق إدرار البول أو افراز العرق : لقد هيأ الله جهازه البولي في شكل يضمن عدم اخراج البول الا مركزا ، كذلك جهازه الهضمي الذي جعله في صورة تتحكم في عدم اخراج فضلات الطعام الا ممتصة تماما على هيئة براز جاف جدا حتى أنه يمكن ايقاد النار في هذا الروث مباشرة ولم لا ؟ وامتصاص الدم للماء يمتد حتى القولون ، لقد خلق الله معدة الجمل من ثلاث غرف ، بينما زادها في معدات المجترات الاخرى غرفة اخرى تلك المسماة (بأمِّ التلافيف) التي تعمل كجهاز ترشيح كي يصل الطعام سائل القوام ، اما بالنسبة للعرق فانه لا يبدأ في الخروج الا عند درجة (٤١ مئوية) ، كذلك خلق الله للجمل وبرا كثيفا شعره خشن كي يتبخر فيه دون أن يتسرب منه : أي يتبخر بين شعره الكثيف (كأنه جهاز تكييف) يتكثف فوق سطح جلده دون أن يتعرض لهواء جو أو لفحة حرومن ثم لا يستمر في التدفق ، هذا من ناحية أما من ناحية أخرى فلقد قلل الله جل جلاله في جسمه عدد غدده العرقية لنفس السبب .

واذا علمت ان الجمل يستطيع أن يعيش بدون ماء مدة قد تصل الى عشرين يوما فلا تندهش .. لأن الله قد وضع فيه تلك القدرة على تحمل فقدان الماء بنسبة قد تصل من ٢٥ ـ ٣٠٪ من وزنه دون أن تتأثر خلاياه أو أنسجته أو دمه ، بعكس الحيوانات الاخرى التي تموت اذا ما فقدت من أجسامها ما يعادل ١٢ ـ ١٤٪ من وزنها ماء ، فاذا جادلت وقلت : ان سبب ذلك يعود الى قيام الجمل بشرب أكثر من تسعين لترا من الماء في المرة الواحدة ، قلنا لك : لا .. ليس هذا هو السبب لان الجمل لا يشرب ابدا أكثر مما يجب أو أزيد مما يحتاج لأنه لا يحتاط الى مستقبل أو يتوقع أي نقص في ماء فيشرب أكثر ، انه يشرب كل هذه الكميات في دقائق معدودات كي يعوض ما فقده من ماء ، انه لا يختزنه في كرشه كما يظن البعض بل تمتصه خلاياه كلها وأنسجته حتى ذاك الدم بعد أن يصل الى أمعائه كي يدخره من أجل استهلاكه على فترات .

ما وضعه الله في الجمل لبقاء الماء والأجل :

إن عملية المحافظة على الماء في الإبل تتمثل في تلك الطرق التي لا تتوافر لغيرها في تخزينه كذلك تلك الوسائل التي تساهم في ترشيد استهلاكه ، لقد خلق الله الحيوانات (من حيث ثبات أو تغير درجة حرارة أجسامها تبعا لاختلاف درجة حرارة الوسط الذي يحيط بها) صنفين ، ان العلماء يطلقون على تلك الحيوانات الاخيرة (ذوات الدم البارد) بعكس الاولى (ذوات الدم الحار) التي تعتبر الإبل واحدة منها ، لكن الإبل تختلف عنها لانها تنفرد بخاصية تجعل أجسامها تتحمل تأرجحا في درجة حرارتها يتراوح ما بين (٤٠°م) نهارا و (٣٤°م) ليلا دون

أن يسبب ذلك الفرق (٦°م) اي فقد للماء عن طريق البخر الذي يتم بوساطة انتقال الحرارة ، لقد قدرت كمية الماء التي يوفرها الجمل نتيجة لهذه الخاصية بخمسة لترات يوميا .

كما يلاحظ في الجمل انه لا يلهث ابدا ولا يتنفس من فمه ، ان هذا يعتبر سببا آخر يسهم في عدم فقد جزء آخر من ماء الجسم الذي يحتفظ به مهما مشى او جرى ، لقد خلق الله فوق ظهره سناما من نسيج ضام يعادل حوالي ٢٠٪ من وزنه الكلي مهمته اختزان الدهون وامتصاص الماء ، لذلك اعتبروه مخزنا للطعام ولم لا ؟ وتلك الدهون تعتبر من أهم واعظم الاطعمة التي تقي الجسم وتبقيه اذا استمر الجوع لفترة طويلة ، كذلك تقيه مخاطر قلة الماء لأن عملية تمثيل الدهون ينتج عنها كميات كبيرة من الماء .

دم الناقة ليس كغيره من حيث تأثره بزيادة أو نقص الماء :

حينما يحدث جفاف في بدن الانسان أو جسم الحيوان فان هذا ينعكس بالطبع على نسبة الماء في جميع أجزائه خاصة في بلازما الدم ذلك السائل الذي تسبح فيه كرات الدم الحمراء والبيضاء والصفائح الدموية ، لكن .. هل يتم نقص الماء بنسبة واحدة في كل الاجزاء ؟ الواقع لا : ان نسبة فقد الماء من البلازما هي أكبر من نقصه في جميع الانسجة والخلايا : فمثلا حينما يفقد الانسان ١٠٪ من ماء جسمه فان البلازما تفقد من مائها ما يعادل ٢٥٪ مما ينتج عنه لزوجة في الدم (Viscosity) فتقل سيولته وسرعة سريانه في أوعيته الدموية ، ومن ثم لا تتم عملية الايض (METABOLISM) وبالتالي يتعرض الجسم الى تغيير كبير ومفاجىء في درجة حرارته بسبب تلاشى أي وجود للاكسجين مما يحدث عنه انفجار في المخ ، أما في الجمل فإن الأمر يختلف تماما : لقد وجدوا ان انخفاض ٢٩٪ من ماء جسمه يعني انخفاض ٤٠٪ من حجم سوائل أنسجته تلك التي تتمثل في ـ حوالي ٢٥٪ من ماء خلاياه و ١٠٪ من ماء بلازما الدم ، لذلك فإن زيادة اللزوجة في دم الإبل غير واردة هنا على الاطلاق ، والعكس صحيح : فمهما شرب الجمل من ماء فإنه لا يضار لزيادة نسبته في دمه بعد سريانه فيه .

ان طبيعة كرات الدم الحمراء في الجمل تختلف عن كرات الدم الحمراء سواء في جسم الانسان أم الحيوان فكما خلقها الله قادرة على مقاومة الضغط والانكماش نتيجة لقلة الماء كذلك جعلها قادرة على مقاومة الانفجار بوساطة خاصية (التماسك الجدارى) عند زيادة الماء أي عند فقد تركيز البلازما التي تحيط بها :

وهذا ما يعرف (بالضغط الحلولى) الذي يتمثل في ضغط معين ينشأ عن تركيز بعض عناصر معدنية في البلازما مثل (البوتاسيوم والصوديوم والكالسيوم والكلور .. الخ) فاذا ما تناقص هذا الضغط الحلولى لبلازما الدم في الانسان او الحيوان لكثرة

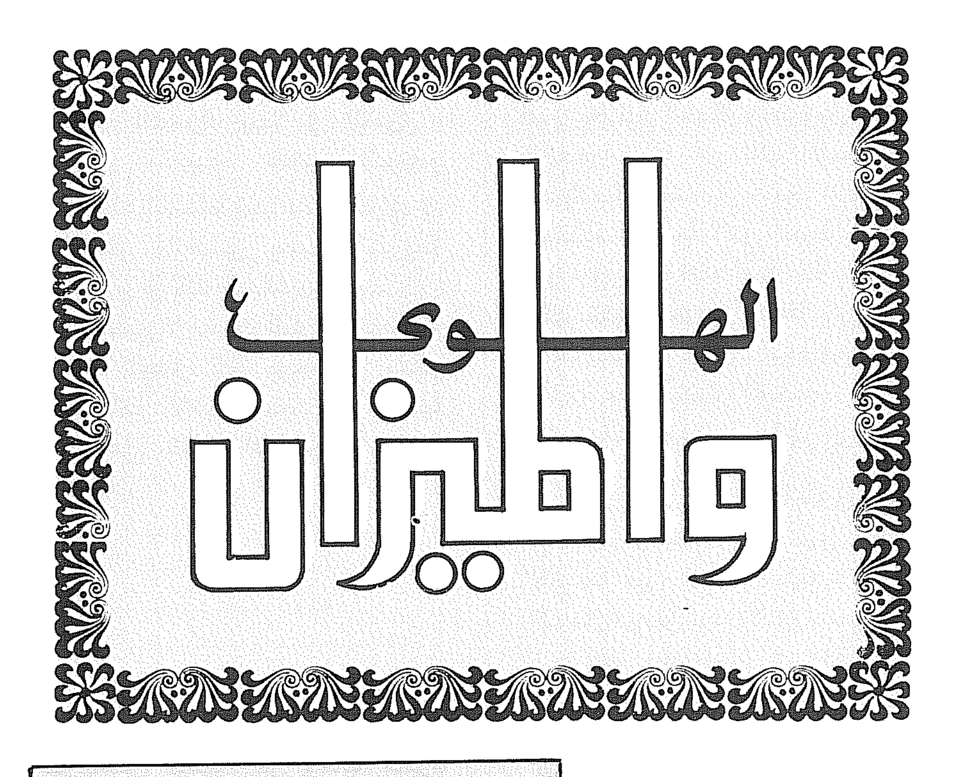
نسبة الماء فيه فإن الغشاء المحيط بالكرات الحمراء يبدأ في التمزق ، والعكس صحيح : فحينما ترتفع درجة هذا الضغط تبدأ هذه الكرات في الانكماش والضمور بصورة سريعة مما يؤدي في كلتا الحالتين للموت ، وهذا بالطبع لا يحدث للكرات الحمراء في دم الجمل كما يوجد في سائر الحيوانات الاخرى حيث ان كراتها تكون على شكل أقراص ليفياوية أهليجية .

لبن الناقة ينطق بالحق : ان في خلق الابل آية تستوجب النظر :

في أواخر عام ١٩٨٤ تناقلت وكالات الانباء العالمية أخبار ما توصل اليه بعض العلماء عن حقائق مثيرة عن لبن الجمال بعد أن قاموا بابحاث استهدفت المقارنة بينه وبين لبن الحيوانات الأخرى مثل البان الأبقار والجاموس والماعز والحمير حتى لبن حواء ، لقد اكتشفوا قدرة لبن الناقة على البقاء في المناطق الحارة سليما سبعة ايام بعكس تلك الالبان الاخرى التي تفسد في نفس يوم حلبها أو بعد يومين على الاكثر إذا ما تركت في جو شديد الحرارة خاصة لبن المرأة الذي يفقد صلاحيته عند درجة ٣٠° مئوية ، كذلك لا يتخثر لبن الجمال الا بعد مضي مدة طويلة تصل أحيانا الى شهر كامل بعكس لبن البقر الذي يتحول الى جبن بعد مضي أربعة عشر يوما فقط . لقد حاول العلماء التوصل الى اسرار ذلك الاختلاف البين بين لبن الجمال وغيره من الالبان فأرجعوا ذلك الى تلك الاحتياجات المعيشية الصعبة وتلك الظروف المناخية القاسية التي تحيط بالجمال سواء في ندرة الماء أم في قلة الغذاء ، لذلك خلق الله لبن الناقة كي يكون بديلا للماء في ظروف الجفاف،وأيضا للغذاء عند انتشار القحط .. أي انه يعتبر مأكلا ومشربا معا في آن واحد .

وهنا نترك هؤلاء العلماء يواصلون أبحاثهم في هذا المجال دون ازعاج ، لأن ما قيل أو ما سيقال عن تلك الجمال لم ولن يرد الا على سبيل المثال (نتركهم وشأنهم) كي نلقي نظرة اخرى على أرقام أحد الجداول التي بينت لنا اختلاف مركبات بعض أنواع الالبان خاصة فيما يتعلق بآخر عبارة جاءت في الفقرة السابقة لنشاهد معا وجود أعلى نسبة للدهون يحتويها لبن الجمال ـ باعتباره مأكلا ـ حيث بلغت حوالي ٥,٣٨٪ من وزنه بينما لا تتجاوز في لبن البقر سوى ٣,٥٪ وفي لبن الحمير ١,٢٦٪ أما في لبن المرأة فتبلغ ٣,١٥٪ ، أما من ناحية كونه مشربا فإن الأمر لا يكلفنا سوى النظر في نفس الجدول لنشاهد النسبة الكبيرة من الماء التي يحتويها هذا اللبن : انها تبلغ حوالي ٨٧,٦٪ .

واذا كان لابد من خاتمة .. فلا أجمل ولا أحلى من أن نقرأ معا قول الخالق للخلائق : قول الحق للخلق (**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**) لقمان/ ١١



للدكتور / عماد الدين خليل

(١)

للوهلة الاولى ، ومن خلال الالغاز والمعميات التي تعتمدها الفلسفات الغربية الوضعية ، وتحيط نفسها بها .. من خلال حملات الاكبار والتقدير التي انصبت على شخصيات الفلاسفة من كل مكان .. من خلال مركب نقصنا الحضاري الذي خيل الينا كما لو كان الفيلسوف الغربي انسانا غير عادي ، انسانا ذا قامة مرتفعة ، وفكر خلاق يجتاز المغاليق ، ورؤية للكون والحياة لا تقبل خطأ على الاطلاق ..

(٢)

للوهلة الاولى تتبدى الفلسفات الغربية للمرء بحجم اكبر بكثير من حجمها الحقيقي وبريق يكاد يسلب العين القدرة على الابصار .

وكلنا نذكر ما كان يفعله مدرسونا في الاعداديات وهم يحكون لنا عن هذا الفيلسوف الغربي او ذاك من خلال مادة (التاريخ الاوروبي) .. بوجل وانكماش وبتقدير مبالغ فيه يصل حد التضاؤل والصغار ، ونذكر كذلك طبقة من الاساتذة الجامعيين اعمق ثقافة من المدرسين واكثر تخصصا ،

كانت هي الاخرى تحدثنا عن الفلسفة الغربية كما لو كانت حقا مطلقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

ولا زلت اذكر مدرس التاريخ في الاعدادية ، وهو يخطو بحذر وتريث خلال شرحه لفقرات من الكتاب خصصت للفيلسوف الالماني (هيغل) والفلسفة المثالية ، وكنا نحن نقول في انفسنا : اذا كان مدرس المادة غير قدير على اقتحام بحر (هيغل) العميق فأنى لنا ان نجتازه بعقلياتنا الساذجة وثقافتنا المتواضعة ، ولا زلت اذكر كذلك استاذ الفلسفة في كلية التربية وهو يحدثنا عن الفلسفة المثالية لهيغل ، كيف انه اراد ان يعطينا جانبا من فلسفته كما لو كانت مسلمات مطلقة ، ولكنها مسلمات غامضة ، معماة ، ما كانت تزيد الرجل وفلسفته في نفوسنا الا اجلالا وإكبارا !!

(٣)

وما كان الأمر بهذا الذي تصورناه او صور لنا ، **وما هكذا يجب ان يكون** .. فإن المثقف المسلم على وجه التحديد ، ناهيك عن المتخصصين منهم ، يتحتم ان يمتلك ابتداء .. نعم « ابتداء » .. ما يمكن تسميته بالنظرة الفوقية المستقلة الواثقة التي ينظر بها ويقيس ويزن كل ما يقوله العقل البشري شرقيا كان أم غربيا ، ولا يسلم به بسهولة حتى لو طرحه اعظم الفلاسفة والمفكرين . كما انه يتحتم الا يشعر ازاءه بأي قدر من النقص او الاعجاب المفرط الذي قد يجنح به بعيدا عن الموقف العلمي الذي يتطلبه منه هذا الدين .

إن المسلم ينظر بنور الله ، ويعاين الاشياء بتعاليم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ويزن بموازين الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فكيف تسوغ له نفسه ان ينزل عن موقعه العالي هذا ، و استشرافه من الآفاق المفتوحة ، الحفر الضيقة والمسالك المتداخلة والشعاب المسدودة لفكر هذا الرجل او ذاك مما قد يتضمن الكثير من الخطأ والانحراف والفساد ؟

(٤)

وثمة بداهة قد نغفل عنها لوضوحها في كثير من الاحيان ، فان الفلسفة الوضعية لو كانت حقا مطلقا كما صور لنا وخيل الينا ، لما نقض بعضها بعضا ، وهاجم بعضها بعضا ، ونفى بعضها بعضا .. ولما شهدت ساحات الفكر والثقافة عشرات ، بل مئات والوف ، من الفلاسفة كان يحلو لكل واحد منهم ان يطرح ادعاء تقليديا اصبح بمثابة القاعدة التي يحذو حذوها الجميع : ان ما تقوله فلسفته هو الحق المطلق ، وان ما وراءها من فلسفات لا يعدو ان يكون خدعة وضلالا ، او هو - على احسن الاحوال - محاولات تتضمن الكثير من الشروخ والاخطاء .

(٥)

في كتاب الاديب الفرنسي (اندريه موروا) عن حياة الروائي الروسي الشهير (ايفان تورجنيف) نقرأ هذا

المقطع : « في غضون السنوات التي امضاها تورجنيف في المانيا كان هيغل الفيلسوف الذي يلتف حوله المثقفون الروس لأنه كان يقول بأن كل ما هو حقيقي نابع من العقل في الوقت الذي كان فيه هؤلاء يقبلون المجتمع كما وضعه التاريخ . ذلك ان الناس يطلبون دائما من كل مذهب ان يكون دليلا عقليا على مشاعرهم واعمالهم !! فالشباب الروسي الذي كان يخضع في سنة ١٨٤٠م للقيصر كان يعرف انه مستبد ، ولكنه كان يعبده على الرغم منه ، وهذا الشباب كان يتوهم بانه واجد في « **فلسفة الحق** » لهيغل حججا واسانيد لتعليل خضوعه .. كانوا يقولون له : إن الدولة كيان حي وهي هي كما اوجدها التاريخ ، ولا يستطيع فرد او مجموعة ان يغيرها تبعا لاهوائه . وهكذا لا يوجد مجال للمناقشة في ضرورة الطاعة المطلقة للقيصر فذلك امر واضح جلي في حد ذاته ..

ويمضي موروا الى القول بأن : « تلك كانت نظرية هيغل كما رأتها جماعة اليمين . على ان هرزن ـ الذي يمثل جماعة اليسار ـ كان يتبين انه يمكن ان يستمد من هيغل بالذات الدليل على شرعية كل مقاومة للاوتوقراطية اذ انه لو صح ان كل ما هو حقيقي نابع من العقل ، فالثوري ـ اذ يوجد ـ يعتبر جزءا من التاريخ « اذا كان العقل يعزز النظام الاجتماعي القائم فان كل مقاومة له ما دامت موجودة تعد معززة كذلك » وهكذا تشكلت من فلسفة هيغل صورة اخرى اخذت بها جماعة اليسار .

(٦)

وهكذا استعملت فلسفة هيغل لتبرير موقف اليمين الخاضع للقيصر ولتبرير موقف اليسار الثائر على القيصر .

وهذه الميوعة الفكرية التي نجدها هنا تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال لا تقتصر على الفلسفة المثالية التي وصفها «ماركس» و«انغلز» بانها تمشي على رأسها ، فحسب ، ولكنها تنسحب على الفلسفة المادية نفسها التي صاغها ماركس وانغلز . فانك واجد فيها ما يسوق الشيوعيين لمساندة وضع ما ، وواجد فيها ـ كذلك ـ ما يدفعهم الى الثورة عليه والاطاحة به .. وهم يبررون هذا وذاك بأنه (التكتيك) الذي يخدم الستراتيجية في نهاية المطاف ..

اقرأ على سبيل المثال ـ ما يقوله الاديب المجري المعروف « ارثر كوستلر » الذي خبر التجربة الماركسية بانتمائه اليها السنين الطوال ، ثم ما لبث ان ارتد عنها بسبب ما وجده فيها من عيوب وتناقضات .. انه يقول : فيما نحن بصدده « كانوا يلجأون احيانا ، الى نبذ الحقائق واغفالها بحيلة بسيطة تتلخص في وضع الكلمة بين قوسين واعطائها جوا من السخرية والمرارة « ماضي تروتسكي الثوري » ، الهذيان « الانساني » للصحافة « الحرة » .. الى آخره ، وكان هذا الاسلوب لشدة إملاله يفعل في النفس فعل التنويم المغناطيسي ان ساعة من هذا الهذيان

« المنطقي الجدلي » كانت تدع الانسان لا يدري افتى هو ام فتاة ، وتجعله مستعدا لاعتناق اي منهما بمجرد ظهور الأخرى بين قوسين . لقد كنا على استعداد لأن نؤمن بان الاشتراكيين هم (أ) اعداؤنا الحقيقيون (ب) حلفاؤنا الطبيعيون ، وان الدول الاشتراكية والدول الرأسمالية (أ) يمكنها ان تعيش مع بعضها بسلام (ب) لا يمكنها ان تعيش مع بعضها بسلام ، وان انغلز عندما قال : إنه لا يمكن قيام الاشتراكية في دولة بمفردها كان يعني عكس ذلك تماما . بل لقد تعلم الواحد منا ان يبرهن بالاستدلال المنطقي على ان كل من يخالفه في الرأي هو عميل للفاشية لأنه (أ) لمخالفته لك في الرأي يساعد على تفتيت وحدة الحزب (ب) بعمله على تفتيت وحدة الحزب يساعد على انتصار الفاشية فهو اذن (جـ) من الناحية الموضوعية عميل للفاشية ولو كان من الناحية الشخصية قد تعرض للتعذيب في معسكرات الاعتقال على ايدي الفاشيين .

إن كلمات « عميل » او « الديمقراطية » او « الحرية » الخ .. كانت تعني عندنا في الحزب شيئا آخر يختلف تماما عن معناها في الاستعمال العام ، بل كان معناها عندنا يتغير بعد كل تحول في سياسة الحزب ، فكان موقفنا من هذه التغييرات كموقف اللاعبين في لعبة الكروكي « التي يقوم اللاعبون فيها بضرب كرات من خشب بمضارب في ايديهم لكي تمر من اطواق خشبية ثابتة » بين الملكة واتباعها حيث كانت الاطواق تنتقل عبر الملعب ، والكرات قنافذ حية ، مع اختلاف واحد هو ان اللاعب عندنا اذا اخطأ واضاع دوره وقالت الملكة « اقطعوا رأسه » كان الأمر ينفذ بكل جد (الصنم الذي هوى ترجمة فؤاد حمودة) ، (ص ٥٨ ـ ٥٩ (دمشق ـ ١٩٦٠) .

(٧)

ان هذا التميع في الموقف ازاء الحقائق ، واتخاذ زوايا نظر مختلفة ، بل متضادة يذكرنا بموقف القادة الماركسيين من مسألة الجنس والزواج ، فيما تناولناه بشيء من التفصيل في مكان آخر ، فقد اعتبروه في البدء رذيلة بورجوازية تصديقا لما قاله ماركس وانغلز ، ثم لما شاع الزنا في الاتحاد السوفياتي عبر سني تأسيسه الاولى ، وفاض الكأس ، وأعلن لينين تصريحه الشهير الذي هاجم فيه هذا التصور وحث على العودة الى الزواج كأفضل صيغة للعلاقات الجنسية ، عاد الماركسيون فاكدوا ضرورة الزواج كمؤسسة محتومة في العلاقات الاجتماعية .

فاذا تساءلت ، يقول كوستلر ، « اليست هذه هي الفضيلة البورجوازية التي استنكرناها من قبل ؟ قيل لك « ان هذا التساؤل يدل على انك لا زلت تفكر بالطريقة الآلية لا بالطريقة المنطقية الجدلية . اذ ما هو الفرق بين البندقية في يد رجل الشرطة والبندقية في يد عضو الطبقة العاملة الثورية ؟ ان الفرق بين البندقية في يد

رجل الشرطة والبندقية في يد عضو الطبقة العاملة الثورية ، هو ان رجل الشرطة من اعوان الطبقة الحاكمة وبندقيته اداة للعدوان ، بينما هذه البندقية نفسها في يد عضو الطبقة العاملة الثورية اداة لتحرير الجماهير المضطهدة . وهذا القول يصدق عن الفرق بين ما يسمونه « **الفضيلة** » البورجوازية و**الفضيلة** العمالية . ان نظام الزواج الذي يعتبر في المجتمع الرأسمالي مظهرا من مظاهر الفساد والتحلل يتحول « منطقيا » الى عكس ذلك في المجتمع العمالي السليم ، فهل فهمت أم تحب ان أعيد جوابي بطريقة محكمة اكثر من هذه ؟ » (المرجع السابق ص ٥٧ و ٥٨).

(٨)

ويتذكر المرء الآية القرآنية الكريمة : **(إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)** النجم / ٢٣ فكأنها قد تنزلت لكي تدمغ هذه الظنون والأهواء البشرية .. فما يلبث الا ان يزداد اعتدادا بموقفه الايماني واعتزازا بعلمه الالهي وموقعه الفوقي الذي يمنحه - بالتصور العقيدي المتكامل السيادة على العالمين !!

موازنة بين العلم والمال

قال علي كرم الله وجهه :
العلم خير من المال
لأن العلم يحرسك وانت تحرس المال .
والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق .
هلك خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر .

على هامش حجية الإجماع

١

للأستاذ الدكتور/محمد فوزي فيض الله

كل الذين كتبوا في أصول الفقه ، من لدن الامام الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ حتى هذا العصر ، قرروا أن أدلة الأحكام هي : **الكتاب والسنة والاجماع والقياس** ، إلا من شذ . وقد عمل أئمة الفقه ، منذ صدر الاسلام بالاجماع ، واتخذوه حجة في إثبات الأحكام .

وترجع نشأة الاجماع إلى عصر الصحابة ، إذ كان المجتهدون منهم معروفين ومحدودين ، لا يتجاوزون العشرين ؛ وكان الشيخان ـ أبوبكر وعمر ، رضي الله تعالى عنهما ـ يجمعانهم في الوقائع للشورى ، فيما لانص فيه ؛ فإذا أجمعوا على حكم ، قضى به كل منهما ، كما روي ذلك البغوي .

وبعد انقضاء عصر الصحابة ، وتفرق المجتهدين في الأمصار المفتوحة ، انتشرت الرحلات العلمية ، وتحرك أهل العلم ، من العلماء والمتعلمين ، في طلب العلم والتعليم . رغم صعوبة المواصلات ، وبعد المسافات ؛ إذ كان ذلك معتبرا من العبادات ، ومن أعظم القربات ، و

« طلب العلم فريضة على كل مسلم » .
وتنوقلت بذلك الفتاوي والاجتهادات ، في الوقائع الحادثة ؛ وتصدى لها المجتهدون بالتأييد أو المخالفة ؛ فنشطت الحركة العلمية ، وكانت رحمة وخيرا وبركة على الأمة ، وكان من آثارها تدوين السنة والفتاوي والأقضية والأحكام .

ولا تجد في صدر الاسلام مسألة ، لم يتناولها الأئمة بالدراسة ، ووضع الحكم الشرعي لها ، بالحل أو الحرمة ، استنباطا من الأدلة .

واعتبر الفقهاء المتأخرون بما صدر عن السلف ، من أحكام اجتهادية ، وسلموا لهم بما اتفقوا عليه . واعتبروه إجماعا لا تجوز مخالفته ؛ ونظروا فيما اختلفوا فيه ، واعتبروه محل اجتهاد .

ولما كتب الامام الشافعي رسالته المشهورة ، وهي أول ما وصلنا من كتب الأصول ، قرر أن الاجماع أصل معتمد في الاجتهاد ، إلى جانب الأصول الثلاثة الأخرى ؛ ومضى الكاتبون في الأصول على ذلك . بل قال الشافعي في رسالته المذكورة : « ونحكم بالاجماع ثم القياس » فقدمه على القياس ؛ والاجتهاد عنده هو القياس ؛ بل هما – على حد تعبيره – : « اسمان لمعنى واحد » .

ولهذا قرر الأصوليون مصدرية الأحكام ، للكتاب والسنة والاجماع والقياس : وإن كان الخوارزمي (المتوفى عام ٣٨٧) يرى أن الأصول المتفق عليها هي الكتاب والسنة والاجماع ، وأن المختلف فيها هي : القياس والاستحسان والاستصلاح .

وكتب الفقه تنضح بالاجماع ، في القديم والحديث ، وأهل العلم والفقه يقرون الاجماع ، ويسلمون به ، حتى ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في فتاويه ، وله فيه كلام محرر راق .

غير أن ابن حزم – رحمه الله تعالى – يرفض الأخذ بالاجماع ، ويقول – كما نقل عنه الآمدي : « ولا يمكن البتة أن يكون إجماع من علماء الأمة ، على غير نص ، من قرآن أو سنة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – » .

وقد أنكر ابن حزم من قبل أيضا القياس ، مع أنه هو الاجتهاد ، كما قال الشافعي ؛ فما المجتهد إلا القائس .

وقد أشار النبي – صلى الله عليه وسلم – في مناسبات كثيرة ، إلى حجية القياس : في حديث الخثعمية في الحج عن الوالد ، وحديث عمر في قياس قبلة الصائم على مضمضته ، وغيرهما .

ولهذا صرح ابن تيمية – رحمه الله تعالى – بأن القياس الصحيح حق ، بل ثبت القياس في القرآن في العقديات ، كما يقول ابن القيم أيضا في كتابه القيم (إعلام الموقعين) ، حيث أقيمت الحجة على الحياة بعد الموت ، بأصل النشأة الانسانية ، وبحياة الارض بعد موتها ، كما قال تعالى **(وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج)**

ومع هذا كله ، وغير هذا ، رفض ابن حزم الأخذ بالقياس ، وهو ثابت ، بلا شك ، ولم يخالف في حجيته أحد من الأئمة الموثوقين ؛ حتى قال الامام النووي في شرح مسلم ، في جواز

القياس : « وهو مذهب العلماء كافة ، ولم يخالف فيه إلا أهل الظاهر ، ولايعتد بهم » .

وقال حجة الاسلام ، الامام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في المستصفى وهو يفيض في حجية الاجماع ، ويتحدث عن الظاهرية الذين أنكروه ، من بعد الصحابة : « وهو فاسد ، لأن الأدلة الثلاثة على كون الاجماع حجة ، أعني الكتاب والسنة والعقل ، لاتفرق بين عصر وعصر » .

فكما لا يلتفت إلى الظاهرية ـ التي انتشرت في القرن الثالث ، ثم انقرضت بعد الخامس ، ولم يقدر لها أن تحيا بعد اندثارها بإحياء ابن حزم لها ـ كما لا يلتفت إليها في انكارها القياس ، لا يلتفت إليها في إنكارها الاجماع ، وهذا باتفاق الأئمة المعتبرين ـ كما رأينا منهم ـ لأن القياس والاجماع ، هما اللذان يمثلان دفقة النبض الحي ، في الاجتهاد الاسلامي ؛ ولهذا لم يصلح المذهب الظاهري للحياة ، فاندثر لعدم قابلية الحياة فيه ، وهي الاجتهاد المتمثل في الاجماع والقياس .

ألا أن الاجماع ، يمثل مع القياس ، الخط العريض ، لفقهاء المسلمين ، الذين أورثوا العالم كله ، ثروة فقهية حقوقية ، سجلتها الأسفار وتناقلتها الأفواه ، وتوارثها الأجيال عبر السنين ؛ ولا شك أنها قادرة ـ بأصولها وفروعها وما يتخرج عنها ـ على تقديم الحلول لجميع المشكلات الحادثة ، ومسايرة ركب الحياة ، والتقدم العلمي ، في كل عصر ومصر ، بمعزل عن أهل الجحود ، وأهل الجمود .

والاجماع في تصور معظم الأصوليين ، هو : اتفاق المجتهدين من أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد وفاته ، في عصر ، على حكم شرعي .

وهذا التعريف هو الذي كتب له القبول والخلود . وعرفه الآمدي بأنه اتفاق جملة أهل الحل والعقد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ـ في عصر من الإعصار ، على حكم واقعة من الوقائع .

١ـ لا ينعقد الاجماع باتفاق غير المجتهدين .

٢ـ ولا باتفاق بعض المجتهدين ، دون الذين عاصروهم ؛ لا فرق بين الخلفاء وبين غيرهم ، ولا بين الصحابة والتابعين . فلو اتفق الصحابة ، وخالفهم التابعي المجتهد في عصرهم ، لم ينعقد الاجماع ، لأن المتفقين لم يكونوا كل المجتهدين .

٣ـ وكذلك لا يختص الاجماع بالصحابة ، خلافا للظاهرية ، ولا بإجماع أهل المدينة ، ولا أهل البيت ، ولا أهل الحرمين ، ولا أهل المصرين ـ البصرة والكوفة ، لأنه اتفاق بعض المجتهدين لا كلهم .

نعم ربما كان إجماع المجتهدين في عصر الصحابة ، أيسر منه في العصور المتأخرة ، لأنهم كانوا في حاضرة الخلافة ، ونهاهم عمر رضي الله عنه

بثاقب نظره عن مغادرتها ، إلا بإذن منــه ، ليشــركــهــم في الحكــم ، ويستشيرهم في الأمر ؛ فكـان من السهــل اجتمــاعهم ، للتــداول في الوصول إلى الحق ، وبـذلك تيسر الاجماع .

لكن هذا لا ينفي إمكانه بعد ذلك ؛ لأن الحركة الفقهية الاجتهاديـة ، والمناظرات المذهبية ، اتسع نطاقها بعد عصر الصحابة ؛ وحرص الأئمة على التعرف على اجتهادات بعضهم ، ومنــاقشتــهــا ؛ وأيــد الخلفــاء مناظراتهم ، وتقـرر بذلـك مسائـل الخلاف ، ومواطن الاجماع ، وذاعت بين أهل الفقه .

ويقول (ماكدونالد) فيما كتبه لـدائرة المعـارف الاسـلاميـة عن الاجماع : « ينكر الوهابيون اليوم تعميم هذا المبدأ ، يتبعون في ذلك المذهب الظاهــري ، الذي انـدرس الآن ، ويقصرون الاجماع على إجماع الصحابة » .

ونسي أن يضيف إلى الظاهرية ، ما نص عليه إمام الحرمين في البرهان ، من أن « أول من باح برد الاجماع في السمعيات (لا العقليات) النظام ، شيخ النظامية من المعتزلة ، وتبعه الروافض » .

فربما تمسك هؤلاء النفاة ، بأنه :

١ـ تتعذر معرفة جميع المجتهدين ، لتباعد الأمصار ، وتباين البلاد .

٢ـ ولو عرفوا ، فإنه يتعسر اجتماعهم على حكم مظنون ، مع تباين المذاهب ، وتفاوت الأنظار ، واختلاف الفطن والقرائح

٣ـ وبأنه لا يؤمن أن يرجع بعضهم عن رأيه ، قبل أخذ رأي الباقين .

٤ـ وبأنه لو فرض إجماعهم يتعذر النقل عنهم تواترا .

قالوا : ولهذا قال الامام أحمد : « من ادعى الاجماع فهو كـذاب ، لعل الناس قد اختلفوا ، ما يدريه ، ولم ينته إليه ؛ فليقـل : لانعلم الناس اختلفوا » .

٥ـ وقــالوا : إن اللــه أمرنــا عند التنــازع ، بوجـوب الرد إلى اللــه والرسول ، لا الاجماع ؛ ولم يرد في حديث معاذ المعـروف رجوعـه إلى الاجماع .

١ـ بــأن الأجيال من الكفــار عبر العصور ، يطبقون عــلى أحكام في العلوم ، وفي النظريات والفلسفات ، ويتفقون على ضلالات مدركة ، كما يقول أهل الأصول .

٢ـ ونعلم اتفاق أصحاب أبي حنيفة والشافعي وغيرهم على مسائـل في المذاهب ، مع تباين الديار ، بسبب الرحلات العلميــة ، والحرص عــلى الأخذ عن أهل العلم شفاها

٣ـ وإن يصعب اجتماع أهل العلم، فإنه لا يمتنع أن يقوم مؤتمر في بلد مسلم ، يجمع علماء المسلمين فيه ، ويطرح الوقائــع ، ويقف على اتفــاقهم أو اختلافهم في الحكم فيها ؛ كما هو الشأن في مجمع الفقه الاسلامي في جدة في أيامنــا ، وفي مجمع العلم والأدب في عصر سيف الدولة أيام الحمدانيين ، ومجامع اللغة العربية في العصر الحديث .

٤ـ ولقد حدث إجماع الصحابة ومن بعدهم على كثير من المسائل ، ونقلت إلينا إجماعات الفقهاء ، في أمهات الكتب الفقهية المعتبرة الموثوقة المحررة ، بما لايفسح المجال لأي شك ، وإنها متوارثة بالتواتر .

٥ـ وحديث معاذ لم يذكر فيه الاجماع ، لأنه لاوزن له في عصر الرسالة .

٦ـ وقولة أحمد لعلها لا تثبت عنه ؛ ولعله رجع عنها ، لأنه يعمل بالاجماع ، وكتب الحنبلية طافحة بالاجماعات ، وباللاأعلميات ، التي أقرها أحمد .

٧ـ ولقد تيسر الاجماع في أيامنا ، لسهولة المواصلات وسرعتها ، فتيسر الاتصال بأهل العلم ، والاطلاع على آرائهم وهم في بلادهم ، أو وهم مجتمعون في أي قطر من أقطار العالم .

لقد أصبح تحقق الاجماع في أيامنا ممكنا بأيسر مما كان يتحقق في عصور السلف ، بالهواتف ، واللاسلكيات ، والتلكسات ونحوها ، فضلا عن الاستكتابات والندوات ، والمقالات المنشورة في الصحف والمجلات ، وغيرها .

على أن تعريف الآمدي المتقدم للاجماع ، وهو من كبار أئمة الأصول ، لا يشترط فيه اتفاق جميع المجتهدين ، بل جملتهم .

والمشكلة تقوم في العثور على المجتهدين ، فأين المجتهد اليوم ؟ وطلابنا في الشريعة ـ مثلا ـ أكثرهم أئمة ومجتهدون بالفطرة ، بلا تحصيل للاجتهاد ، ولا تكلف للتعمق والبحث .

إنه لا يكفي في الواقع مجرد معرفة الأصول والفقه ، لممارسة الاجتهاد ، بل لابد من بلوغ مرتبة الاجتهاد بالتحقق بشروطه ، فلا يعتبر حكم من لم يبلغ مرتبة الاجتهاد .

كما تقوم المشكلة أيضا ، في تهيؤ المجتهد الورع التقي ، فقد ذهب معظم الأصوليين إلى اشتراط الورع في أهل الاجماع ؛ والفسقة وإن كانوا بالغين في الفقه مبلغ الاجتهاد ، لا يعتبر خلافهم ولا وفاقهم ـ كما يقول إمام الحرمين ـ فإنهم بفسقهم خارجون عن الفتوى ، والفاسق غير مصدق فيما يقول ، وافق أو خالف .

والذين ترجموا للنظام ، المنكر للاجماع ، ذكروا من فسقه ما تتهافت له أقواله وآراؤه ، مما لايليق بالعامة ، فضلا عن أهل العلم والاجتهاد .

والشبهة التي يتذرع بها المنكرون للاجماع ، هي أنّا مأمورون بنص القرآن الكريم ، برد الأمر عند النزاع إلى الله ورسوله فقط ، لا إلى الاجماع ،

وهذه شبهة تحمل ردها ، لأن الرد إلى هذين المصدرين الكريمين ، إنما يكون عند النزاع ؛ والاجماع على حكم ما ، يعني أنه لانزاع فيه ، ولا معنى للاجماع إلا عدم النزاع .

الواقعية والمثالية في الاسلام

للدكتور / محمد أحمد العزب

حين نتأمل تعريف الواقعية والمثالية في غير الاسلام ، وتعريفهما من الوجهة الاسلامية ، نكون قد بدأنا نمسك على الفور بطبيعة المدخل الذي يمكن من خلاله أن نفضي إلى واقعية بلا كذب ، وإلى مثالية بلا تزوير .. أو فلنقل : إلى واقعية مثالية تكسر طوق انحصارها في ما هو واقع فحسب ، وإلى مثالية واقعية ، ترفض أن تصير مجرد همهمة فارغة بلا قابلية للتحقق الوجودي .

فالواقعية ـ في غير الاسلام ـ معناها : «ذلك المذهب الذي يقرر وجود العالم الخارجي مستقلا عن الفكر» والمثالية ـ في غير الاسلام ـ معناها : « الميتافيزيقا أي ذلك الميل الفلسفي الذي يرجع جميع أنواع الوجود الى الفكر سواء أكان فرديا أم لا . فمعنى وجود الاشياء ، هو إدراك الانسان لها . ولا وجود لها في ذاتها » .

هذه تعريفات آثرت أن أنقلها حرفيا عن : « معجم المصطلحات العربية » حتى لا يظن بنا نوع من الافتيات على هذه الواقعيات او هذه المثاليات ، فما الذي تمخض عنه هذا التصور غير الاسلامي للواقع وللمثال على السواء ؟

تمخض عنه أن المثالية أصبحت تحديقا في غير الواقعي ، أي مجرد حركة جوفاء فارغة من المضمون ، فإذا أحسنا بها الظن إلى مدى أبعد ، كانت مجرد حركة مليئة بالمضامين الخرافية والأسطورية التي ترفض الواقع ولا ترشده ، وتحلق فوقه ولا تحلق به ، وهذا نزوع مدمر من كل اتجاه ، لأن الفكر المثالي حين يعيش واقع الخرافة لا واقع الواقع ، إنما يمهد في نفس اللحظة لتدمير الواقع بالخرافة ، وتدمير المثال بتفريغه تماما من مضمونه التاريخي .

وإذا كانت المثالية ـ في غير الاسلام ـ تحليقا غير مسئول في الفضاء الأسطوري والخرافي ـ فإن الواقعية ـ في غير الاسلام كذلك ـ تقف من ذلك على النقيض ، أي أنها تلتحم بالواقع التحاما مباشرا ، ولكن

على انه واقع بلا ضمير ، واقع ينزع في صدوره عن شرية مطلقة ، في بواعثه وظواهره معا ، واقع محكوم بالخسة ، والنذالة ، والجبن ، والاغتصاب ، والشر بلا حدود ، حتى أن فيلسوف هذه الواقعية : « بلزاك » كان يقول على لسان أحد أبطاله : « يجب أن تسقط بين الناس كقنبلة ، أو تتسلل بينهم كوباء ، أما الشرف فلا فائدة منه ، إن الناس ينحنون أمام قوة العبقرية وهم يكرهونها » ..

وعلى هذا النحو من التشاؤم والسوداوية المطلقة عمقت الواقعية من مفهومها الأساسي : في المسرح ، والقصة ، والتصوير ، والنحت ، والفلسفة ، وقاد زعماؤها عملية الابداع الفنى والفكري تحت رايتها الوبيلة من هذا المنظور .

ولم تستطع هذه الواقعية ان تنجو حتى من مخالب بعض سدنتها ، فقد هب العديد من هؤلاء يرفضون انحصار الواقع في هذا الفهم الغليظ ، حتى صرخ أحدهم : « يجب الا نقصر ذلك الواقع على العالم الخارجي الموجود بشكل مستقل عن وعينا ، فالشيء الموجود بشكل مستقل عن وعينا هو المادة ، اما الواقع فيضم جميع التأثيرات المتبادلة العديدة التي يمكن أن يدخل فيها الانسان بقدرته على التجربة والفهم ، إن الفنان الذي يرسم منظرا طبيعيا يستفيد بقوانين الطبيعة التي اكتشفها علماء الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا ، لكن ما يصوره في الفن ليس هو الطبيعة المستقلة عن شخصه ، وإنما هو المنظر الطبيعي كما يبدو من خلال إحساسه ، ومن خلال تجربته الخاصة ، وليس الفنان مجرد أداة مرتبطة بجهاز حسي يستطيع إدراك العالم الخارجي ، بل هو ـ ايضا ـ ينتمي إلى عصر معين ، وطبقة محددة ، وأمة بعينها ، وله مزاجه الخاص ، وشخصيته المستقلة ، ولهذه كلها دورها في تحديد الأسلوب الذي يرى به ، ويعاين ، ويصور المنظر الطبيعي ، إنها جميعا تشترك في خلق واقع أكبر بكثير من مجرد مجموعة الاشجار والصخور والسحب مجموعة الأشياء التي يمكن أن توازن أو تحسب أو تقاس ، إن هذا الواقع تحدده جزئيا نظرة الفنان الفردية والجماعية ، والواقع في شموله هو مجموع العلاقات بين الذات والموضوع ، لا ماضيا فحسب ، بل ومستقبلا ايضا ، لا أحداثا فحسب ، بل وتجارب ذاتية ، وأحلاما ومخاوف وعواطف وخيالات كذلك » ... فإذا كان ذلك من المنحى الفني ، فما بالنا بالمنحى العقيدي الذي ينطوي على مفردات هائلة هذه بعض جزئياتها الصغيرة ؟

وإذن ، فنحن حين نرفض الواقعية ـ غير الاسلامية ـ والمثالية ـ غير الاسلامية كذلك ـ إنما نرفض بالتحديد نوعيات من الخرافة الساذجة التي لا تحرك الواقع في اتجاهه الصوابي ، لانها مشغولة عن هذه المسئولية بتأمل اسطوري فارغ من المضمون !! ونرفض كذلك نوعيات من التعامل الأبكم مع هذا الواقع الكبير ، الذي يضم ملايين الارتفاعات الشاهقة ، ولا يعيش هكذا كما

يريدونه بائسا في قاع أنحطاط واقعي مخيف .

من قال إذن : بأن المثالية الراشدة يمكن فقط أن تكون تحديقا في المضمون الخرافي والاسطوري ؟ مع أنها من الوجهة الاسلامية تحديد مثال ينبغي للواقع أن يزحف صوبه بلا إبطاء ، حتى يحيله إلى مثال واقع ، وليس مجرد مثال محايد !! ومن قال : بأن الواقعية الراشدة يمكن فقط أن تكون حركة دائرية لا تتطلع إلى ما هو خارج نطاقها المادي الغليظ ؟ مع أن كل الأديان السماوية ما جاءت إلا لكي تنقذ هذا الواقع من انحصاره البائس في واقعيته المحدودة ، وتشرف به على واقع أجمل وأرقى ، واقع تتسع أرجاؤه حتى تصبح الأرض مجرد واقع على خريطته الكبيرة !!

وإذا اتفقنا أساسا على ان الاسلام الحنيف هو الدين الذي أصّل للواقعية والمثالية معا من وجهات متكافئة ، فلماذا لا نتفق كذلك على أن الواقع المسلم المعاصر يبدو في أشد الحاجة إلى عودة حميمة للاحتماء بقلاع إسلامه من جديد ؟

لقد تخلى الواقع المسلم المعاصر عن واقعيته ومثاليته جميعا .. إلا من عصم الله .. وحين فعل ذلك بدا واقعا معطوبا .. فارغا .. ممزقا .. كاسدا .. متسولا بلا حدود !! وتخلت المثالية المسلمة المعاصرة عن مثاليتها وواقعيتها جميعا .. إلا من عصم الله .. وحين فعلت ذلك ، بدت مثالية خائفة .. منزوية .. عاجزة .. غير قادرة على توصيل ذاتها إلى الآخرين !!

لماذا هذا البوار التاريخي ؟ .. وفي أيدينا مشاعل قهرت كل التاريخ .. وظلت صامدة مضيئة قادرة على الاشعاع والتواصل ، وفضح كل زوايا الاعتام والاظلام ؟ ربما كان مثل هذا البوار التاريخي .. لاننا تصورنا أن مجرد انتمائنا إلى الاسلام .. شكلا لامضمونا .. وقولا لا حركة فاعلة .. يمكن أن يعصمنا من الانهيار الذي نعاني بعضه الآن .. وهذه هي الوضعية المضللة التي حذرنا الاسلام من مجرد اقترافها .. فالايمان تكليف .. ومكابدة عمل .. ومسئولية وجود .. وحافز فتح مع كل الوجود حتى يسلم وجهه لله .. ليس الايمان ابدا أن أقول .. آمنت .. ثم انحرف .. ولكن أن أقول : آمنت ... ثم استقيم : « قل امنت بالله .. ثم استقم » رواه احمد

والانحراف هنا ليس مجرد انحراف سلوكي صغير .. ولكنه انحراف عن الفقه الحقيقي ... وانحراف عن القتال المصيري .. وانحراف عن التطور العاقل .. وانحراف عن الحضارة الممتلئة .. وانحراف عن الواقع النظيف .. وانحراف عن المثال الفاعل !! والاستقامة هنا ليست مجرد استقامة سلوكية محدودة .. ولكنها استقامة على المنهج الشمولي اي على طريق الحق... والخير .. والازدهار .. والتفتح .. والانماء .. وتعلية كل الوجود المسلم محتوى وإطارا ...

ولو أن المعادلة كانت مجرد انتماء شكلي إلى الاسلام ثم لا شيء ، أي

مجرد رفع الشعار ، لما كابد الرعيل الاول معاناة صدامه مع كل القوى التاريخية المعاصرة له .. ولما انتضى المسلمون سيوفهم في وجه أعتى قوى مسلحة في العالم آنذاك .. ولما أمرنا نحن بالمرابطة في سبيل الله .. على الحدود ... والثغور .. والتخوم .. حتى لا تكون فتنة .. ويكون الدين لله .. ولكن المعادلة كانت وما تزال وستظل إن شاء الله ، انتماء وجود إلى وجود ، أي انتماء وجود إنساني إلى وجود عقيدي ، يتبادلان من خلاله جدل الحياة ، وحتمية الكون ، وبقاء النظير في النظير !!

ولماذا نجهد ذاكرتنا المكدودة في تعليل هذه الوضعية الحضارية المخيفة التي نحياها !!

إن البوار التاريخي الذي نعاني منه الآن .. حصاد طبيعي .. او لنقل غير طبيعي .. للواقع الممزق الذي نعاني منه الآن وقبل الآن ..... هذا الواقع الممزق .. هو الآخر حصاد طبيعي .. او غير طبيعي .. لبعض تصورنا الآني المريض .. لما ينبغي ان يكون عليه الواقع المسلم اي ان المثال الذي وضعه البعض في غيبة من الوعي الاسلامي شرطا لواقعية اسلامية جديدة .. كان مغلوطا من بعض جوانبه على الأقل .

والمحصلة : هي ما نرى من تمزق في العالم الاسلامي .. وتشتت في الفكر الديني .. وتخلف في الوضع الحضاري .. وارتباك في العلاقات الدولية .. لأن شرط النهوض الاسلامي ينبغي أن يبدأ من هذا المنطلق ؛ أن يكون قرآني الصدور .. محمدي السيف .. إسلامي الموقف .. وبعدها تجيء واقعية مسلمة بحجم كل الواقع وكل المثال .. أما أن نقاتل بسيوفهم أو بلا سيف .. ونندفع براياتهم او بلا راية .. ونتحرك في اتجاههم أو بلا اتجاه .. فإن ذلك يعني على الفور اننا نسير اشواطا مخيفة الى الوراء .. واننا نقتل اروع مافينا .. تطلعا إلى أقبح ما في ايدي الأغيار ... لأننا سنصل في النهاية ـ إن وصلنا ـ إلى واقع يصادم طبيعة الواقع الاسلامي ، وإلى مثل منافية بطبيعتها للمثال الاسلامي .. وماذا يمكن أن ننتظر ، حين نفقد المنطلق ؟ غير أن نفقد القرار ؟!

من هنا .. فإن الواقعية الاسلامية المعاصرة لا ينبغي أن تظل تنظيرا فكريا مجردا .. ولا ينبغي ان تظل المثالية الاسلامية المعاصرة حلما غير مأمول الوصول .. وإنما ينبغي ان تستحيل الواقعية الاسلامية الى تعبير عن واقع حي .. والمثالية الاسلامية إلى تجسيد لمجرد القيمة في مطلق الفعل .. وعندها .. يجوز لنا أن نتحدث عن واقعية اسلامية حقيقية .. وايضا عن مثالية اسلامية حقيقية .. فرضا شروطهما على التاريخ يوم كان التاريخ رجالا لا مجرد سطور ..

وسيعيد التاريخ نفسه إن شاء الله .. فنتحدث بصيغ قرآنية صرفة ..

ونتحرك بنا لا بسوانا .. ونتجه إلى الله بقلوب تتسع لعطاياه .. وليس ذلك ببعيد إن شاء الله !!



كذبة

اتهام العرب بإحراق مكتبة الاسكندرية كذبة قديمة ظلت تتردد في كتب بعض المستشرقين والكهنة والمؤرخين زمنا طويلا حتى افتضح أمرها وانكشف سترها على أيدي بعض المؤرخين الأوروبيين المنصفين الذين ظهر مما كتبوه عن تلك المكتبة أنها أحرقت مرتين على ايدي الرومان وذلك قبل أن يفتح العرب الاسكندرية بوقت طويل. وكنا نظن أن ظهور الحقيقة بهذا الوضوح والجلاء سوف يؤدي الى اختفاء هذه الأكذوبة من الكتب التي تتناول التاريخ الاسلامي، ولكن تبين - وهذا مما يؤسف له حقا - أن البعض يصرون على ترديد الاكذوبة لأمر في نفوسهم يبدو أنه بلغ من الاستحكام حدا أصبح معه مرضا وبيلا وداء عضالا لا برء لهم منه.

فمنذ أيام أطلعني شاب أقوم بالإشراف على أطروحته التي يعدها للحصول على درجة الدكتوراة على كتاب اشتراه من معرض القاهرة الدولي للكتاب وكان يبدو عليه الأسى بشكل واضح وهو يسألني هل حقا أن العرب عندما فتحوا الاسكندرية احرقوا مكتبتها التي كانت تعد إحدى عجائب الدنيا السبع، وأنه كان يوجد بها نصف مليون كتاب تحتوي على أعظم ما أنتجته عقول العلماء والمفكرين على مر العصور؟ فلما سألته من أين جاء بهذا الكلام أسرع الى الكتاب

مفضوحة

للدكتور / احمد علي المجدوب

يقلب صفحاته وكله ثقة ، بل وما يشبه التحدي ، حتى وقف عند صفحة اطلعني على ما فيها ، وكان قدوضع خطا بالقلم بامتداد السطر الذي عبرت كلماته عن هذه الاكذوبة . وعدت الى قراءة عنوان الكتاب على الغلاف الأزرق الأنيق ، فإذا به « تاريخ الكنيسة المسيحية » واسم مؤلفه سمير نوف ، وهو كما يبدو من اسمه روسي ولكن المعرّب عربي يدعى « المطران الكسندروس جحا » فعدت الى الصفحة التي وردت بها الأكذوبة ظنا مني بأنني لم ألتفت الى تعليق او تعقيب أو تصحيح ربما يكون المطران العربي الفاضل قد وضعه في المتن بين قوسين او في الهامش على عادة المعربين الذين يهمهم اظهار الحقائق ، ولكنني ، للأسف لم أجد شيئا من ذلك . فقلت لنفسي لعل الكتاب قديم صدر وعرب قبل افتضاح الاكذوبة ، وللمرة الثانية عدت أقلب الصفحات الأولى للكتاب باحثا عن تاريخ الكتاب ، فإذا بي أفاجأ بأنه صدر في سنة ١٩١١ في طبعة ثالثة وأنه عرب في منتصف عام ١٩٦٤ أي بعد أن كان أمر الأكذوبة قد افتضح وعلم به القاصي والداني ، وبعد أن هلل له الكتاب العرب في الصحف والمجلات والكتب فرحين ببراءة ساحة اسلافهم ، فلماذا يأتي المطران الكسندروس جحا بعد كل هذا الوقت ويبعث تلك الأكذوبة من

قبرها ويفسد بها عقول الشباب الذين لم يعاصروا الضجة التي اقترنت بها الأكذوبة سواء في حياتها أو حين موتها ، ولماذا لم يعقب على ما قاله المؤلف الروسي الجاهل حتى لا يتسبب في إصابة الشباب ممن قد يوقعهم حظهم العاثر في كتابه بإحساس بالنقص والدونية لانتمائهم الى أسلاف أجلاف متبربرين جهلاء جنوا على الانسانية اعظم جناية فحرموها من ثروتها العلمية والفكرية التي جمعتها خلال عشرات القرون ، والتي لا يمكن تعويضها بسهولة مما كان من شأنه أن أخر رحلة الانسان على طريق التقدم .

ونظرت الى الشاب الحزين في اشفاق وأنا أقول له يا بني لا تصدق هذا الكلام ، انه كذب فلم يحدث أن أحرق العرب مكتبة الاسكندرية لسبب بسيط هو انه لم تكن هناك مكتبة بالاسكندرية عندما فتحها أجدادك لأن الرومان أجداد أصحاب الفرية كانوا قد سبقوا وأحرقوها مرتين لا مرة واحدة ، ولو أن أجدادك وجدوها لحافظوا عليها ولاستفادوا مما كان فيها من كتب كما فعلوا بما وجدوه من كتب في كل دولة من الدول التي فتحوها ، واليك ما قاله بعض المؤرخين المنصفين من أبناء الغرب ، ان كنت لا تصدقني .

يقول جوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » ،« وأما احراق مكتبة الاسكندرية المزعوم فمن الأعمال الهمجية التي تأباها عادات العرب ، والتي تجعل المرء يسأل : كيف جازت هذه القصة على بعض العلماء الأعلام زمنا طويلا ؟ وهذه القصة دحضت في زماننا فلا نرى ان نعود الى البحث فيها ، ولا شيء أسهل من أن نثبت بما لدينا من الأدلة الواضحة ان النصارى هم الذين احرقوا كتب المشركين في الاسكندرية قبل الفتح العربي بعناية كالتي هدموا بها التماثيل ولم يبق منها ما يحرق». ويضيف لوبون قائلا : « لم يكد فتح الرومان لها « اي للاسكندرية » يتم حتى اخذت تنهض وتنتعش وصارت ثانية المدن في الدولة الرومانية ، ولكن هذا الرخاء كان مؤقتا ، فهي لم تلبث ان صارت مسرحا للخلافات الدينية ، وتوالت فيها الثورات والفتن منذ القرن الثالث مع ما قام به القياصرة من أعمال القمع ، ولما أصبحت النصرانية دين الدولة الرسمي أمر القيصر النصراني « ثيودوز » بابادة معابدها وتماثيلها وكتبها الوثنية كما ذكرنا ذلك آنفا » .

هذا ما قاله جوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » الذي نشره سنة ١٨٨٤ ، أي قبل أن ينشر الروسي « سمير نوف » كتابه عن تاريخ الكنيسة المسيحية « فهل لم تتح له الفرصة ليقرأ هذا الكتاب ؟ واذا لم يكن قد قرأه ، وهذا في حد ذاته عيب خطير وخطأ كبير ، من شأنه أن ينتقص من القيمة العلمية للكتاب فهل فات المطران الكسندروس هو الآخر أن يقرأه ،

على الرغم من ذيوع صيت الكتاب والضجة التي أثارها عند صدوره نظرا لما اشتمل عليه من آراء خالفت معظم ما كان أعداء الاسلام قد أشاعوه عنه. أم أن المطران سوف يتعلل بأن كتاب لوبون كان قد نشر باللغة الفرنسية التي قد يزعم أنه لا يقرأ بها، ولكن ما رأيه في أن الكتاب قد ترجم الى لغات أخرى كثيرة منها الانجليزية والالمانية والاسبانية، أم أن المطران لا يعرف إلا اللغة الروسية ؟!

أما اذا افترضنا ان كتاب « لوبون » لم يصل الى يد المطران لسبب أو لآخر، فإننا نستبعد أن يكون قد تعذر عليه الحصول على الكتاب الشهير للمؤرخ الانجليزي « ادوارد جيبون » الذي عنوانه : « اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها » الذي صدر في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وعلى سبيل التحديد في الفترة من عام ١٧٧٦ الى ١٧٨٣، حيث إن هذا الكتاب يهم المطران والذي يعنيه كما هو واضح أن يقدم للناس فكرة كاملة عن تاريخ الكنيسة المسيحية، والا فلماذا تحمل عناء ترجمة كتاب سمير نوف ؟ أم أن المطران لم يجد في كتاب « جيبون » ما يروي ظمأه الى الطعن في الاسلام والكيد للمسلمين، بل وجد فيه ما يسيء، الى الكنيسة المسيحية وتاريخها، الذي وصفه « جيبون » بأنه مشين فصرف النظر عنه تماما حتى أنه لم يلاحظ ما قاله المؤرخ الانجليزي في الفصل الحادي والخمسين من المجلد الثالث الذي تناول فيه أكذوبة إحراق العرب لمكتبة الاسكندرية.

ومع ذلك ولفائدة المطران (العالم) فإننا سنذكر له ما قاله « جيبون » لعله يتذكره إذا فكر في ترجمة كتاب آخر من تلك الكتب التي تشتمل على أكاذيب من هذا النوع المفضوح.

يقول جيبون : « ولكني أميل بشدة - وهذا رأيي الخاص - الى إنكار هذه الواقعة ونتائجها كلية فالواقعة حقا غريبة » ولا يكتفي جيبون بالإنكار فقط، بل يسوق مبررات منطقية لإنكاره للواقعة المزعومة فيقول : « إن ما نسب الى عمر بن الخطاب من أنه أمر بإحراق المؤلفات اليونانية التي كانت المكتبة تضمها بزعم أن عمر قال : « إنها لو كانت تتفق وكتاب الله فلا فائدة منها ولا حاجة بنا الى حفظها، وان كانت مخالفة فهي ضارة ويجب إعدامها » هذا القول - في رأي جيبون - يتناقض مع شريعة فقهاء المسلمين الصحيحة السليمة. فهم يقررون في جلاء ان كتب اليهود والمسيحيين الدينية التي تم الاستيلاء عليها بحق الفتح لا يجوز مطلقا إحراقها. أما كتب العلوم الدنسة الأخرى ككتب التاريخ والشعر والفلسفة فمن الجائز استخدامها لينتفع بها المؤمنون. كذلك برر جيبون إنكاره للواقعة، بما سبق ان أصاب مكتبة الاسكندرية من كوارث على أيدي المسيحيين أنفسهم، كالحريق الذي اشعله

قيصر عمدا دفاعا عن نفسه، والتعصب الضار لدى المسيحيين الذين وجهوا حماسهم الى تدمير آثار الوثنية، ومن بينها المكتبة، مما ينفي، حتى لو افترضنا ان العرب قد احرقوها، أن يكون ما بقي بمكتبة الاسكندرية وبغيرها من كتب يصل الى أربعمائة او سبعمائة الف مجلد، اتهم العرب بأنهم وزعوها على حمامات المدينة، وكان عددها اربعة آلاف حمام، بحيث أن ستة أشهر لم تكن كافية إلا بصعوبة لاستهلاك هذا الوقود الثمين.

وينفي جيبون أن يكون ما بقي بمكتبة الاسكندرية وبغيرها من كتب يصل الى هذا العدد المزعوم، ويقول بسخريته المعهودة: « ولكن إن كانت المجلدات الضخمة التي ألفت في النزاع الذي اثاره أتباع آريوس أو أتباع الطبيعة الواحدة، هي التي أحرقت حقا في حمامات الاسكندرية فقد يسلم الفيلسوف وعلى شفتيه ابتسامة، بأن هذا كان في النهاية من مصلحة البشرية.

ويدلل جيبون على أن ما فقدته البشرية من تراث فكري، اذا صح ما زعم عن إحراق العرب لمكتبة الاسكندرية لم يكن شيئا له قيمة كما ادعى بذلك الذين اتهموا العرب.. وذلك بقوله: « ومع ذلك فينبغي ان نذكر مع الحمد والشكر ان كوارث الأيام وأحداثها قد تركت لنا مؤلفات كلاسيكية كانت لها الصدارة بإجماع الآراء، في العالم القديم، من حيث العبقرية والشهرة. فمعلمو المعرفة القديمة الذين وصلوا الينا كانوا قد تصفحوا وقارنوا كتب أسلافهم. فلا يمكن أن يزعم أحد حقا أن نظرية هامة أو كشفا نافعا في الفن أو الطبيعة قد حرمت منه القرون الحديثة المحبة للاستطلاع » بقي ان نعرف من أين جاءت تهمة إحراق العرب لمكتبة الاسكندرية.

يقول « ادوارد جيبون » إن تهمة احراق المسلمين لمكتبة الاسكندرية ظهرت أول ما ظهرت في كتاب لأبي الفرج، وهو كما نلاحظ اسما عربياً، فمن هو ابو الفرج هذا. جاء في دائرة المعارف الاسلامية أن هذا الاسم هو لابن العبرى غريغوريوس ابو الفرج: مؤرخ عربي وآخر القدماء من مؤلفي السريان، ولد عام ١٢٢٦ ميلادية في ملطية وكان أبوه طبيبا يهوديا اعتنق النصرانية، ومن ثم جاء لقبه « ابن العبري » الذي اشتهر به ولم يكن يميل اليه كل الميل.

ويقول المستشرق الفرنسي « سيديو » في كتابه تاريخ العرب العام « ما نصه: « وانتهى الينا من أبي الفرج الملطي كتاب (تاريخ مختصر الدول) منذ بدء العالم، وفي هذا التاريخ أخبار ذات قيمة عن العرب، والمغول وفتوح جنكيز خان. وولد ابو الفرج هذا في ملطية، ومات سنة ١٢٨٦ ميلادية، ويعرف ابو الفرج بابن العبري ايضا، وكان من طائفة السريان اليعاقبة فصار اسقفا على

جوباس ثم اسقفا على لاقبين ثم مفريانا (والمفريان كلمة سريانية معناها المثمر، والمفريان هنا بمعنى نائب البطرك كما اصطلح عليه السريان اليعاقبة) على يعاقبة المشرق، ولأبي الفرج عدة رسائل في اللاهوت والفلسفة، والف ابو الفرج تاريخه ذلك بالسريانية فطلب اليه بعض الأصحاب أن ينقله الى العربية ففعل.

وهكذا نعرف أن مصدر الأكذوبة هو الأسقف غريغوريوس أو ابن العبري كما كان يعرف، ومن ثم فإننا لا يجب أن ندهش اذا كان من يبعث الاكذوبة من قبرها السحيق هو المطران الكسندروس جحا. ولكن ما يبعث على الدهشة، بل والأسى ان الرجلين ينتميان الى طائفة لم ينلها من المسلمين والعرب أي أذى او ضرر، بل عاشت بينهم آمنة مطمئنة تنعم بالحرية والسلام، بل ان هذه الطائفة بالذات حظيت بحماية العرب لها من اضطهاد الطوائف النصرانية الأخرى، وتقلد بعض المنتمين اليها ارفع المناصب في الدولة الاسلامية فكان منهم الكتاب والوزراء والاطباء الذين يأمنهم الخلفاء على أرواحهم. فلماذا يتعمدون الإساءة الى الذين أكرموهم واحسنوا اليهم. وهل هذا هو ما دعا اليه وبشر به السيد المسيح عليه السلام ؟

والأعجب من هذا والأغرب أن الأنجليز والفرنسيين وغيرهم ممن عرفوا بمعاداة الاسلام والكيد له لم يجرؤوا على ترديد هذه الأكذوبة بعد ان تبين لهم افتضاحها وتناقضها مع حقائق التاريخ الثابتة فهذه دائرة المعارف الامريكية، فيما اشتملت عليه من بيانات عن مكتبة الاسكندرية لا تذكر أن العرب هم الذين احرقوها، بل تذكر الحقيقة، وهي: « أن المكتبة دمرت اثناء الفترة البطلمية، فقد لحق الدمار بالجزء الأساسي من المكتبة بسبب النار التي اشتعلت في منطقة البروكيوم عند غزو يوليوس قيصر للاسكندرية سنة ٤٧ قبل الميلاد. كما نهبت المكتبة في الحرب الاهلية التي وقعت أثناء حكم الامبراطور الروماني أورليان في نهاية عام ٢٠٠ ميلادية وبقيت مجموعة الكتب التي في مكتبة السيرابيوم حتى سنة ٣٩١ ميلادية عندما قام المسيحيون عقب صدور مرسوم الإمبراطور ثيودوسيوس، بتدمير المعبد وكتبه الأدبية الثمينة.

أما الموسوعة العربية الميسرة وهي معربة عن الموسوعات الأمريكية فإنها تضيف الى ما تقدم انه « لما وصل يوليوس قيصر الى الإسكندرية نشبت معركة بحرية واشتعل حريق هائل أتلف دار صناعة السفن وما جاورها من المباني، وفيها مكتبة الاسكندرية العظمى، وذهب المؤرخ بلوتارك الى أن مقدار ما التهمته النيران في تلك الحادثة بلغ اربعمائة ألف

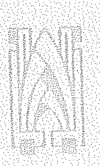
مجلد ، وبذلك فقدت الحضارة تراثا لا يمكن ان يعوض . رأى يوليوس قيصر أن يعوض مصر عن هذه الخسارة العلمية ، فأهدى الى كليوبطرة ما يقرب من مائتي الف مجلد ، غنمها من مكتبات ملوك برجامون ، وقد اودعت هذه المجموعة احد المعابد . والمعروف ان هذا المعبد ومكتبته قد دمرا اثناء الثورات التي وقعت في سنة ٣٦٦ م اما مكتبة السرابيوم فقد امتدت اليها في القرن الرابع يد التدمير ، فنقل بعض كتبها الى القسطنطينية وتشتت الباقي حوالي ٣٩١ م .

كذلك فإنه لم يرد أي ذكر لاحراق العرب مكتبة الاسكندرية فيما كتب في دائرة المعارف الامريكية عن عمرو بن العاص الذي فتحها وكل ما ذكرته هذه الدائرة انه قام بتدمير سور المدينة بعد ان استردها من الرومان الذين كانوا قد عادوا اليها من البحر .

وهكذا نلاحظ ان الرومان لم يكتفوا بإحراق مكتبة الاسكندرية في عهد يوليوس قيصر ، بل ونهبوا مكتبات ملوك برجامون فجمعوا الى الإحراق السرقة والنهب لأن هذا كأن ديدنهم في كل بلد دخلوه ، وليس العرب هم الذين أحرقوا ونهبوا أيها المطران .

وأخيرا فإن الشباب المسلم يواجه خطرا عظيما يهدد عقله وفكره ، بل وكل مقومات شخصيته لأنه عندما يقرأ في كتاب منشور باللغة العربية وعليه اسم من قام بترجمته وهو على ما يبدو قسيس عربي أن اسلافه احرقوا مكتبة الاسكندرية وجعلوا من كتبها التي بلغ عدد مجلداتها حوالي الخمسمائة الف مجلد طعاما للنيران على الرغم مما كانت تحتوي عليه من علم وفن وأدب فحرموا بذلك البشرية من هذا التراث الانساني العظيم ، فإنه يكون معذورا اذا شعر بالضيق والاستهجان لسلوكهم الهمجي ورأى في انتسابه عارا وأي عار .

وأنت ايها المطران الذي لا أدري بماذا أصفه نصيحتي إليك أن تخلو الى نفسك وتراجع ما قاله السيد المسيح عن أحبار بني اسرائيل الذين كانوا يفعلون مثل فعلك ، فلعلك تثوب الى رشدك وتكف عن هذا اللغو وتتقي الله في أناس أكرموك واحسنوا اليك فإذا بك ترد إحسانهم بالاساءة وكرمهم بالجحود ، وأعلم ايها الرجل ان الله الذي تعبده لا يرضي عن سلوكك هذا وسيحاسبك عليه وعلى غيره فلا تظنن انك بما تفعل تتقرب اليه ، فهو جل شأنه لا يرضى بالكذب ولا يحب الكذابين والمفترين والظالمين . هداك الله وشفاك مما انت فيه ..



قرأت لك

من كلام النبوة

في حجة الوداع خطب رسول الانسانية محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطبته الخالدة الجامعة ـ كما رواها ابن هشام في كتابه « السيرة النبوية » الجزء الرابع ، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه ، قال :ـ

« أيها الناس ، اسمعوا قولي ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ؛ أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلّغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم ، لاتظلمون ولا تظلمون . قضى الله أنه لارباً ، وإن ربا عباس بن عبدالمطلب موضوع كله ، وان كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، وكان مُسترضعا في بني ليث ، فقتلته هُذيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يُعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النسيء زيادة في الكفر يُضلُّ به الذين كفروا يحلّونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ماحرم الله ، ويحرّموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر ،الذي بين جمادي وشعبان . أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لايأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عندكم عوان لايملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمُن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامريء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم : اللهم هل بلغت ؟

يقول ابن إسحاق :ـ

فذكر لي أن الناس قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .



والأضرار الفسيولوجية والاجتماعية

للمهندس/ محمد عبد القادر الفقي

هي أم الكبائر .. وربيبة الشيطان .. وساترة العقل .. تعددت أسماؤها وتغيرت مع تغير الأيام .. وعرف الانسان شرورها وآثامها ، ومع ذلك فالنواسيون لا يزالون يتداوون بسمومها في المشرق وفي المغرب ، وما كانت يوما بدواء ، وإنما هي الداء الذي يخامر العقل فيغطيه ، ويفتك بالخلايا العصبية للمخ ، حتى يصير وعي الانسان في إجازة .. وحدث ما حلا لك الحديث عما يمكن أن يحدث في مثل هذه الاجازة المرضية النفسية من أوبئة أخلاقية وجرائم .

ويقول الدكتور عبدالعزيز اسماعيل في كتابه القيم عن « الاسلام والطب الحديث » يتناول تفسير قول الحق سبحانه وتعالى : « **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما** » .. البقرة/ آية ٢١٩ .

« الخمر أساسها مادة الكحول ، وهذه المادة توجد بنسبة خفيفة في جسم الانسان في عملية هضم المواد السكرية (الجلوكوز) مثل الموجود في العسل ، ولها فوائدها طبيا ، ولكن يظهر أن هذه الفوائد مقصورة على هذا القدر البسيط جدا ، فإن زاد عن

ذلك أحدث ضررا ، خصوصا إذا كان التعاطي لمدة طويلة ، فإنه يحدث التهابا مزمنا في الأعصاب وفي الكلى ، وتصلبا في الشرايين ، وتحجرا في الكبد ، وضعفا في القلب » .

كثيره وقليله ضار :

ويستطرد الدكتور عبد العزيز اسماعيل قائلا :

« ورب سائل يقول : لم لايؤخذ منه (أي الكحول) مقدار بسيط ، والجواب أن الكحول يختلف عن أغلب المواد في أنه حتى بالمقادير البسيطة تحدث أضرارا في قوة الارادة والتحكم وتزداد به الانفعالات النفسية ، وهذا هو الخطر لأن الشخص يصبح شخصا آخر ، وإرادته تصبح غير إرادته الطبيعية ، مع علمه بضرر

الزيادة في حالته الاعتيادية فإنه لايقوى على منع نفسه وهو تحت تأثير (المقدار) البسيط منه ، وقد يحدث

الشيء البسيط منه حركة انتعاش ، ولكن ضعف الإرادة يجعل الشخص عبدا لعادة شرب الخمر » .

وهو تفسير معقول ومقبول لنفهم حديث المصطفى - صلوات الله وتسليماته عليه - الذي يحرم شرب

الخمر، حتى ولو كانت بكميات قليلة ، حيث يقول - عليه أفضل الصلاة والسلام :

.. ما أسكر كثيره فقليله حرام »

تأثيرات فسيولوجية متعددة :

وحتى تتبين لك خطورة الخمر ، دعني أنقل لك رأي الطب في التأثيرات الفسيولوجية للكحول ، يقول الدكتور هشام إبراهيم الخطيب في كتابه (الوجيز في الطب الاسلامي) « إن للكحول تأثيرات فسيولوجية عديدة » ، وكلها ضارة ، ذكر منها ما تفعله بالقلب والأوعية الدموية ، حيث تزيد من سرعة دقات القلب ، وترفع الضغط الانقباضي مما يؤدي إلى حدوث توسع في الأوعية الدموية والجلدية ، وهذا بدوره يسبب زيادة التعرق ، ومن ثم يحدث انخفاض في درجة حرارة الجسم .

وبالنسبة للمعدة فإن الكحول يؤدي إلى زيادة إفراز حامض الهيدروكلوريك ، وهذا بدوره يؤدي إلى احتقان الأغشية المخاطية ومن ثم يحدث - مع الإدمان - التهاب المعدة الحاد .

ولا يمر الكحول في مكان إلا وينشر فيه الفساد والعدوان ، فهو يسبب حدوث تهيج في الأغشية المخاطية للفم والبلعوم ، ويؤدي إلى التهاب المرىء ، وعادة ما يعقب شرب الكحول حدوث تقيؤ شديد نتيجة لما يحدثه من تمزق في منطقة اتصال المرىء مع المعدة .

ومن الشائع أن ترى أعراض اضطراب وظيفة الجهاز الهضمي في النواسيين الذين يعاقرون الخمر ، خاصة : القيء والغثيان في الصباح ،

بالاضافة الى الأعراض الأخرى كانتفاخ البطن والتقيؤات الدموية ، وزيادة كمية البول نتيجة لتثبيط إطلاق الهرمون المضاد للإبالة من الغدة النخامية .

وشهد شاهد من أهلها :

إن الأبحاث العلمية التي تجري في دول العالم حول التأثيرات الفسيولوجية للكحول مستمرة ، وصيحات الاستنكار لا تنتهي ، والدعوة الى نبذ الخمر والمشروبات الكحولية ينادي بها الكثيرون من العقلاء في المجتمعات الشرقية والغربية التي ألفت شعوبها شرب الخمر أكثر من الماء .

إن الأبحاث العلمية الحديثة تضيف الى الأضرار الفسيولوجية التي أشرنا إليها أضرارا أخرى ، لعل أخطرها تأثير الخمر على الجنين وهو في رحم أمه ، حيث تحدث له عدة إصابات خلقية - بسكون اللام - كتوقف نمو الدماغ ، وصغر حجمه ، مما يؤثر على ذكاء الجنين ، وكذلك فإن الخمر تؤدي الى حدوث بعض العيوب في قلب الجنين أيضا ، مما يسبب تأخرا في نمو جسمه بصفة عامة ، وفي نفس الوقت، يكون ذلك الجنين معرضا للإصابة بأمراض التخلف العقلي ، كالعته والبلاهة .

وقد شهد شاهد من أهالي هذه المجتمعات بتأثيرات الخمر الفسيولوجية على مخ الانسان ، وهو العالم الفسيولوجي (بيرتون ألتورا) من جامعة يورك ، فقد قال في بحث نشر له : « **إن الكحول الذي يوجد في كأسين من كؤوس الكوكتيل يكون كافيا لكي تنقبض الأوعية الدموية في المخ ، ومن ثم ينخفض تدفق الدم فيه عن الحد الضروري مما يؤدي إلى حرمان بعض خلايا المخ العصبية من الأوكسجين الذي يتيح لها أن تقوم بوظيفتها بشكل مناسب** » .

وقد قام هذا العالم مع زوجته العالمة الفسيولوجية (بيللا) بدراسات على فئران التجارب والكلاب فاكتشفا أنه مع زيادة جرعات الكحول يتناقص تدفق الدم في المخ ، ويعلقان على ذلك بقولهما :

« إذا كان هذا هو ما يحدث في مخ الانسان ايضا ، فسيكون لدينا تفسير جيد للحالات المتباينة - بين بني البشر - من التسمم الكحولي » .

ومن المعروف أن التسمم الكحولي ينجم عن تناول كمية كبيرة من الكحول سواء كان الشخص معتادا على تناوله أم غير معتاد ، وتؤدي هذه الحالة - غالبا - إلى حدوث اضطراب في المشي والحركة ، بالإضافة الى الاعتداءات والمشاجرات التى لا مبرر لها ، وربما تؤدي الى ارتكاب الجرائم الجنسية وحالات الاغتصاب ، وهناك قصص كثيرة تحفل بها المخافر ومكاتب الشرطة عن جرائم اخلاقية تتم في حالات السكر والتسمم الكحولي .

ومن الخمر ما قتل :

ويقول الفسيولوجي (التورا) أيضا :

« ومع زيادة استهلاك الكحول ، فإن النقص المتزايد لتدفق الدم ، يؤثر أكثر ما يؤثر على مناطق المخ ، وهناك احتمال أن تعقب حالة الشعور بالنشاط والخفة (التي تنتاب شارب الخمر إثر تعاطيها) حالة من هبوط القدرة الجسدية ، وغياب الوعي ، والوفاة في بعض الأحيان » !

والخمر قد تؤدى إلى الموت .. ، ومع ذلك لا يتورع الكثيرون عن تجرعها ، ولا تتورع بعض الحكومات في تيسير طرق صناعتها وبيعها وتداولها وشربها ، إما بدعوى السياحة ، أو بدعوى التصنيع ،

عود على بدء :

ونعود لنستكمل ما نقلناه عن (ألتورا) ، حيث يضيف مفسرا كيف تزيد الخمر من معدلات حوادث السيارات :

« **إن بعض مناطق المخ التي ترتبط بالتفكير والتذكر وتحريك العضلات والتخلص من فضلات الجسم تحتاج أكثر من غيرها إلى تدفق الدم بمعدلات عالية ، وحرمان هذه المناطق مما تحتاجه من دم قد يكون فيه التفسير لارتفاع معدل حوادث السيارات بالنسبة للمخمورين** » .

ويكون أثر الخمر أشد خطورة على هؤلاء الذين يحتسون الخمر بكميات لم يعتادوا عليها ، فيحدث لهؤلاء أن تؤدي قلة إمدادات الدم في المخ إلى ما يشبه « السكتة المخية » ، والذين ماتوا نتيجة لذلك اكتشف الاطباء عند تشريحهم أن بعض الأنسجة في المخ لديهم تالفة وميتة ، ويعتقد الأطباء والباحثون أن هؤلاء يموتون لأن الكحول يمنع سريان الدم في أجزاء معينة من المخ .

اختلال الميزان :

إن المخ هو الميزان الذي يضبط حركة الجسم وكل ما فيه من أجهزة .

والخمر تؤدي إلى اختلال الميزان ، فاختلال التوازن !

وقد بينت الأبحاث العلمية التي أجراها (التورا) مع زوجته على الفئران أن الأوعية الدموية التي في المخ تكون ذات حساسية عالية جدا بالنسبة للكحول ، على النقيض من الأوعية الدموية التي توجد خارج المخ ، والتي تتأثر بشكل أقل ، ولا يظهر عليها أي أثر ملموس إلا في حالات تعاطي كميات كبيرة من الكحول ، لأن هذه الأوعية الخارجية تفرز عندئذ من المواد ما تقاوم به الكحول ، وهي مقدرة لا تتحقق في المخ .

الخمر والإبداع الأدبي والفني :

وإذا كانت للخمر هذه التأثيرات الضارة على المخ ، فمن الطبيعي أن تنعكس هذه التأثيرات على الانتاج الفكري للانسان ، وعلى إبداعه الأدبي والفني .

لقد وصف الخمر كاتب من أكبر الكتاب الانجليز في كتاب له فقال :

« إني لا أحس أني في شعوري وإدراكي إلا إذا كنت متأثرا بالخمر ، ولكنني في هذا الوقت وأنا سكران لا اعرف نفسي الأولى ».

لا يعرف هذا الكاتب نفسه الأولى أثناء السكر ، فكأنه في الحقيقة أضاع نفسه ، لأن عادة الخمر كانت شديدة عنده حتى أنه في الأوقات التي لا يشرب فيها يشعر ـ على حد وصفه ـ بكآبة وبؤس ، ولا يحس نفسه سعيدا ، وكأن شيئا ما ينقصه ، حتى إذا شرب شعر بسعادة ، ولكنها سعادة زائفة ، لأنه لا يكون في هذه الحالة طبيعيا ، بل هو سكران ، وقد مات هذا الكاتب في شبابه بالسل ، مع أنه لو عاش لم يستبعد ان يكون اكبر شاعر وكاتب كما قال عنه النقاد .

إن هذه الحكاية التي أوردناها هنا إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الخمر ـ حتى قليلها ـ لا يزيد قوة التفكير العميق ، بل يضعفها .

الكحول والكبد :

الكبد ـ كما هو معروف ـ بمثابة مرشح للجسم من السموم .
ويؤدي الكحول الى حدوث تشمع في الكبد ، ويسمى هذا التشمع بتشمع لينيك ، نسبة الى العالم (لينيك) أول من وصفه عام ١٨١٩م .
ومدمنو الكحول تظهر عندهم تشمعات كبدية ، وفي المراحل الأولى من التشمع ، يكون الكبد متضخما أصفر اللون ، وفي النهاية يتلف ويصغر حجمه .

ويؤدي الكحول ايضا الى تحويل الكبد إلى خازن للمواد الدهنية بمعدلات تفوق الحد الاعتيادي ، مما يسبب تشحم الكبد ، ومن ثم تقل كفاءة تخزينه للمواد الضرورية كالبروتين والجليكوجين .

المضار الاجتماعية للخمر :

ولايقتصر وباء الخمر في اضراره على من يتعاطاها فحسب ، بل تمتد إلى نسله ، وإلى المجتمع المحيط به .

يقول الطبيب المرحوم « محمد سعيد السيوطي » في كتابه « معجزات في الطب للنبي العربي محمد ـ صلى الله عليه وسلم » إنه « قد ثبت طبيا أن نسل مدمني الخمور ومافيه من ضعف في الجسد والعقل (بسبب إدمان الخمر) ينتقل من جيل إلى جيل .. إن رب العائلة السكير يهيىء لزوجته وأولاده فراش المرض لعدم استطاعته العمل عدد الساعات اليومية التي يعملها الرجل المعافى من إدمان الخمرة بسبب انصرافه الى اللهو وقلة انتاجه اليومي وضعف قوته العضلية او الفكرية ، الأمر الذي يؤدي إلى تناقص مورده اليومي المعاشي » .

وقد أدرك هذه الحقيقة من قبل عالم الطبيعة الانجليزي (تشارلز دارون) فقال قولة حق يجدر أن تصبح مثلا : « الكحول أخطر على البشرية من الحرب أو الجوع أو الطاعون مجتمعة .

وقد جاء في تقرير لأكاديمية العلوم السوفيتية وصلت فقرات منه الى وكالة (فرانس برس) في ديسمبر ١٩٨٤ ان مادة الكحول تتسبب سنويا في موت مليون سوفيتي ، في حين يولد طفل بين كل ستة اطفال مصاب بالعته او بعاهة وراثية ، وطبقا للاحصائيات ، فإن الفرد السوفيتي يستهلك في المتوسط ثلاثين لترا من الفودكا بينما تضم البلاد السوفيتية أكثر من ٤٠ مليون من مدمني الخمر والسكارى .

ويعتقد المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي أن محاربة المشروبات الكحولية سوف تؤدي إلى زيادة الانتاج وإلى تحسين الاقتصاد السوفيتي .

واستنادا إلى الاحصائيات الرسمية تعتبر المسكرات من الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى الموت المبكر في الاتحاد السوفيتي ، وليس أدل على ذلك من انخفاض متوسط عمر الانسان هناك من ٦٧ الى ٦٢ عاما في السنوات العشرين الماضية ، رغم التقدم العلمي المرموق في مجال مكافحة الأمراض ومقاومة الأوبئة .

سبب رئيسي لحوادث الطرق

والخمر سبب رئيسي لحوادث الطرق الناتجة عن السياقة المتهورة الناجمة عن احتسائها .

وليس هذا بغريب على مادة تستر العقل ، وتفقد الشعور بالوعي .

وسنكتفي هنا بمثال واحد جئنا به من سويسرا .

● تقول رابطة شركات التأمين السويسرية إنه سجلت زيادة مضطردة في عدد حوادث الطرق الناتجة عن قيادة سكارى الخمور ، وأشارت هذه الرابطة الى أن حوادث الطرق الناجمة عن مثل هذه السياقة المتهورة كانت في عام ١٩٧٤ نحو ٥٦٦ حادثا ، لكنها ارتفعت بعد ذلك بنسبة ٢٨ بالمئة لتصبح في عام ١٩٨٤ وحده ٧٢٢٢ حادثا ! أرقام مخيفة .. لكنها عين الحقيقة .. فالخمر وراء كل بلاء ، وخلف كل حادثة !

وتفسد الأخلاق الحميدة :

والخمر تفسد الأخلاق الحميدة ، وهذا شيء غير غريب بعد أن عرفنا أضرارها الفسيولوجية على المخ والأعصاب .

إن شارب الخمر يتحول من شخص هين لين الطباع إلى شخص عنيد ومشوش مشاغب سيىء الخلق ، وتأثير الخمر هذا سيان في تعاطيه بجرعات صغيرة يومية أو بمقادير كبيرة وتزول المروءة عن شارب الخمر فيؤدي به ذلك إلى سلوك طريق الفساد والاجرام ، وتدل الاحصائيات على وجود علاقة وثيقة بين عدد الجنايات وبين كون السكر من أول الأسباب في ارتكاب تلك الجرائم .

وفي دراسة عن دور الخمور في ارتكاب جرائم العنف تمت في الولايات المتحدة الامريكية تبين أن أكثر من نصف عدد نزلاء السجون الامريكيين احتسوا الخمر قبل ارتكاب الجريمة التي اوصلت صاحبها الى الزنزانة .

ويقـول تقـريـر اصـدره مكتب إحصائيات العدالة الأمريكي إن أكثر من نصف النزلاء المحكوم عليهم في جرائم عنف اعترفوا بأنهم احتسوا الخمر قبل ارتكاب جرائمهم ، وقد أعد هذا التقرير بناء على مسح لمجموعة من نزلاء السجون المحكومين بجرائم العنف قوامها ٣٢٫١١٢ سجينا ، وانتهى المسح الى ان نسبة ٥٤ في المئة من مجرمي العنف احتسوا الخمر قبل ارتكاب الجريمة ، اما النسبة لجميع الجرائم ، بما فيها جرائم السطو والاخلال بالنظام العام دون عنف ـ فكانت ٤٨ بالمئة .

ويتضمن التقرير الامريكي نسبا اخرى اكثر دلالة على الدور الذي يلعبه احتساء الخمر في السلوك الاجرامي ، فقد تبين أن سبعة من كل عشرة أدينوا بجريمـة القتل غـير العمد احتسوا الخمر قبل الجريمة والنسبة هنا هي ٦٨ بالمئة ، أما بالنسبة لمجرمي القتل العمد مع سبق الاصرار فهى ٤٩٪ إن كل هذه الارقام التي أوردتها هنا في هذا المقال إن دلت على شيء فإنما تدل على ما تفعله مادة الكحول برأس من يتعاطاها فتدفعه الى ارتكاب الجريمة التي ربما لم يدبر لها .

ولعل خير خاتمة ننهي بها هذا المقال هي كلمة قالها وزير الداخلية السـوفيتي فيـدورتشـوك لمجلـة (إكوميونست) في معرض تعليقه على ارتفاع نسبة إدمان الخمور في الاتحاد السـوفيتي : « إن الخمـور تعتبـر السبب في ثلثي الجرائم وفي انتشار السـوق السـوداء » فـهـل نحن متعظون ؟

متى سنغلق كل الأبواب أمام تجارة الخمور في بلادنا الاسلامية ، وأمام تعاطيها بمختلف مسمياتها ؟ ومتى نعي قول الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » سورة المائدة/ ٩٠



للاستاذ / عبد الكريم الخطيب

أولا : النصوص القرآنية :

ورد ذكر هذا الداعية ، أو الرسول ، في موضعين من القرآن الكريم : أولهما في سورة « يس » والآخر في سورة « غافر » والتي تسمى (سورة المؤمن) أيضا ..

ما جاء في سورة (يس) :

يقول الله تعالى ، مخاطبا رسوله الكريم بما يتلوه على مشركي قريش ، ليكون لهم منه عبرة ، علهم يرجعون عما ركبوه من كبر وعناد :

« **واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ۝ إذ أرسلنا إليهم**

اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا اليكم مرسلون . قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون . قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون . وما علينا إلا البلاغ المبين . قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أإن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون . وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون . ومالى لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون . أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون . إني إذن لفى ضلال مبين . إني آمنت بربكم فاسمعون . قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون . بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين » يس (١٣ ـ ٢٧) ..

وهذه الآيات المباركات ، تقرر أكثر من حقيقة :

اولا : أن هناك أهل قرية ، أرسل الله تعالى إليهم رسولين كريمين ، فكذبوهما ، وأبوا أن يستجيبوا لدعوتهما إلى الايمان بالله وحده .

ثانيا : أرسل الله تعالى رسولا ثالثا إلى هذه القرية ، ليشد به أزر الرسولين القائمين بالدعوة إلى الله ..

ثالثا : مضى أهل هذه القرية في ضلالهم ، فلم يقبلوا دعوة هؤلاء الرسل الثلاثة ..

رابعا : رمى أصحاب القرية هؤلاء الرسل الكرام ، بالشؤم والتطير منهم ..

خامسا : جاء من أقصى المدينة ـ وهي القرية المشار إليها ـ رجل يسعى إلى هؤلاء القوم ، يريد إنقاذهم مما سوف يحل بهم من بلاء ، إذا هم ساروا في طريق عنادهم وضلالهم ، فنصح لهم أن يتبعوا هؤلاء الرسل ، الذين يدعونهم إلى الهدى ، دون ان يسألوهم أجرا على هذا الذي يدعونهم إليه ..

سادسا : تصرح هذه الآيات المباركات ، بأن هذا الرجل الذي جاء من أقصى المدينة ، كان ناصحا ومرشدا لقومه ، ولم يكن رسولا ، إذ يقول : « يا قوم اتبعوا المرسلين » ..

الرجل المؤمن كان مرشدا وناصحا

ولم يكن رسولا

ما جـــاء عن مؤمن آل فرعون

صورة مشابهـــة لمؤمـــن القرية

هذا ، ويكاد المفسرون لهذه الآيات المباركات ، يجمعون على أن هؤلاء المرسلين هم رسل عيسى ـ عليه السلام ـ أرسلهم إلى أهل أنطاكية ، فأرسل رسولين أولا ، فلما لم يستجب أهل أنطاكية لهما ، أرسل رسولا ثالثا ، ليعينهما على أداء الرسالة .. ثم يذكر المفسرون أسماء هؤلاء الرسل ، مع اختلاف الأقوال في أسمائهم .. ثم يقوم مع هؤلاء الرسل رجل مؤمن ، يدعو قومه إلى الاستجابة لدعوة هؤلاء الرسل ، فلما أبوا هتف مناديا إنه من المؤمنين ..

وننتقل بعد هذا ، إلى ما جاء في سورة (غافر) والتي تسمى (سورة المؤمن) ..

ما جاء في سورة غافر . أو سورة المؤمن :

يقول الله تعالى في سورة غافر ، والتي تسمى (سورة المؤمن) :

﴿ وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ۝ وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ۝

﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ۝ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ۝ وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ۝ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ۝ ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ۝ يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ۝ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ۝ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ غافر / ٢٦ ـ ٣٥ .

وفي هذه الآيات المباركات من سورة (غافر) او (المؤمن) صورة مشابهة تماما لتلك الآيات المباركات ، التي أشرنا إليها من قبل ، من سورة (يس) .. ويتبين وجه الشبه بينهما فيما يلي :

إيمان السحرة كان إرهاصا لايمان

كثير من ملأ فرعون سرا

أولا : أن ما جاء في سورة (يس) يتحدث عن آهل القرية ،، وهي المدينة أيضا ـ وقد أرسل الله تعالى إليهم رسولين ، فكذبوهما ، فعززهما الله سبحانه برسول ثالث ، فما كان من أهل هذه القرية ـ أو المدينة ـ إلا الامعان في الكفر والضلال .. وهذا ما كان من فرعون وملئه ، كما جاء في سورة (غافر) أو (المؤمن) .. حيث أرسل الله تعالى إلى فرعون رسولين كريمين ، هما ، موسى وهارون ، عليهما السلام ، فكفر بهما فرعون وقومه ، وعزم على أن يقتل موسى ، الذي آمن به السحرة ، بعد أن ألقى عصاه ، وأفسد ما جاءوا به من السحر .

فإيمان هؤلاء السحرة الذين كان فرعون يعتمد عليهم في إبطال ما جاء به موسى ، من إلقاء عصاه ، فإذا هي ثعبان مبين ، وإدخال يده في جيبه ، ثم إخراجها ، فإذا هي بيضاء من غير سوء ـ هذا الايمان من السحرة كان إرهاصا لايمان كثير من ملأ فرعون سرا ، وكان على رأس هؤلاء المؤمنين ، ذلك الرجل الذي أجرى الله تعالى له ذكرا كريما في القرآن الكريم ..

وهذا الرجل المؤمن ، كان من آل فرعون ، ومن المقربين إليه ، كما كان موضع أهل الرأي عنده ، وأنه حين عزم فرعون على قتل موسى ، كما يقول الله تعالى على لسانه الأثيم : « **وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد** » . حين عزم فرعون على قتل موسى ، تحركت عزيمة هذا الرجل المؤمن من آله ، والذي قيل إنه كان ابن عم فرعون ، وقال لفرعون ، وهو في مجلس مستشاريه : « **أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم** » .. فإن منطق العقل ، وداعي الحكمة ، يقضيان بالتدبر ، والنظر فيما يدعو إليه موسى ، وقد جاء بالبينات الظاهرة ، والمعجزات القاهرة ، من ربه ، وليس له من جريمة يستحق القتل عليها ، بل يجب اتباعه والايمان بربه الذي أرسله ..

ومن جهة أخرى ، فإن موسى إما أن يكون كاذبا فيما يدعو إليه ، ولا يضر هذا الكذب إلا صاحبه ، وإما أن يكون صادقا فيما وعدكم من خير في الدنيا والآخرة ، إذا أنتم آمنتم بما يدعوكم اليه ، وهنا لا تحرمون هذا الخير الذي وعدكم به .

ثانيا : ويمضي الرجل المؤمن في دفاعه عن الحق الذي يدعو إليه موسى ، مذكرا فرعون وملأه ، بما بين أيديهم من نعم الله عليهم ، والتي هي في معرض الزوال ، إذا هم ساروا في طريق ضلالهم ، ولكن فرعون يحسم الأمر برأيه القاطع .. فيقول تعالى على لسان مؤمن آل فرعون : « **يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض**

فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا » ـ ثم يقول سبحانه على لسان فرعون : « **قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد** » غافر / ٢٩ .

ثالثا : وحين يرى الرجل المؤمن عدم إصغاء فرعون لما يدعوه إليه من ترك التعرض لموسى بالقتل ، يمضي في حديثه إلى فرعون وملئه ، فيقول ما ذكره الله تعالى على لسانه :«وقال الذي آمن **يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد.يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد**» . غافر٢٠-٢٢

إن هذا الرجل المؤمن يذكر فرعون وملأه بما سوف يلقاهم يوم التناد ، وهو يوم القيامة حيث ينادى فيه الموتى من القبور ، فإذا هم قيام ينظرون ،.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : « **واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب . يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج** » (سورة ق / ٤١ ـ ٤٢) ..

ومع هذا التحذير من الرجل المؤمن ، لفرعون وملئه ، فإن القوم وعلى رأسهم فرعون لم يلتفتوا إلى هذا التحذير ، وبدا للرجل المؤمن أن على وجه فرعون سحبا متراكمة من العناد والضلال ...

وهنا ينظر الرجل المؤمن في تاريخ الفراعنة ، وما فيه من مثل قريب من تلك الأمثال التي ذكرها لقومه ، عن يوم الأحزاب ، الذي طلع على قوم نوح ، وعاد وثمود ، والذين من بعدهم ، بالهلاك المدمر لهم ، ولكل ما أقاموا على هذه الأرض من مدن عامرة ، وقصور شامخة .

والمثل الذي رآه الرجل المؤمن ماثلا ، محفورا في آثار القوم ، هو يوسف عليه السلام ، وقد آمن به الفراعنة ، وأقامه فرعون في مصر يومئذ أمينا على خزائن الأرض ، واصفا إياه بالقدرة على أداء الرسالة بصدق وأمانة ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ، على لسان فرعون : « **وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين** » (سورة يوسف / ٥٤) ..

وقد اتخذ الرجل المؤمن ـ من يوسف عليه السلام : كما أشرنا ـ مثلا ، يذكر به فرعون وقومه ، فيقول ما ذكره الله تعالى على لسانه : « **ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب** » **غافر** / ٣٤ .

وقد مضى القوم مع يوسف ـ عليه السلام ـ بين مصدق بدينه الذي يدعو اليه ، وبين شاك ، أو مكذب له ..

فلماقضىيوسف ، وأفلت من أيدي القوم هذا الخير الوفير ، الذي كان ينبغي لهم أن ينالوه على يديه ، تطلعوا إلى هذه الشمس الغاربة من أفقهم في حسرة وأسى ، وانتظروا أن تطلع عليهم شمس أخرى ، في صورة يوسف جديد .. فلما طال انتظارهم ، جيلا بعد جيل ، انصرفوا وصرفوا ابصارهم عن ترقبه ، وقالوا في يأس وألم : « لن يبعث الله من بعده رسولا » ..

وهاهو ذا الرسول المنتظر ـ بعد طول غيبة ـ يجيء اليهم في شخص موسى ـ عليه السلام ـ مؤيدا برسول آخر معه ، هو أخوه هارون ـ عليه السلام ، ثم يؤيدهما الله تعالى برجل مؤمن ، من آل فرعون ، ومن ذوي المكانة عند فرعون وملئه .

ثم هاهو ذا فرعون ، يتأثر بتحذير هذا الرجل المؤمن ، فلا يبادر بتنفيذ وعيده الذي توعد به موسى بالقتل ، وينتظر حتى يتدبر الأمر في تنفيذ هذا الوعيد !!

وهنا يجيء أمر الله تعالى لموسى ـ عليه السلام ـ أن يسرى بقومه ليلا ، طالبا النجاة له ولقومه من عدوان فرعون عليهم ، ويستجيب موسى لأمر ربه ، ويخرج بقومه ليلا ، دون أن يشعر بهم أحد .

وفي الصباح يعلم فرعون بما حدث ، فيجمع جنوده ويتبع موسى وقومه مسرعا يريد اللحاق بهم ..

وعلى شاطىء البحر الغربي من سيناء ، يرى قوم موسى طلائع فرعون وجنوده ، ويأخذهم الفزع .. ولكن موسى يبعث الطمأنينة في قلوب قومه ، مذكرا إياهم بوعد الله له ، بنجاته من فرعون ، وكيده .. وفي هذا يقول الله تعالى : « **فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ۞ قال كلا إن معي ربي سيهدين ۞ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ۞ وأزلفنا ثم الآخرين ۞ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ۞ ثم أغرقنا الآخرين ۞ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين** » (سورة الشعراء : ٦١ ـ ٦٧) ..

هذا الرجل المؤمن :

ونعود بعد هذا العرض ، لهذا الرجل المؤمن ، مستصحبين معنا ما ذكرناه في سورة (يس) وباحثين عن الصلة الجامعة بين ما ذكر عنه في هذه السورة الكريمة ، وما ذكر عنه في سورة (غافر) ، والتي تسمى أيضا (سورة المؤمن) ونسأل :

أهو مجرد رجل مؤمن من آل فرعون ؟ قد حمله إيمانه على أن ينتصر لدعوة موسى ، ويدفع عنه ما توعده به فرعون من القتل له ، ولرؤوس قومه ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : « **وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون** » (سورة الأعراف : ١٢٧) ..

أهو الايمان وحده الذي دعا هذا الرجل المؤمن ، ان يحاج فرعون عن موسى ودعوته ، أم أنه رسول من عند الله ، ليساند موسى وهرون ، ويؤازرهما ؟

ونقول ـ والله تعالى أعلم ـ : إن الله سبحانه ، قد ذكر في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيا بأسمائهم ولم يذكر اسم هذا الرجل المؤمن من بينهم ..

ومن جهة أخرى ، فان الله تعالى قد ذكر في القرآن الكريم ، أن هناك رسلا لم يقصصهم ، كما يقول سبحانه مخاطبا رسوله الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه : « **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك** » (١٦٤ : النساء) ..

فليس إذن بالمستبعد أن يكون مؤمن آل فرعون هذا رسولا ، ممن لم يذكرهم الله بأسمائهم في القرآن الكريم ..

ثم هناك إشارة واضحة إلى أن الموقف في سورة (المؤمن) هو نفس الموقف في سورة (يس) وأن فرعون هو المشار اليه في هذين الموقفين ..

ففي سورة (يس) يقول الله تعالى على لسان أصحاب القرية التي جاءها المرسلون : « **قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم** » (١٨ يس) ..

وهذا التطير ، والتشاؤم من المرسلين ، هو التطير والتشاؤم من فرعون وملئه ، إذ يواجه موسى ومن معه بما ذكره الله تعالى على لسانه ، حيث يقول جل شأنه : « **فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون** » الأعراف)١٣١ ..

وفي هذا إشارة من قريب إلى أن مؤمن آل فرعون ، هو صاحب الموقفين في سورتي (يس) (والقصص) .

ثم هناك إشارة أخرى ، وردت في السورتين ، وهي أن هذا الرجل قد جاء من أقصى المدينة ، أي من أطرافها ، حيث مساكن الملوك والأمراء والوزراء ..

ففي سورة (يس) يقول تعالى : « **وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين** » (٣٠ : يس) وفي سورة القصص ، يقول الله سبحانه: « **وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين** » القصص / ٢٠ .

فهذا الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ، هو هو ، الذي كان عينا لموسى وناصحا له ، ومؤيدا لدعوته ..

وبعد ، فهذا مبلغ ما وصلنا اليه من النظر في أنوار آيات من القرآن الكريم ، فإن يكن صوابا فهو من الله ، وان يكن خطأ فمني ، واستغفر الله ، « وفوق كل ذي علم عليم » صدق الله العظيم ..

فرعون يتأثر بتحذير الرجل المؤمن

فلا يبادر بقتل موسى



للأستاذ / محمد نعيم عكاشة

ان الدعوة الاسلامية بالخارج في حاجة ملحة الى التخطيط العلمي الموحد والتنظيم الفكري المتلازم بجانب الدعم المادي والمعنوي من مختلف الهيئات والمؤسسات الاسلامية في العالم العربي بوجه عام وأثرياء المسلمين بوجه خاص ..

كما بات من الضروري تأسيس هيئة عالمية لشئون الدعوة بالخارج تكون بمنأى عن التيارات السياسية والمذهبية على ان يتبع هذه الهيئة صندوق مستقل لتمويل الدعوة وتطوير وسائل التبليغ وفق مقتضيات العصر وحسب الاحتياجات الفعلية لكل

اقلية مسلمة بالخارج ، وكذلك العمل على انشاء المؤسسات الخيرية لرعاية فقراء المسلمين في دول افريقيا وآسيا ، وانشاء المدارس والمعاهد الاسلامية الخاصة في دول اوروبا وامريكا ..

* * *

وتأتي في المقام الأول من حيث الأهمية اوضاع الأقليات

المسلمة في العالم والتي تواجه مشاكل عديدة ومتباينة ..

ففي معظم دول افريقيا وآسيا تعيش جماعات المسلمين حياة الفقر والجوع والمرض .. وهو ثالوث مخيف يؤثر على كيان المسلمين الاجتماعي ويحصر وجودهم في حدود اقليمية ضيقة بتلك الدول .

وقد رأيت اثناء جولاتي بالخارج الشيء الكثير الذي يبعث على المرارة والأسى .. وكان السؤال المطروح والذي يتردد على السنة كل من التقيت بهم هناك .. **ماذا تصنع كلمة الدين وحدها اذا لم يدعمها سلاح المال ..** وهل من المقبول ان يقال للجائع مثلا : **دع طعامك ، او للعاري لا تستر جسمك ، او للمريض . لا موجب للدواء ؟!**
بالطبع لا ..

قلت : إن الاسلام هو دين التكافل الاجتماعي بين جماهير المسلمين اينما وجدوا وحيثما كانوا .. وما اشاهده يتنافى كلية مع قيم هذا الدين وتعاليمه الحنيفة .

وفي نفس الوقت تساءلت كيف يواجه أبناء الاقليات المسلمة في هذه الدول وحدهم التحديات الضخمة التي تفرض عليهم وهم يرون باعينهم ما تغدقه الهيئات التبشرية والعناصر الصهيونية من مال وكساء ودواء على كل من يترسم خطاها ويعمل بتعاليم دينها بجانب آلاف المدارس على مختلف مراحل التعليم تغري هؤلاء الابناء للالتحاق بها بالمجان .. او نظير رسوم رمزية تدفعها لهم المؤسسات الخيرية وهي منتشرة بأنحاء البلاد وتعمد في الظاهر الى مساعدة كل الفقراء بينما في الحقيقة والواقع تمارس نشاطا معاديا للاسلام ، وتغذية كل ما من شأنه ان يزعزع عقيدة المسلمين كأقلية ، باستغلال فقرهم وحاجتهم وترويج مجموعة من الاكاذيب ضد الدين الاسلامي وتعاليمه الصحيحة ..

الدعوة الاسلامية .. كيف ؟

وماذا تفعل الدعوة الاسلامية وهي مجردة من سلاح المال في مواجهة هذه التحديات وامام تلك الظروف القاسية ..؟! وهل يعقل ان يعمل الدعاة المسلمون في هذا المحيط وعددهم في الغالب لا يتعدى ستة او عشرة افراد في كل دولة .. حقيقة انهم يتقاضون مرتبات من الدول العربية :

مثل الازهر ووزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت ورابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة وغيرها من المؤسسات .. كما ان لهؤلاء الدعاة من المؤهل العلمي والثقافي ما يمكنهم من الدعوة للاسلام ولكن في نطاق محدود للغاية لانهم بالطبع لا يستطيعون مواجهة القوى المعادية ، وما توزعه الهيئات التبشيرية من الأطعمة والاكسية والمسكن والعلاج تحت اشراف المبشرين الذين يملكون المال وينفقون بلا تقتير ، ويتيحون

كافة الفرص المناسبة لابناء البلاد في حدود شرط واحد : هو اعتناق دينهم والدخول في مذهبهم ..!!

وهذه هي اسباب ردة بعض هؤلاء الفقراء ، ودخولهم في المسيحية واليهودية نتيجة للمعاناة والعيش تحت وطأة ظروف قاسية تفوق طاقة البشر .. **والمسئول عن ذلك من ؟**

انها قضية اسلامية مشتركة تحتاج الى تكتيل الجهود لدرء هذا الخطر الداهم عن عقيدتنا الواحدة ..

وقضايا الأقليات المسلمة في الغرب والكتلة الشيوعية ماذا ؟

واذا انتقلنا الى قضايا الأقليات المسلمة في الدول الشيوعية وكذلك في دول اوروبا الغربية وامريكا .. نجد ان من اهم هذه القضايا ما يتعلق بكيانها العقائدي والفكري .. وهو تنشئة الأبناء في جو الغربة على مبادىء الاسلام والحفاظ على الاصول والتقاليد الدينية الواجبة ..
ونبدأ بالكتلة الشيوعية ..

فمن الثابت ان هذه القضية تتضخم بصورة حادة داخل الاتحاد السوفياتي والدول الشيوعية الدائرة في فلكه ، فالدين هناك محظور تماما ، والإلحاد مفروض على كافة طوائف الشعب ، وأطفال المسلمين يلحقون قسرا بمدارس الدولة الرسمية ليلقنوا في صغرهم افكار ماركس ولينين ، ونبذ حقيقة الوجود الإلهي بكل صوره ومعانيه الروحية السامية ..

وذوبان الشباب المسلم كيف ؟

ونتيجة لهذا الضغط والقهر المتزايد ذابت اجيال المسلمين الشابة في محيط الفكر الماركسي الملحد ، ولم يبق في تلك الدول سوى العجائز من اجداد وآباء لا حول لهم ولا قوة وذلك باستثناء « كوادر » الحزب الشيوعي التي تتسمى بالاسلام لأغراض سياسية بحتة ؟!

وربما يقول قائل كيف .. وهناك عشرات الجوامع والعديد من المصاحف وهو قول مردود بأن هذه الجوامع تحولت الى متاحف لا تفتح أبوابها الا في حضور الوفود الاسلامية الزائرة اما المصاحف فإنها لمجرد التبرك ويصعب على غالبية المسلمين هناك قراءتها ..

ورغم التضييق في ممارسة الشعائر الدينية فإن العجائز من المسلمين يؤدون الصلاة خفية .. وعند سماع القرآن الكريم تدمع عيونهم وان كانوا لا يفهمون معانيه على وجه سليم .

ثم ماذا في اوروبا وامريكا ؟

ويقابل هذا الواقع المؤلم في المعسكر الشيوعي .. المادية الطاغية في مجتمعات الغرب وامريكا التي تغرق افرادها في الشهوات والسموم .. حقيقة أن الدين موجود ، وحرية العبادة وممارسة الشعائر مكفولة للجميع ولكن الروابط الأسرية مفككة بل تكاد تكون معدومة بالمرة وبالتالي فإن مقومات المجتمع الانساني الاسلامي مفقودة .

ناشئة المسلمين بالعالم في خطر

والأقليات الاسلامية تبحث عن بر الأمان

وناشئة المسلمين اين ؟!

وإذا كنا قد فقدنا الأثر في المجتمعات الشيوعية .. فإنه لا ينبغي ان نغفل هذا الخضم من المادية المغرقة او نقلل من حجم الغزو الفكري الصهيوني الذي يتغلغل في مختلف أجهزة الإعلام من صحف وإذاعة وتليفزيون وسينما وغيره وحيث تتأثر بدرجة كبيرة حياة الطفل التربوية

والثقافية ويتعرض بالتبعية مستقبل ناشئة المسلمين للخطر حتى بات من الضروري أن تمد الدول العربية والاسلامية يد العون والمساعدة الى تلك الأقليات لحماية أبنائها من الخطر الزاحف والوصول بهم إلى بر الأمان ..

هيئة عالمية للدعوة كيف ؟!

ويتطلب ذلك بالضرورة تأسيس هيئة عالمية للدعوة تشترك في عضويتها سائر الدول الاسلامية وبخاصة الدول الغنية على أن تتولى هذه الهيئة التخطيط الموحد لشئون الدعوة في الخارج وذلك على اساس علمي مدروس ووفق مقتضيات العصر وفي ضوء احتياجات كل أقلية من العون المادي والعيني ..

على ان تكون هذه الهيئة مدعمة بالعلماء وكبار الشخصيات الاسلامية البارزة من المفكرين ورجال الاقتصاد والمال .. وان تكون في جميع خطوات عملها مستقلة وبمنأى عن التيارات السياسية المختلفة .

ومما لا شك فيه ان ما تعانيه الدعوة الاسلامية بالخارج من ضعف يرجع أساسا الى توزع الجهود وتباين الآراء وعدم الترابط والتلازم في مناهج الدعوة في اي دولة من دول العالم الخارجي ، وهو ما ادى ايضا الى قصور كبير في وسائل التبليغ الموجهة للخارج ، وبالذات الى نحو ثلاثة ملايين مسلم يعيشون في ديار الغرب ويتهددهم كغيرهم خطر الذوبان اذا لم نبادر بمساعدتهم بشكل فعال ومؤثر بدلا من تركهم في مفترق الطرق كما هو الحال ..

عناصر الحياة الدينية كيف ؟!

ان عناصر الحياة الدينية في اوروبا وامريكا .. وأعني به التعليم الديني ورعاية الأسر تكاد تكون معدومة تماما والكثير من المسلمين هناك على ثقافة دينية بسيطة بل وخاطئة في الغالب وهذا بطبيعته يلقى مسئولية كبيرة على

عاتق علماء المسلمين وبالتالي على الهيئات والجامعات الاسلامية على مستوى العالم العربي والاسلامي كله للمبادرة في إعداد جيل جديد من الدعاة المزودين بسلاح العقيدة القوية ومعطيات العلم الحديث ..

جيل يجيد اللغات الاجنبية وكذلك اللهجات المحلية وقادر بالدرجة الاولى على مخاطبة الاوروبيين وسائر الشعوب قاطبة بلغة العصر ..

وصندوق عالمي للدعوة :

وعلى ان يتبع هيئة الدعوة العالمية صندوق مستقل تساهم في تمويله جميع الدول العربية والاسلامية كل بحصة سنوية ثابتة وكذلك تخصيص نسبة معينة من أموال الزكاة المجموعة لصالحه بالاضافة الى تبرعات أثرياء المسلمين ..

ومن خلال هذا الصندوق يتم الصرف على مشروعات الدعوة بالخارج وإنشاء المؤسسات والمدارس التي تخدم جماهير المسلمين على وجه العموم ..

الأولويات .. ما هي ؟!

وتبعا للأولويات التي اراها ضرورية من وجهة نظري ..

■ إنشاء مدارس اسلامية (خارجية وداخلية) في شتى انحاء العالم يتلقى فيها الطالب المسلم تعليمه الابتدائي والثانوي حسب المناهج التعليمية المعمول بها في كل دولة . بجانب الدراسات الاسلامية ولغات المسلمين من : عربية وفارسية وتركية وملاوية وأردية لمن يشاء من الطلاب ..

وبالنسبة للقسم الداخلي يمكن اقامة الطلاب في جو دراسي إسلامي وتعويدهم على اداء الصلوات الخمس في اوقاتها بالاضافة الى تنظيم برامج ثقافية في اوقات الفراغ للتعريف بالبلاد الاسلامية ..

■ السعي لدى الحكومات الاجنبية للاعتراف القانوني بالديانة الاسلامية للاقليات مثل اهل الديانات الأخرى ، ورعايتهم رعاية كاملة .. دينيا واجتماعيا وثقافيا ..

■ تقوية الروابط بين شباب الأقليات المسلمة واشقائهم في الدول العربية عن طريق الزيارات والاستضافة في معسكرات جماعية تتاح من خلالها فرص التعارف والدراسة معا ..

■ تكوين جمعيات « اصدقاء الاسلام » في دول اوروبا وتنظيم ندوات دينية وثقافية وفكرية يشترك بالمحاضرة فيها كبار العلماء والمفكرين الاسلاميين على مستوى العالم الاسلامي لتوضيح مفاهيم الاسلام في مختلف قضايا العصر ومستحدثاته ..

■ دعم المراكز الاسلامية بالخارج وتزويدها بالعلماء لنشر اللغة العربية ، وتعليم مبادىء الاسلام الصحيحة وكذلك الرد أولا بأول على كل ما يثار من مزاعم وأباطيل حول التاريخ الاسلامي ..

ويبقى سؤال أخير

ان النشاط المتزايد الذي تقوم به القوى المعادية للاسلام بالخارج والذي اوضحت سلفا جانبا منه ، بالاضافة الى ما تطالعنا به الصحف يوميا من نشاطات مكثفة لوقف المد الاسلامي بالخارج فضلا عما ترصده الهيئات التبشيرية والصهيونية من أموال طائلة لمحاربة الاسلام والعروبة ..

هذا النشاط المعادي يجب التصدي له بقوة وبصورة فعالة ومؤثرة .. ولا ينبغي السكوت عليه والاكتفاء بقول .. **ماذا نفعل** ؟! او الدخول في مجال المجاملات على حساب الدين .. فالعالم الشيوعي والغربي على السواء يوجهون للاسلام الضربات المتتالية ، وهما معا كالسوس ينخر في جسم الأمة الاسلامية ..

ومن هنا اصبح لزاما على كل الهيئات والمؤسسات الاسلامية بل وعلى كل مسلم غيور على دينه العمل بكل همة ونشاط لحماية دينه وعرضه وان يرتبط ذلك بإنشاء وكالة لإغاثة فقراء المسلمين ووكالة أنباء اسلامية لتناقل أنباء وقضايا المسلمين في جميع اقطار العالم بكل دقة وأمانة ..

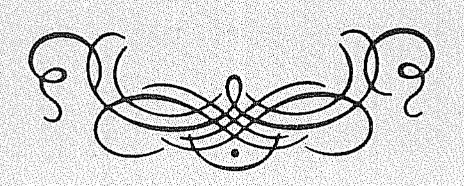
ان ما ذكرته من مطالب إنما هو أمر حيوي وملح وما زلت أنادي بتنفيذه على وجه عاجل ، وان كنت قد طرحت هذه المشروعات امام كثير من المؤتمرات الاسلامية التي عقدت من قبل الا أنه وحتى الآن لم تتخذ اية خطوة إيجابية في هذا الصدد..

ولعل السؤال الاخير ؟!.. والذي يبقى بدون إجابة .. أيعز على أمة الاسلام التي تملك اكبر الطاقات البشرية وفي حوزتها المليارات المقنطرة من المال والذهب .. أيعز على هذه الامة وهي خير أمة أخرجت للناس .. ان توجه الكثير مما تملكه لصالح مشروعات الدعوة الاسلامية ونشر مبادىء العقيدة بين الناس غربا وشرقا .. وفي كل مكان ..

وحتى يعرف العالم اجمع انه ليس من الاسلام ان يموت فرد من الجوع وآخر من التخمة .. فالاسلام هو دين التراحم والتكافل والإخاء الانساني مهما تباعدت الشقة وطالت المسافات بين أبنائه ..

وصدق عز من قائل : (**ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) **الانبياء** ٩٢ .

والله ولي التوفيق وهو يهدينا الى سواء السبيل ..



مائدة القارئ

لبيك اللهم

اخي - الحاج - تركت اهلك ، ومالك ، ووطنك .. ولبيت نداء الحج الخالد وقلت مع وفد الرحمن : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .
فاحرص على ان يكون عملك خالصا لله ، وتزود من التقوى فانها خير زاد ، واغتسل من ذنوبك ، لتعود نقيا طاهرا كيوم ولدتك امك .

سر النهوض

قال ابو القاسم الشابي :-

لا ينهض الشعب الا حين يدفعه
عزم الحياة اذا ما استيقظت فيه
والحب يخترق الغبراء ، مندفعا
الى السماء ، اذا هبت تناديه
والقيد يألفه الاموات ما لبثوا
اما الحياة فيبليها وتبليه

وصية

عاد رجل مريضا ، فقال له : ما تشتكي ؟
قال : وجع الخاصرة .
قال : والله كانت علة ابي فمات منها ، فعليك بالوصية يا اخي .
فدعا المريض ولده وقال له : يا بني اوصيك بهذا ، لا تدعه يدخل علي مرة اخرى .

الفضيلة

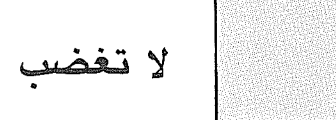
قال الحكماء : الفضيلة بين طرفي الافراط والتفريط ، فالانفاق الكثير هو التبذير ، والتقليل جدا هـو التقتير ، والعدل هو الفضيلة .

سبحان الله

كل شيء هو نفسه الا الانسـان فكثيرا مـا يكـون غـير نفســه : شجـرة الـورد ، والتفـاح ، والحنظـل تعبر عن طبيعتها في صدق دائما ، فتنتـج ثمارها من جنسها ، ولا تخرج شجرة التفاح حنظلا يوما ما . اما الانسان فلا يعبر عن حقيقته دائما ، فقـد يعبر عن جوعـه وهو متخم ، وعن حبه وهو كاره وعن اخلاصه وهو يخفي الاجرام ، وان يقول غير ما يفعل .

سماحة العلماء

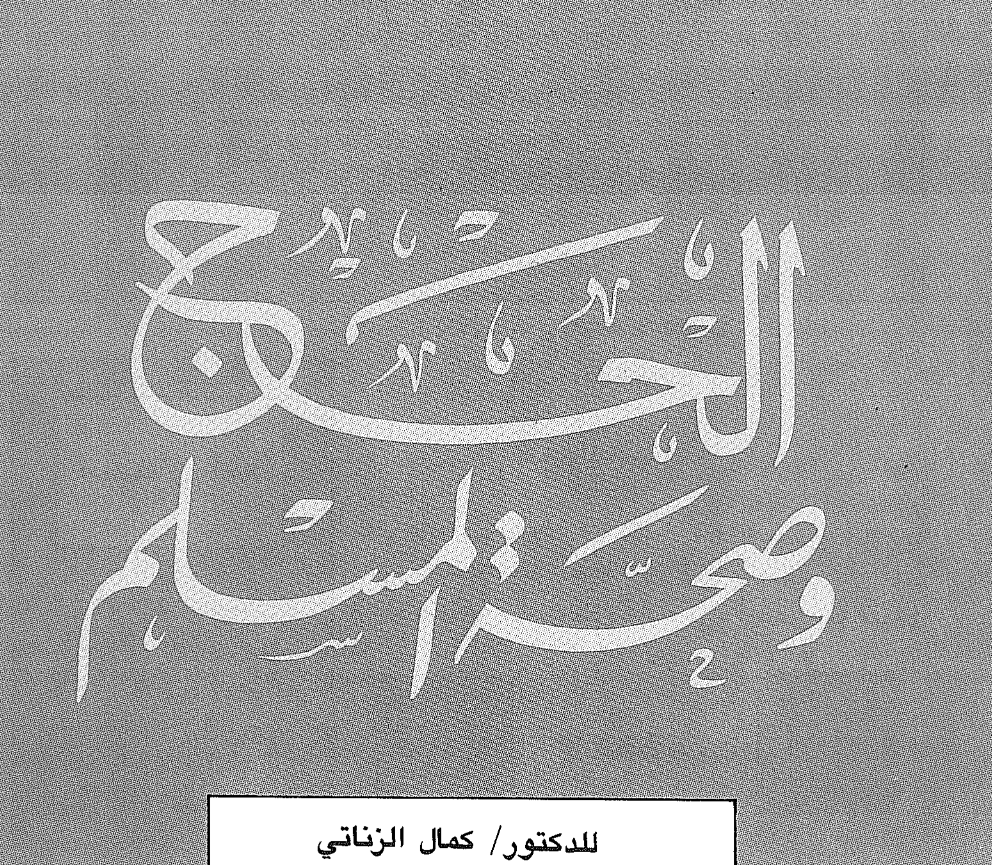
نقل عن أبي حنيفة انه قال : « هذا الذي نحن فيه رأي لا نجبر أحدا عليه ، ولا نقول : يجب على أحد قبوله بكراهة ، فمن كان عنده شيء أحسن منه فليأت به .



عن أبي هريرة رضي الله عنه : ان رجلا قال للنبي - صلى الله عليه وسلم : أوصني ،
قال : « لا تغضب » .
فردد مرارا ،
قال : «لا تغضب » رواه البخاري .

الاشتغال

في لغتنا الجميلة ، الاشتغال : هو ان يتقدم اسم على عامل من حقه ان يعمل فيه لولا اشتغاله عنه بالعمل في ضميره ، او في اسم مضاف إلى ضمير ذلك الاسم ، تقول : كتابك قرأته . والعاجز اخذت بيده .



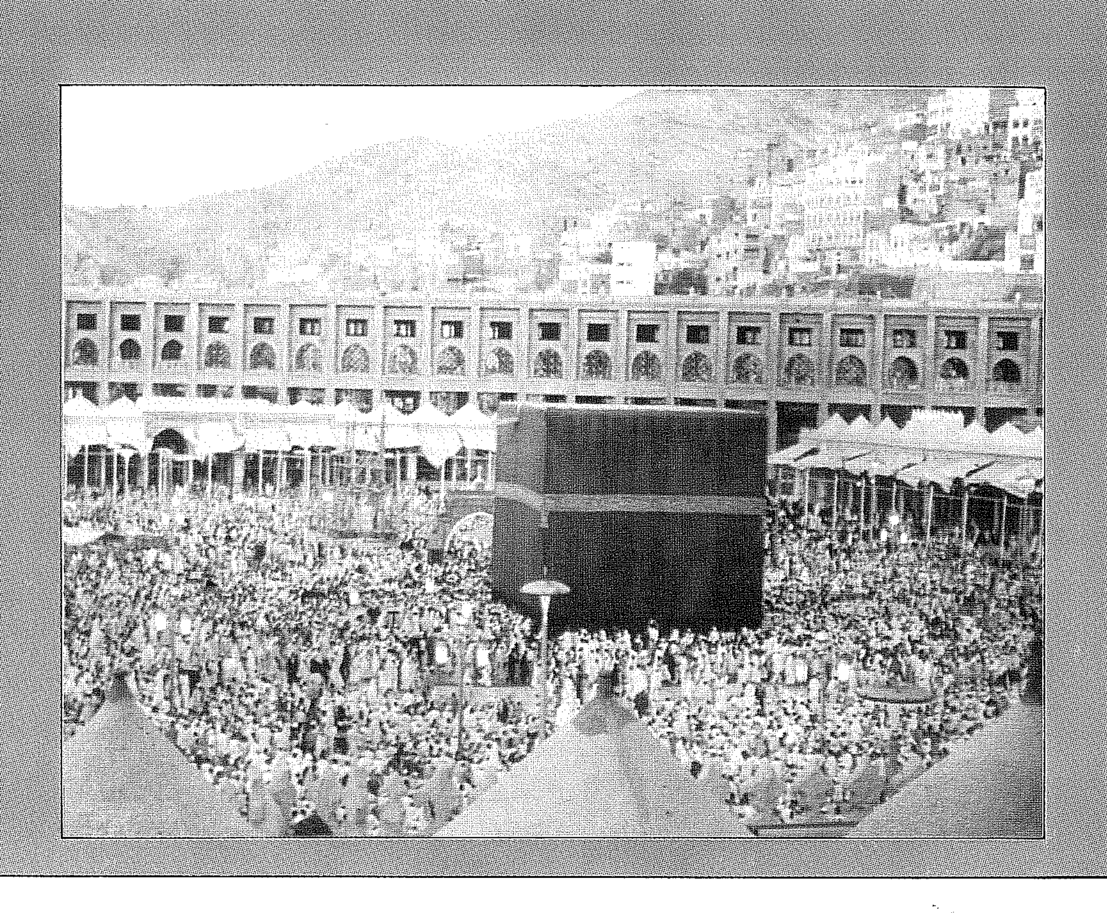
للدكتور/ كمال الزناتي

يتوجه المسلمون إلى مكة المكرمة في أيام معلومات من كافة أنحاء العالم حجاجا وعمارا تلبية لقول الله تعالى (**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**) الحج/٢٧ والحج فرض على المسلم البالغ العاقل المستطيع مرة في العمر .

قال تعالى (**وأتموا الحج والعمرة لله**) البقرة/١٩٦ والاستطاعة هنا مالية ، واجتماعية ، وبدنية ، فالقدرة البدنية واجبة لكثرة الأعمال من سفر ، وذهاب إلى مواقيت ، وطواف واستلام حجر ، ووقوف ، ورجم وذبح قربانا لله تعالى ، ولابد للحاج من الإحاطة ببعض الأمور مثل :ـ

١) بطاقة الحج الصحية :ـ

اللياقة الصحية مطلوبة ليستطيع الحاج أن يتحمل ما يصادفه من مشاق أثناء السفر وأداء الفريضة وقد أعدت الدول العربية في الخليج بطاقة الحج الصحية التي تعتبر هوية شخصية وسجلا مصغرا فيها اسم الحاج وعنوانه بالكامل وعنوان الحملة المشترك فيها ، وعنوان البعثة الطبية وفيها تسجيل طبي كامل لحالته الصحية كما تتضمن البطاقة أيضا تقريرا وافيا عن حالة القلب والجسم عامة وفصيلة الدم والأمراض التي يعالج منها ونتيجة الفحوص المخبرية التي أجريت له والأدوية التي يستعملها و حساسيته لبعض



الأدوية ، حتى يتفادى الطبيب كتابتها له أثناء الحج إذامااحتاج للعلاج ، وفيها تسجيل للعلاجات المعطاة له أثناء موسم الحج ، وتسجيل للتطعيمات المطلوبة من السلطات الصحية السعودية ، وهي تحل محل الشهادات الدولية في موسم الحج ، كما أنها تحوي إرشادات طبية مناسبة .

ولأهمية هذه البطاقة يجب على كل حاج الحصول عليها وحملها معه في سيره ليقدمها إلى الطبيب قبل أن يفحصه إذا ما احتاج لذلك قبل أن يصف له أي دواء ، وفيها يسجل الطبيب المرض الذي تعرض له الحاج أثناء الحج والدواء الذي وصفه له وإذا ما أصيب الحاج بحادث أو فقد الوعي يستطيع المسعف أو الطبيب التعرف على حالته الصحية ومعالجته حسب المعلومات الموجودة في بطاقة الحج الصحية .

٢) وسيلة السفر :ـ

عند اختيارك وسيلة السفر يجب أن تكون ملائمة لك ولراحتك فإذا كان السفر بالسيارة لمسافات طويلة فإن بعض الحجاج يصاب بورم في القدمين وآلام عضلية بالساقين وخاصة البدينين أو المصابين بتمدد أوردة الساقين (الدوالي) والمسنين قليلي الحركة ، وتحريك عضلات الساقين يساعد على منع هذه الحالة ، كما أن

آلام الرقبة وآلام الظهر تزول بالحركة بين فترة وأخرى .

٣) الإنهاك الحراري وضربة الشمس :ـ

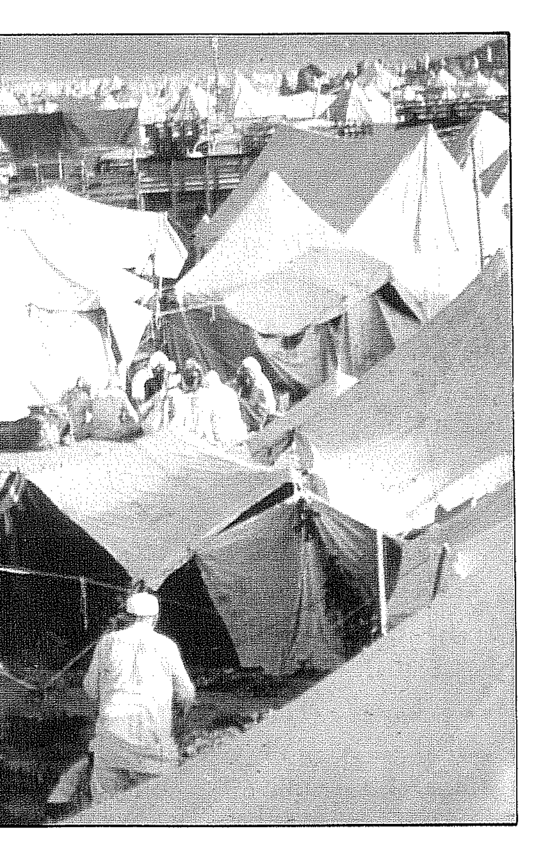
يأتي الحج ولعدة مواسم في شهور الصيف حيث ترتفع حرارة الجو وتزداد المشقة ويتعرض الحاج للانهاك الحراري أو للضربة الحرارية التي كانت تسمى في السابق (ضربة الشمس) وبما أن أمراض الإنهاك الحراري والضربة الحرارية يحدثان نتيجة تأثير ارتفاع حرارة الجو وتأثيرها المباشر على وظائف الجسم إلا أن الأعراض تختلف اختلافا بينا فأمراض الإنهاك الحراري تبدأ تدريجيا نتيجة تعرض الجسم لدرجة حرارة عالية مع وجود رطوبة في الجو ولا يشترط التعرض المباشر للشمس إذ قد يحدث في الظل بسبب الجو الحار مع التعرق الكثير ، وتكمن خطورة الانهاك الحراري في أنه يعوق الحاج عن إكمال مناسكه علاوة على أنه في بعض الحالات الشديدة يؤدي إلى الضربة الحرارية ، وهي من الأمراض الخطرة التي قد تودي بحياة الانسان .

والمصاب بالانهاك الحراري يشكو من ارتفاع بسيط في درجة الحرارة وقد تكون حرارة الجسم طبيعية في بعض الحالات مع ضعف عام ودوار وصداع ، وشعور بالعجز والتعب مع أقل مجهود ، ويتكاسل عن أداء الصلاة في المسجد .

- الاحساس بالغثيان وفقدان الشهية .
- شحوب في اللون . ويغطي الجلد عرق بارد .
- يقل إفراز البول عن معدله المعتاد (مرتين في اليوم) .

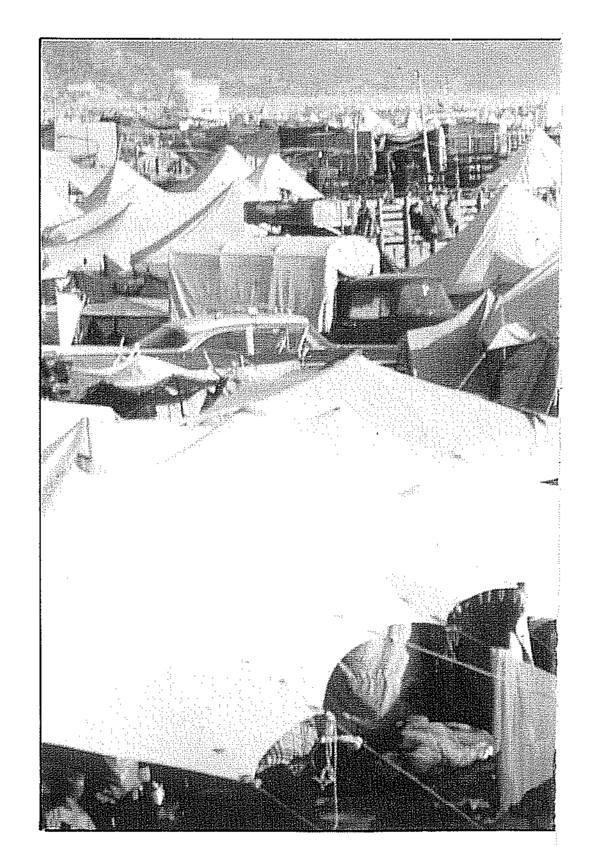
ـ وجود بعض تقلصات عضلية متكررة خاصة في بطن الساق .

ـ والأمراض المزمنة مثل داء السكري وارتفاع ضغط الدم ، والضعف العام والالتهابات المزمنة والبدانة تزيد من احتمال الاصابة بأمراض الانهاك الحراري ، ولذلك على الذين يعانون من هذه الحالات أن يراجعوا الأطباء بصفة مستمرة عند الشعور بأي عارض للتحكم في حالاتهم في وقت



مبكر ، وعليهم الاقلال من المجهود العضلي عند ارتفاع درجة حرارة الجو كلما أمكن ذلك .

وفي حالات الاصابة بالضربة الحرارية ترتفع درجة حرارة الجسم لأكثر من (٤٠) درجة مئوية ويحمر الجلد من عملية التعرق ، نتيجة اضطراب داخلي في ميكانيكية الجسم ، وتغير في سلوك المريض وقد تحدث له تشنجات وفي لحظات يقع مغشيا عليه في غيبوبة قد تنتهي بالوفاة ، وتتضاعف الاصابة بالضربة الحرارية من عام إلى عام بسبب وقوع الحج في أشهر الصيف .



يمكن الوقاية من الإنهاك الحراري بما يلي :ـ

١ـ تجنب حرارة الجو الشديدة والحرص على الإقامة والصلاة في الظل وفي مكان مكيف أو فيه مراوح كهربائية .

٢ـ الاقلال من المجهود العضلي كالمشي في الأسواق ساعات عديدة عند اشتداد حرارة الجو وارتفاع نسبة الرطوبة فيه ومن الأفضل استعمال المظلة الواقية من أشعة الشمس إذا كنت مضطرا .

٣ـ شرب الماء بكثرة وبكميات كافية ولاداعي لأقراص الملح وإنما يكفي بأن يضاف الملح إلى الطعام بشكل عادي وزيادة عن المعدل قليلا إلا إذا كان هناك مانع طبي .

٤ـ لابد للحاج أن يتفادى الاحساس بالعطش إذ أنه علامة على حاجة الجسم إلى الماء ويراعى أن يكون الماء من مصدر مأمون باردا وليس مثلجا ، والعطش ليس بعلامة كافية لأخذ السوائل بل يكفي الوجود في الجو الحار . فإذا كان الانسان بدينا فإنه يحتاج إلى شرب جالون من السوائل في اليوم ، وما يروي الظمأ ليس هو بالكمية اللازمة للجسم فإن ما يلزم للجسم يزيد مرة ونصفا عما يروي الظمأ ولكي يعرف الانسان أنه قد أخذ الكمية اللازمة من السوائل على الأقل يتبول مرتين في النهار .

٥ـ الابتعاد عن الازدحام وإذا اضطر فلا يطيل .

٦ـ الالتزام بالراحة التامة عند

الاصابة بأي مرض خاصة إذا كان مصحوبا بارتفاع في درجة الحرارة حتى لايكون سببا في نقل العدوى إلى غيره في المسجد .

٤) الرشح والانفلونزا :ـ

تكثر بين زوار المدينة أثناء موسم الحج فقط ذلك أنه عند زيارة مسجد الرسول صلوات الله وسلامه عليه يشتد الزحام ، ويجهر الناس بالدعاء ، وتختلط الأنفاس ، وينتشر الرذاذ من فم كل حاج ليصيب غيره ، مما يؤدي إلى الاصابة بالانفلونزا أو أمراض الجهاز التنفسي ، فابتعد عن الزحام وليكن سلامك على رسول الله بصوت خاشع ولا تطل .

٥) الاسهال وارتباك الهضم :ـ

الاسهال قد يحدث نتيجة :

١ـ طريقة النوم الخاطئة دون غطاء والتعرض لتيارات الهواء .

٢ـ شرب مياه غير معروفة المصدر وقد تكون ملوثة ، أو السوائل المختلفة التي يجهزها الباعة المتجولون .

٣ـ عدم غسل الفواكه والخضروات قبل تناولها .

٤ـ إسناد عملية تجهيز واعداد الطعام لعمال النظافة مما يؤدي إلى تلوث الطعام في بعض الأحيان .

٥ـ ترك الأكل مكشوفا عرضة للذباب ثم العودة لاكله .

٦ـ تناول أطعمة غير مضمونة المصدر .

٧ـ تلوث الحليب أو الروب بالميكروبات خاصة إذا لم يكن محضرا بطريقة سليمة وصحية .

٨ ـ إلقاء قشور الفاكهة والمخلفات من الأطعمة في الطرقات حيث إنها السبب في تكاثر الذباب وعدم استعمال أكياس القمامة ووضعها في صناديق البلدية .

٩ـ استعمال المعلبات التي انقضى تاريخ صلاحيتها أو التي لم تحفظ جيدا في مكان بارد .

٦) الغذاء :ـ

ـ يتوجب على الحاج أن يكون أكله بسيطا سهل الهظم مثل الخضار المطبوخ والمجهز أولا فأولا ، فهو مفيد وأنسب لصحة الانسان مع الإقلال من تناول اللحوم نظرا لأنها عسرة الهضم .

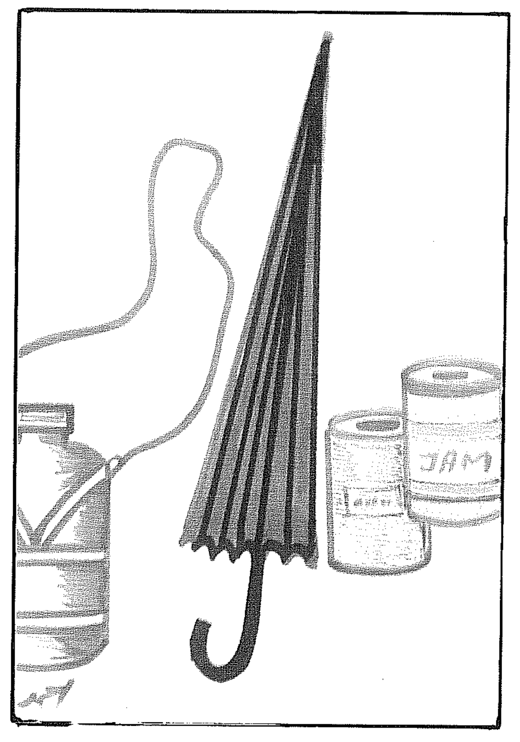
ـ يجب غسل الفواكه قبل استعمالها بالماء الجاري والصابون ولاداعي لاستعمال المطهرات كالبرمنجانات لأن تأثيرها لايزيد عن الماء الجاري والصابون .

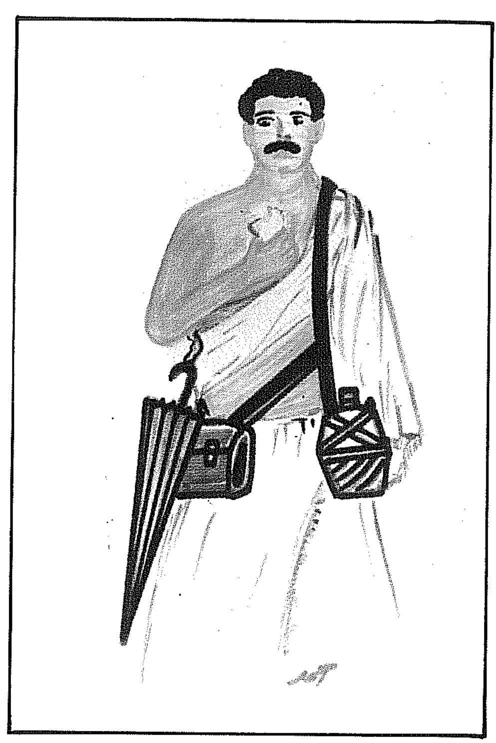
ـ وإذا أردت تناول الحليب فالأفضل أن تستعمل الحليب المعلب الجاهز مع مراعاة حداثة صنعه وعدم وجود انتفاخ أو صدأ في العلبة .

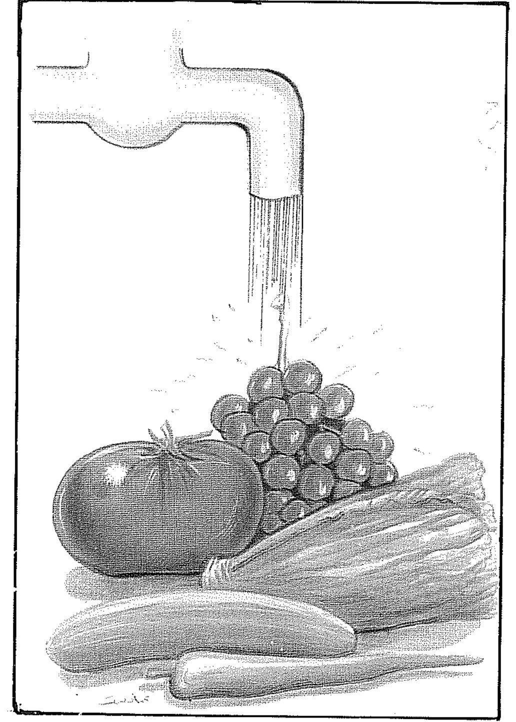
ـ تناول الخبز المعبأ في أكياس حافظة لأنه يكون أقل عرضة للتلوث .

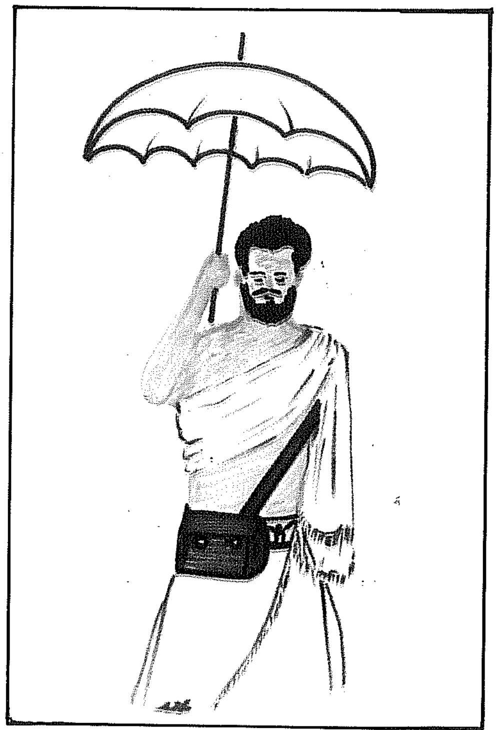
٧) النظافة في الحج :ـ

ـ المسلم لايمكن أن يؤدي فرائض الدين على الوجه الأكمل والصحيح إلا إذا كان نظيف الجسم والثوب والضمير ، فالنظافة جزء من العبادات


JAM







والحاج هو أول من يلتزم بالنظافة . والاستحمام ينشط الجسم ويساعد الجلد على أداء وظائفه الطبيعية فيقلل من الإصابات بالإنهاك الحراري ويزيل العرق ورائحته .

● نظافة الثوب : قال تعالى : (**يابني آدم خذوازينتكم عند كل مسجد**) الأعراف/٣١ ومن الأفضل أن تكون الملابس في موسم الحج من الملابس القطنية الخفيفة الواسعة الفضفاضة فاتحة اللون خالية من المواد الصناعية مثل النايلون والبولستر التي لاتمتص العرق بسهولة مثل القطن فان امتصاصه للعرق يساعد على التعرق مرة أخرى وبالتالي تنخفض درجة حرارة الجسم ، كما يفضل للسيدات عدم استعمال المشدات والملابس الضيقة .

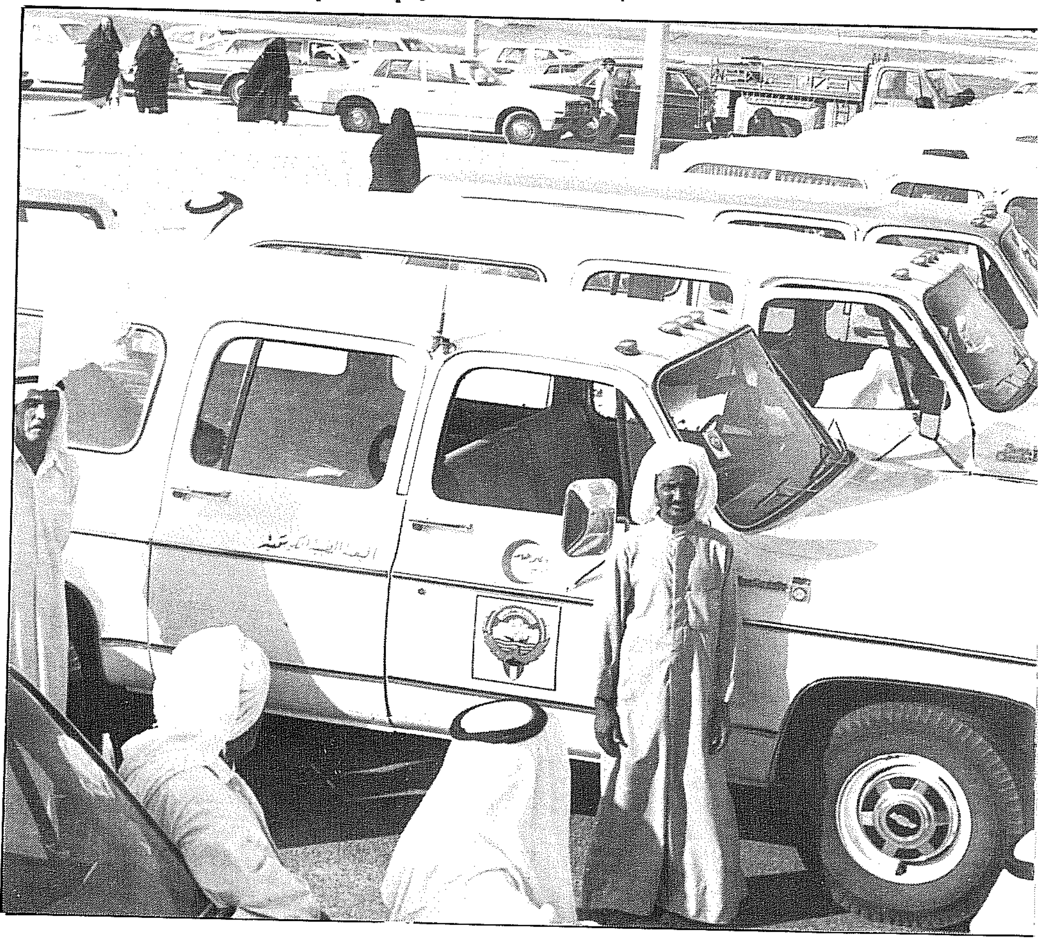
● نظافة المسكن والمحافظة على الهدوء داخل السكن حتى يحظى كل حاج بقسط من الراحة والنوم حفاظا على صحته وأن يتجنب الحاج التدخين في غرف النوم وترك الأطعمة مكشوفة في الغرف ويجب أن يحرص الجميع على عدم إلقاء الفضلات في الممرات وعلى نظافة دورات المياه وأن توضع فضلات الأكل في أكياس القمامة مع إغلاقها تجنبا للروائح المنبعثة منها وحفظها بعيدا عن الذباب حتى يسهل جمعها في صناديق البلدية المعدة لذلك ونظافة ماء الشرب من الأمور الهامة فلا يجوز تناول ماء الشرب إلا من مصدر تطمئن إليه ، ويجب استعمال السواك أو معجون الأسنان والفرشاة للمحافظة على



نظافة الفم وسلامة الأسنان امتثالا لقول الرسول الكريم « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » رواه أحمد .

٨) الراحة :ـ

لاتنس نصيبك من الراحة وأعط جسدك قسطا كافيا من النوم الهادىء لأن الإفراط في السهر يرهق البدن ويقلل من مناعة الجسم ويؤثر على طاقة الانسان في حسن أداء المناسك وإذا شعرت بالتعب وأنت تؤدي نسكا



فاسترح فيمكنك مثلا الاستراحة بين الأشواط أو في أثناء السعي وأن تشرب من الماء ما يرويك ويجدد نشاطك فالعبادات ليست إسقاطا لفرض ولكن تدريبا على كيفية التعامل مع الحياة بطريقة تليق بكرامتك وكرامة الوجود في عبودية حقيقية للخالق الذي سخر لنا ما خلق

٩) تأجيل الحج :ـ

يستحسن تأجيل الحج عند وجود :

ـ اضطراب نفسي .

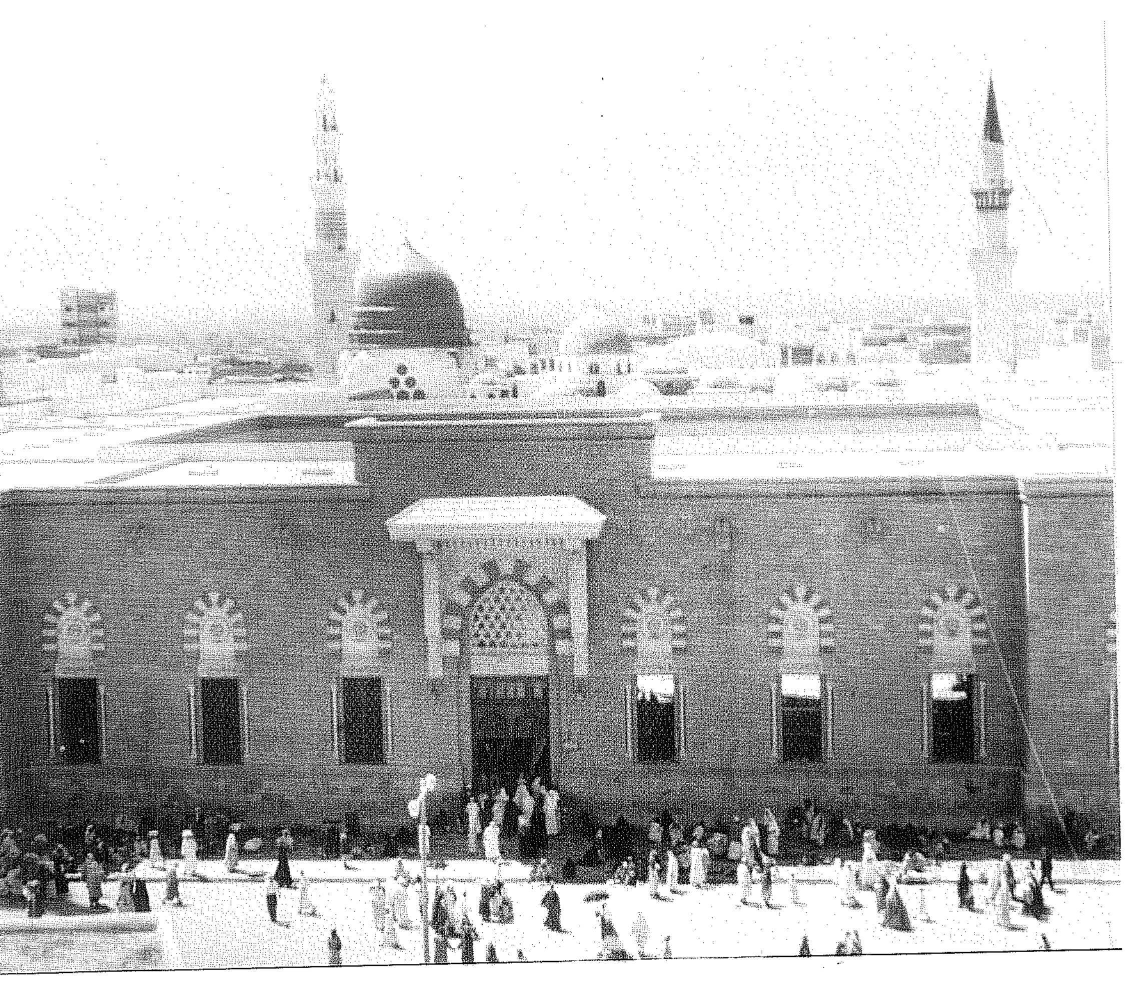
ـ الإصابة بداء السكري ولم تتم السيطرة عليه علاجيا .

ـ ارتفاع ضغط الدم المصحوب بمضاعفات كهبوط بعضلة القلب مثلا ، وفي حالة انسداد الشريان التاجي وحدوث خلل في ضربات القلب أو قصور في الدورة الدموية

ـ السل المتقدم حتى يتم التحكم فيه بالوسائل العلاجية .

ـ الإصابة بالصرع أو الفالج .

وكثيرا ما نرى مسنين أدوا فرضهم ويصرون على الحج نافلة لهم في هذه



الأيام وأمنيتهم أن يقضي إليهم أجلهم وهم في الحج لتشفع لهم الأرض التي يدفنون فيها . ولكن من يدري فقد تكون له بقية أجل فتزداد حالتـه سوءا ، علما بأن الانسان لايدخل الجنة إلا برحمة الله وليس لشفاعة الأرض التي يدفن فيها .

أما الحامل فيستحسن أن تؤجل الحج إلى ما بعد الوضع سواء كان الحمل في الشهور الأولى أم في الشهور الأخيرة ، حتى لاتتأثر صحة الأم أو الجنين ، ففي الشهور الأولى قد تتعرض الحامل لبعض الأمراض في أثناء الحج ومن هنا سيضطر الطبيب المعالج إلى اعطائها الدواء ، ومن المستحسن عدم وصف أي دواء في الشهور الأولى من الحمل إلا عند الضرورة القصوى حفاظا على الجنين من التعرض للآثار الضارة للعقاقير الطبية وما تسببه من تشوهات خلقيه في الجنين ، كما أن هنـاك سيدات لهن تـاريخ سـابق لإجهاض متكرر في الشهور الأولى من الحمل . ومثل هؤلاء السيدات عرضة للإجهاض في أثنـاء الحج نتيجـة للمجهود الذي يتعرضْنَ له ، أما في الشهور الأخيرة من الحمل فإن أمر الولادة المبكرة وارد فـلا تستطيع الحامل تكملة مناسك الحج علاوة على ما تعانيه في الشهور الأخيرة من العناء والتعب نتيجة الحمل نفسه .



خصائص العقيدة الاسلامية

للأستاذ / محمد صلاح الدين الازهري

للعقيدة الاسلامية مزايا تختص بها وحدها دون سواها من سائر الأديان الحاضرة وسأذكر ابرزها وأوضحها ،رداعلى الخصوم وبيانا للجاهلين وازالة لما يلحق ببعض النفوس الضعيفة من الشكوك والأوهام .

الخاصة الأولى : عقيدة الفطرة السليمة :

ان العقيدة الاسلامية هي عقيدة الفطرة الانسانية السليمة ، ومعنى الفطرة السليمة : ما خلق الانسان عليه من الغرائز والميول والعواطف والتفكير دون أن تتأثر بما يغير نقاءها من أثر البيئة وسوء التوجيه .

والانسان بطبعه مفطور على التدين والاعتقاد بوجود قوة قاهرة عظيمة فوق قوته وفوق قوة من سواه من العالمين ، يطمئن اليها في حالة أمنه ويسره ،ويلجأ اليها في ساعة خوفه وعسره ، ويدعوها إذا نزلت به المصائب وضاقت به الأحوال ، كما يشكرها إذا ذهب خوفه واتسع رزقه وزالت عنه الأحزان .

والعقيدة الاسلامية موافقة لهذه الفطرة السليمة الأصيلة ، لا تصادمها ولا تقاومها بل هي تقويها وتغذيها وتقيها من الانحراف والضلال .

فالمسلم يعتقد ان لهذا الكون خالقا عظيما قادرا حكيما جل عن التصور وتعالى عن التشبيه والتمثيل ، لا يعتريه ضعف ولا عجز ولا غفلة ، ولا يطرأ عليه نقص ولا فناء ، بيده الأمر واليه المرجع وعليه تعرض الأعمال يوم الحساب والجزاء ، هذه العقيدة الواضحة الصريحة لا تصادم الفطرة ولا تحيد عنها ، بل إنها تخلصها من كل ما يعتري الانسان من القلق والحيرة والاضطراب .

الخاصة الثانية : عقيدة العقل والعلم والتفكير الصحيح

ومن خصائص العقيدة الاسلامية أنها عقيدة العقل والعلم والفكر الصحيح ذلك أنها تتفق مع العقل ولا تعطله ، وتساير الفكر ولا تخالفه ولا تضع أمامه السدود ، ولا تقول للمسلم (أطفىء مصباح عقلك وسلم وأنت أعمى) ولكن تقول له (**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**) الآية ٣٦ الاسراء . فهي تطلق العنان للتفكير وتفك عنه القيود والأغلال ، وتأمر كل إنسان بالتأمل والنظر في كل ما يحيط به ويشاهده ويحس به من قريب أو بعيد ، ما صغر منه وما عظم وما استقر في الارض وما علا في السماء من جمادات ومن أحياء (**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت**) الغاشية/١٧ ـ ٢٠ وهنا يأمر الله نبيه أن يذكر الناس دون إجبار ولا إكراه حيث قال تعالى : « **فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر** » ٢١ و ٢٢ الغاشية .

إن المرء اذا أطلق العنان لعلمه وتفكيره دون أن يعتريه شيء من غشاوات الغي والضلال ، فإنه لابد أن يصل إلى هذه النتيجة الحتمية تلك،أن لهذا الكون خالقا قادرا حكيما واحدا متصفا بصفات الكمال منزها عن صفات النقص والعجز والمشاركة والتصور والمثال .

هذا ما يقتضيه العقل ويصل إليه الفكر المجرد ويحتمه العلم ويقرّ به العلماء المنصفون ، وكل ما عدا ذلك من إنكار الخالق أو تعدد الآلهة أو تشبيه الله بشيء من مخلوقاته أو تصوره أو إمكان رؤيته بأبصارنا في حياتنا الدنيا أو إدراكه بالحواس ، كل ذلك يأباه ويخالف العقل ويصادم العلم واليقين ، والعاقل الحر يعتقد أن لهذا الكون خالقا عظيما لا تدركه الأبصار وهو على كل شيء قدير . وفي القرآن الكريم كثير من التوجيهات والتنبيهات إلى النظر والبحث والتفكير في عظيم مخلوقاته وبديع آياته في هذا الكون الكبير وما يحويه ، ثم يختم ذلك بالتنويه بقيمة العقل ووجوب استعماله وعدم تعطيله : أنظر إلى قوله تعالى في ختام تلك اللفتات : (**ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون**) (**لقوم يتفكرون**) (**لآيات لأولى الألباب**) (**أفلا تتفكرون**) (**قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**) (**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**) والآيات التي تلفت الأنظار والعقول كثيرة تبلغ المئات .

وقد بين الله تعالى أن الانسان مسؤول عما أعطاه إياه من السمع والبصر والادراك وجميع الحواس ، وذم من عطلها وغفل عنها ، وشبههم بالأنعام . انظر إلى قوله سبحانه :

« **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم**

آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » ١٧٩ الأعراف .

ولم يثبت حتى الآن أن حقيقة علمية واحدة صادمت أو خالفت شيئا من العقائد والحقائق والأخبار التي جاء بها الاسلام ، رغم التقدم العلمي والسبق الصناعي والتوسع الفكري ، بل إن ذلك التقدم يؤيد ما أقره القرآن الكريم والسنة النبوية ويقوي حجته ويكشف عن صدقه وثبوته .

الخاصة الثالثة عقيدة بعيدة عن الخرافات والأوهام :

من خصائص العقيدة الاسلامية الخالصة : أنها بعيدة كل البعد عن الخرافات والأوهام ، فلا أوثان ولا أصنام ولا عبادة كواكب ولا نجوم ، ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول ،والشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا يكسفان لموت ولا لحياة والأنبياء الكرام ليسوا آلهة ولا أبناء آلهة ولا من الملائكة ، وإنما هم بشر كسائر البشر يعتريهم المرض والألم والجوع والظمأ والموت والحياة ، وإنما خصهم الله بحمل رسالته وتبليغ شريعته ، رحمة بعباده وقطعا لحجة المنكرين الجاحدين الجاهلين الضالين .

هذه أبرز خصائص العقيدة الاسلامية القوية القويمة ، تساير الفطرة في تفكيرها ، وتسير معها في طريقها السوي الصحيح ، لا تقاومها ولا تنحرف بها عن الصراط المستقيم .

يؤيدها العلم في حقائقه وكشوفاته وإدراكه لما كان خفيا عن الأنظار والأسماع ، ولا ترضى عذر المعتذرين الغافلين الذين يقولون إذا ما دعوا الى الحق واليقين : « **إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** » الزخرف ٢٣ .

انها تحارب تقليد الآباء والأمهات والمجتمعات الجاهلية الخاطئة من غير بصيرة ولا هدى « **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** » ١٧٠ ـ البقرة .

دين ينبذ الخرافات ويحارب الأباطيل والاساطير وكل ما تأباه العقول وترده الأفهام .

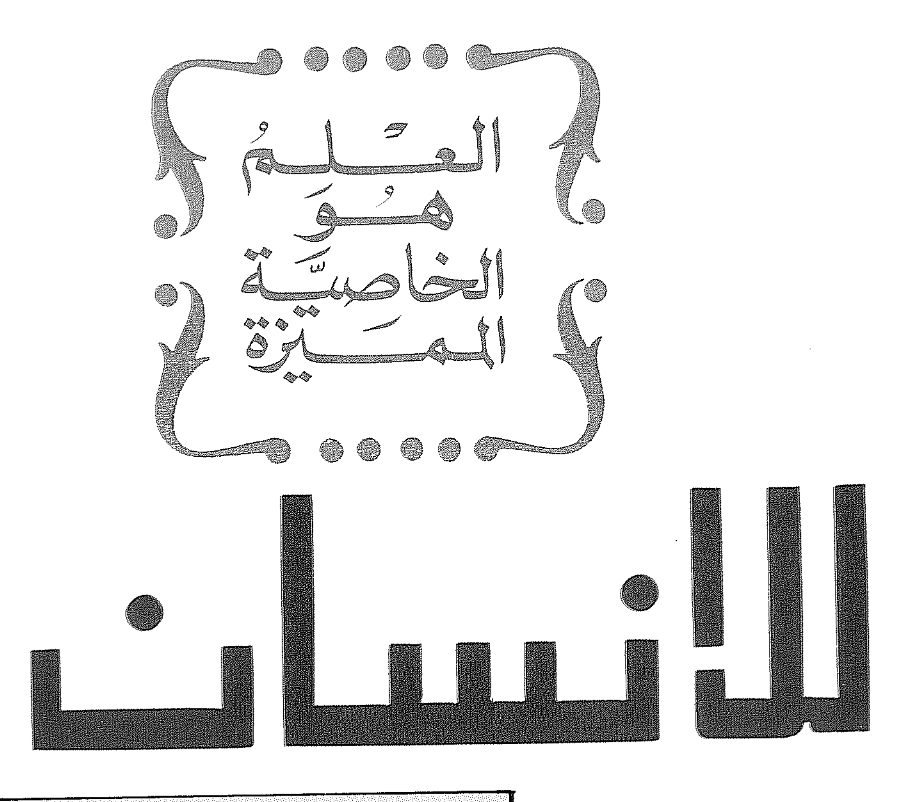
الخاصة الرابعة انها عقيدة الرسل والأنبياء :

انها العقيدة التي جاء بها جميع الأنبياء والرسل الكرام .

« **أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون ، قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق**

ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين »

٨٣ ـ ٨٥ آل عمران .



العلم هو الخاصية المميزة للانسان

للدكتور/كارم السيد غنيم

يرفع الله سبحانه قدر العالمين باياته ، فهم القادرون على فهم أوامره ، وهم الذين كلما ازدادت معرفتهم بها ازداد قربهم من ربهم وإدراكهم لمقاصد كلامه العزيز : (**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**) العنكبوت/ ٤٣ والفضل في علمهم هو في الأصل راجع إلى مولاهم عز وجل ، فهو سبحانه الذي وهبهم القدرة على إدراك العلوم وفهم أسرار الآيات . وقمة البشر هو رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم فإننا نجد الحق تبارك وتعالى يقول في شأنه (**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**) النساء/ ١١٣ ويمتن الله عز وجل على عباده المؤمنين فيقول : (**كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون . فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**) البقرة/ ١٥١و١٥٢ . ولقد كانت الخاصية التي ميز الله بها آدم وذريته هي « العلم » (**قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم**) البقرة/ ٣٣ فأصبحت صفة العلم هي الخاصية المميزة للانسان عن سواه ، وهكذا

لا يتميز الانسان إلا بما أوتي من علم . وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فسنته زاخرة بما يرفع أهل العلم ويعلي قدرهم وفي نفس الوقت يحملهم مسئولية جسيمة ، تلك هي قيادة البشرية وريادة الانسانية .
فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء » رواه أبوداود والترمذي وابن ماجة .

وإنه لمن المعلوم لدى العقلاء أن خير العلم ما عمق صلة العبد بربه وبنى جنسه ، وحدد له موقعه من الكون ونبهه إلى آيات الله المنظورة ؛ كما أعانه على فهم آياته المسطورة .

إن كل معرفة صحيحة هي في الحقيقة معرفة قرآنية إسلامية ، ولقد فهم أسلافنا هذا ووعوه جيدا ، ومن ثم فقد حفظوا رسالة هذا الدين وأعلوا بذلك رسالة العلم . وإذا كانت الأمة الاسلامية قد تعاقبت عليها أحقاب اختلفت بين القوة والضعف ، والتقدم والتأخر ، والنشاط والجمود ، إلا أن هذه الأمة لمعدنها الأصيل وجوهرها النقي لا تخلو حقبة من حقباتها من علماء أفاضل حملوا مشاعل المعرفة وأدوات العلم عبر الأزمان ، وكان منهم رواد في كافة العلوم والبحوث العلمية ، حتى أضحى جليا أمام المنصفين من غير المسلمين أن المنهج التجريبي في البحث العلمي هو منهج علماء المسلمين الذين ساروا في العلم بكل دروبه فبرعوا وذاع صيتهم ، وتلقفت أوروبا مؤلفاتهم وآرائهم ونسجت عليها حضارتها .

صاغ علماء المسلمين هذا المنهج في وقت كان الظلام الدامس يخيم على أوروبا ، وكان العلم قبلهم ، والذي أخذوه من اليونان ، يحلق في أجواء الفلسفة أكثر مما يلجأ للتجريب . وإنه لمن الواضح أن العلوم بكافة تخصصاتها ، وخاصة التطبيقية منها ، هي من أخطر أسلحة هذا العصر التي يفتقر إليها العالم العربي والاسلامي في مواجهة تحديات أعدائه وتفوقهم فيه بمسافة طويلة ، فالأمة الاسلامية ـ كما يرى العقاد والغزالي وغيرهما من الغيورين على حياة الأمة ـ في أمسِّ الحاجة إلى نوابغ متخصصين وخبراء عباقرة من خيرة أبنائها المسلمين ، من ذوي الغيرة على الدين والأمة ، بقدر حاجتها إلى دعاة مخلصين واسعي الثقافة .
إن المستعرض لتاريخ العلوم في حياة المسلمين يستطيع أن يضع ستة من قادة المسلمين على القمة في الحركة العلمية وريادتها هم : المأمون ، وهو الذي

أنشأ بيت الحكمة ، ونظام الملك ، وهو الذي أسس المدارس النظامية ، ونور الدين زنكي ، وكان راعيا للعلوم في سوريا ، والحاكم بأمر الله ، وهو الذي أنشأ دار الحكمة في القاهرة ، وصلاح الدين الأيوبي الذي حمى التراث العلمي من عوغاء التتار ، ثم السلطان أولغ بيك في سمرقند ، وهو مؤسس النهضة العلمية في الدولة التيمورية وقد نبغ في عصره جمشيد غياث الدين الكاشي وغيره . كذلك كان الحال في الأندلس (غرب العالم الاسلامي) فقد أصبحت قرطبة في ظل عبدالرحمن الثاني (٨٢١ ـ ٨٥٢م) ومن خلفوه (حتى ١٠٠٩م) مركزا هاما للنشاط الفكري والرخاء الاقتصادي وازدهار العلوم وإن لم ينضج العلم العربي هناك إلا متأخرا عن نظيره في الشرق الاسلامي ، ويرجع ذلك حسب آراء أغلب المؤرخين إلى ظروف سياسية . ومما لاشك فيه أنه لابد للعلم من إيمان يحرسه ودين يرشده ، وذلك كله في الاسلام يعد من مبادئه ، وعلم هذا شأنه وخطته وهدفه ، يجب أن تتوفر فيه سمات (أو قسمات) أساسية منها : الاثراء الايماني ، والنفع العام ، وعدم ابتغاء الافساد به ، والوقوف به عند حدود معينة فلا يحق له أن يلج الأمور الغيبية . **كما يجب على القائمين به أن يتميزوا بخصائص منها : الاخلاص في العمل ، وابتغاء وجه الله ، وتحقيق الخلافة المنوطة بهم على هذا الكوكب الأرضي ، وأن تكون هويتهم الشخصية إسلامية ، وأن تقترن علومهم بأعمالهم وسلوكهم ..**

وأما (العقل) فخلاصة أقوال العلماء فيه أنه القوة العاقلة المدركة ، وهو لم يرد في القرآن بلفظه ، وإن وردت صفاته وتعددت أبعاد نشاطه . أما أداة العقل في القرآن الكريم فهي « القلب » (**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها**) الحج/ ٤٦ والسر ـ والله أعلم ـ في إغفال ذكر العقل بلفظه كأداة لمستوى معين من الادراك ، وإضافة ذلك الادراك إلى القلب ، هو ألا يفهم أن المراد من عقل الأشياء مجرد الوقوف بها عند الجانب التجريبي والمعملي الجاف ، دون التجاوز إلى مجالي الانفعال والوجدان اللذين هما من الحركات القلبية ، إذ أن الوقوف بالأشياء عند مرحلة المعرفة المجردة ليس

مراد الدين ، وإنما يراد مع الادراك لها التعاطف معها ، وغمرها بدفء الاحساس ، وحرارة الوجدان ، بحسبان المدرك فردا من جملة المدركات التي تشكل في مجموعها الكون الكبير ، والتعاطف مع المدركات شرط لادراكها إدراكا صحيحا وكاملا ، ذلك أن المدرك إذا لم يكن ذا حس يعطفه إلى الأشياء كانت خبراته مفتقرة إلى الإجادة والإتقان ، أما إذا أحسَّ كونه الذي يعيش فيه بالمفهوم الذي ذكرناه ، استقر في وجدانه أن ثمة صلة تجمع بينه وبين الكون كله ، تلك الصلة هي العبودية لمعبود فرد هو الله ، وهذه خصيصة انفرد بها الاسلام .

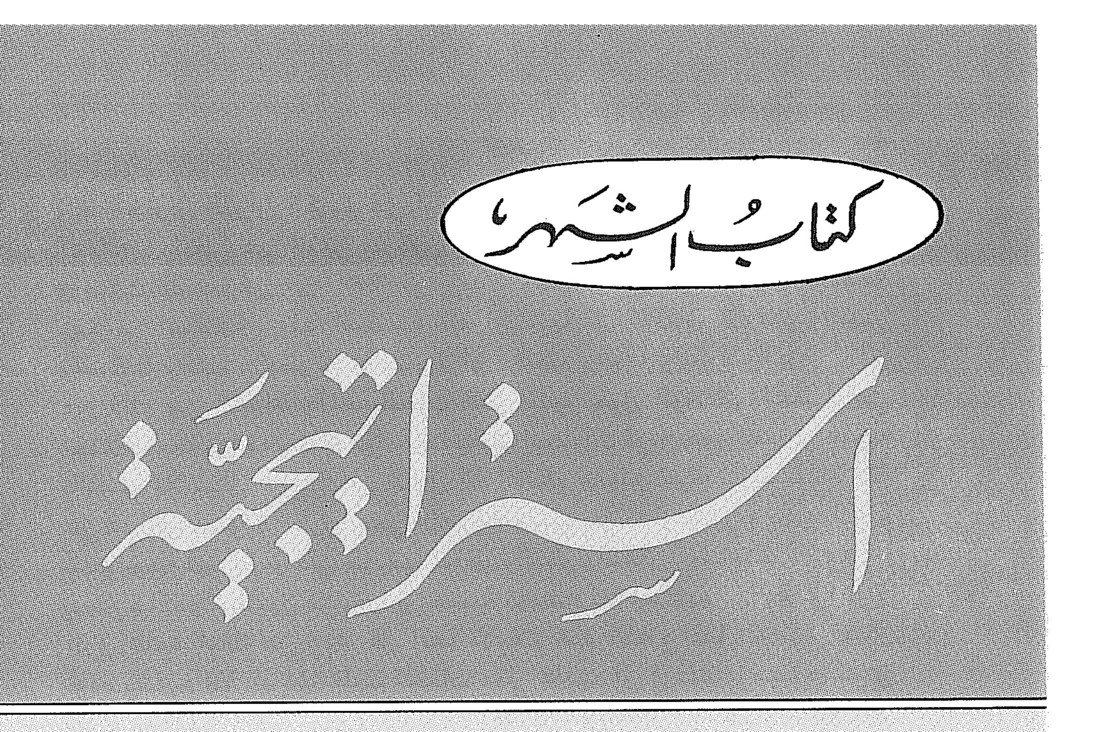
ولقد احتوى القرآن الكريم على آيات كثيرة تحث على استعمال العقل وعدم إهماله ، وتنعي على الذين يتركون عقولهم بدون نماء أو حتى استخدام ، ووصلت النصوص إلى ٣٥٠ أو يزيد ، وكلها تشير إلى العقل ومرادفاته ومعانيه المختلفة ، وقد استخدم القرآن فيها كل الألفاظ كالتفكر والتدبر والحكمة واللب والنظر والرشد والرأي والعلم والفقه والقلب والفؤاد ، إلى غير ذلك من الألفاظ والمصطلحات التي تدور حول الوظائف العقلية على اختلاف معانيها وخصائصها ، مما يعتبر إيحاءات قوية بدور العقل وأهميته بالنسبة للانسان . وإذا كان العقل آلة التفكير فالعلم ثمرته ، وحسبنا دلالة على هذا أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم حينما أرسله ربه بالرسالة لم يقدم حجة لها إلا ،و كان طريقها العقل والنظر والتفكر ، ولم يشأ له ربه أن يحقق ماكانوا يطلبون من خوارق حسية تخضع لها أعناقهم : (**وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون**) العنكبوت/ ٥٠ و٥١ وقد ارتفع القرآن بالعقل ، وسجّل أن إهماله في الدنيا سيكون سببا في عذاب الآخرة، فقال حكاية لمايجري على ألسنة الذين ضلوا ولم يستعملوا عقولهم في معرفة الحق والعمل به (**وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير**) الملك/ ١٠ .

وإن المتقلب بين دفتي القرآن الكريم ليجد أن المظاهر الكونية والظواهر الطبيعية فيه تشكل صفحات حية متطورة أمام العقل البشري ، عليه أن يتصفحها وأن يعيها ، وأن يحاول الاهتداء إلى نواميسها وأسرارها التي تنطوي عليها ، وتكمن في ثناياها ، والتعرف على ما ترمز إليه من دلالات على وجود قوة عليا ، موجدة ومسيطرة ، والعقل ـ دينا ـ مطالب بالنظر في الكون كله ، على رحابة آفاقه وبعد أعماقه .

وأول أنواع التفكر هو التفكر في حكمة خلق الله للانسان على ظهر هذه الأرض ، وقد سخر له كل ماحواه الكون وتضمنه ، وأمره بعمارته وعدم الخمول فيه حتى يمكنه تحقيق الهدف الأسمى من وجوده على ظهر هذه الأرض ألا وهو خلافة الله ، ونهاه عن الإخلاد في الأرض والركون إلى متاعها وزخرفها ومباهجها ، وأمره بالاستعداد في هذه الدار إلى المقر الأساسي والحياة الباقية السرمدية وهي الدار الآخرة بعد الموت والبعث والقيامة .

وختاما ، فإن الانسان يلمس الامتزاج الكامل بين المعطيات الدينية وبين البحوث والنتائج والحقائق العلمية

وإذا كان القرآن دعا بكل وضوح إلى التقلب في أرجاء ما يحويه الكون من مخلوقات ، فإن لهذه الدعوة أو للعرض الذي قام به القرآن للكون خصائص هي : الدعوة إلى الالتفات إلى الكون ، الشمول والاحاطة ، الديناميكية الدائبة ، الطواف من أشهر سنن الله الكونية ، وترشيد النظرة الانسانية إلى الكون .



الكتاب الذي نتعرض له اليوم بالعرض والتحليل .. هو كتاب « استراتيجية العالم الاسلامي » الذي أصدرته وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية منذ عدة سنوات .. وهو بأقلام نخبة من علماء ومفكري المسلمين .. ويضم ١٩٦ صفحة من الحجم المتوسط .. ويعالج مجموعة من القضايا التي تهم العالم الاسلامي ..

فيتناول الدكتور عبد الحميد الهاشمي قضية التطور العلمي في ظلال القرآن الكريم وخصوصيات التفكير في إطار الاسلام ووسائلنا للتطور العلمي المعاصر وهل لدى المسلمين فكر علمي موضوعي ؟

ويتحدث الاستاذ عمر الحكيم عن الجغرافية الاسلامية .. فيتناول العالم الاسلامي في خضم الصراع العالمي ومقدرة الاسلام وقوته والمواد الخام الزراعية والصناعية وتزايد السكان في العالم الاسلامي وخصوبة البلاد الاسلامية .

ويتناول الاستاذ محمد المبارك .. مجتمع الأمن العالمي وعوامل التقارب بين الشعوب الاسلامية ووجوب

العالم الاسلامي

التحرر من التبعية الفكرية المنبثقة عن الحضارة المادية .. ويستمر الكتاب في استعراض آراء العلماء فيتحدث الدكتور محمد أمين المصري عن المعاني الدخيلة على الأمة الاسلامية نتيجة لخضوع الأمم الاسلامية للاستعمار ومحاولات عزل العقيدة الاسلامية عن الحياة .. ويتناول الاستاذ أحمد محمد جمال موقف الاسلام من مبدأ القومية .. وفضل الاسلام على القومية العربية .

وفي الفصل الأخير من الكتاب .. يقدم لنا الاستاذ عبد الرحمن حبنكه تصوره لمنهج التثقيف الاسلامي العام وإعداد مصنفات إسلامية حديثة وميثاق إسلامي عام بعيد عن النقاط الخلافية .

والكتاب ـ كما رأينا ـ من خلال عرضنا للموضوعات التي يحتويها . جدير بالعرض والتحليل .. إذا أردنا أن نصل الى صيغة صحيحة لاستراتيجية العالم الاسلامي .

عرض وتحليل : محمود بيومي

التفكير العلمي لدى المسلمين

ادعى بعض المستشرقين .. أن التفكير لدى المسلمين لا ينجح إلا في نطاق « التأمل الباطني » أو « السرحات الشعرية والأدبية » أو في عالم الروحانيات والمثل .. فليس ـ في زعمهم ـ للعقل الاسلامي نشاط في

من خصوصيات الفكر العلمي عند المسلمين أنه فكر أخلاقي ذو سمو وأمانة .

مجال العلوم الموضوعية والكونية والتطبيقية .

وهذا الادعاء يفترض وجود فروق عنصرية بين الجماعات والدماء البشرية .. وهو ادعاء يرفضه علم السلالات البشرية .. بل هو نتيجة التعصب الديني ضد الاسلام والمسلمين .. فتاريخ الفكر الانساني وعلومه يؤكد أن النهضة الأوروبية الحديثة لم تكن من عدم ، ولم تكن امتدادا مباشرا لحضارة الاغريق والرومان .. لأن النهضة الأوروبية بدأت في القرن ١٥ الميلادي بينما انقرضت الرومانية والاغريقية في القرن السابع الميلادي .. وما بينهما وهو فترة ثمانية قرون كانت ظلاما وجهلا وانحطاطا ساد اوروبا .. وفي هذه الفترة كان يحمل الثقافة الانسانية والحضارة العالمية،.. العلماء المسلمون في المشرق الاسلامي ومغربه في الاندلس .. وكانت اللغة العربية هي اللغة العلمية العالمية .

ثم إن كثيرا من الكتب العلمية للنهضة الفكرية الاسلامية لكبار الأطباء والرياضيين والكيميائيين والفلكيين والجغرافيين والنباتيين لاتزال شاهدة وموجودة بنسخها الأصلية أو المترجمة الى اليوم في دور الكتب الكبرى في دول العالم الأوروبي .

من خصائص الفكر العلمي عند المسلمين

من أهم خصائص: الفكر العلمي عند المسلمين .. أنه فكر موضوعي لايصدق الخرافة .. ذلك أن المسلم العادي لا ينظر الى الكون وما فيه إلا انه أمور موضوعية مسخرة له .. عليه أن ينتفع بها .. والانتفاع لا يكون إلا بدراستها وفهمها .. والخصوصية الثانية أن العلماء اعتمدوا الملاحظة الموضوعية طريقا للعلم واكتشافاته . ونجد ذلك واضحا في إنتاج العلماء المسلمين مثل ابن سينا وهو من واضعي علم الصيدلة في العالم .. بعيدا عن الشعوذة التي كانت سائدة في الأدوية .

والخصوصية الثالثةأنه فكر يستخدم التجريب .. حيث اعتمد العلماء المسلمون في دراساتهم الطبيعية على التجارب سبيلا في اكتساب المعلومات واكتشاف القوانين العلمية .. ففي طريقة استخدام المواد الكيميائية وتأثيرها كان التجريب سبيلهم .. وفي استخراج الأدوية من المعادن والنبات والحيوان كان

التجريب طريقهم دون شعوذة أو تدجيل إغريقي أو روماني .

ومن خصوصيات الفكر العلمي عند المسلمين .. أنه فكر اخلاقي ذو سمو وأمانة .. ذلك أن الاسلام دين العلم ودين الحياة السامية واليد المسلمة كانت وفية لمصادر العلم ذكرت اساتذتها ولو كانوا من غير المسلمين وكانت أمينة لم تنهب كتب الأمم المغلوبة .. انما عمل المسلمون بوحي من إدراكهم العلمي الفطري على حفظ تلك الكتب في أماكنها صيانة لها ثم عملوا على ترجمتها الى العربية لنشر فوائدها بعد أن أسندوا الشيء لفاعله والرأي لقائله ..

هذه هي أخلاق العلماء المسلمين نتيجة للتربية الاسلامية وتهذيبها .

أما الخصوصية الخامسة فهي ان الفكر الاسلامي في مجال العلوم .. إنساني النزعة عالمي المستوى .. لم يحتكر علما .. بل وضع تجاربه وتطبيقاته للناس جميعا .. وهذا الاتجاه العلمي السليم يدل على الثقة العلمية .

وسائل التطور العلمي في إطار الاسلام

إن التعليم .. هو الوسيلة للوعي الذاتي ولتحرير الشخصية المسلمة مما علق بها من رواسب .. والتعليم اذا اقتصر على فئة محدودة .. كان محدود الأثر .. فما هي الوسائل الايجابية والجدية لتطورنا العلمي ـ نحن المسلمين ـ؟

لاشك أن وسائل تطورنا تتركز في نشر التعليم وإحياء الوعي الثقافي بحيث تشمل أبناء العالم الاسلامي .. فالتربية الاسلامية في نظامها التعليمي تعتبر التعليم فريضة على كل مسلم .. كما أنها تقدم الفرص المتكافئة الى جميع أبناء الأمة فقيرها وموسرها .

ومن وسائل التطور ايضا .. توجيه ذوي المواهب العلمية .. فللمجالات العلمية والفنية والأدبية اهميتها في حياة الأمة ولها أفرادها الموهوبون .. فقد اكتفى المستعمر لأمتنا الاسلامية بوضع مناهج تخدم أهدافه .. وأهمل العقيدة الاسلامية لأنه عدو الاسلام وأهمل الاتجاه الصحيح في تعليم أبنائنا ..

أما الوسيلة الثالثة لتطورنا العلمي ـ نحن المسلمين ـ فهي أن نقتبس وننقل ما لدى غيرنا من نافع ومفيد .. وذلك أن التطور العلمي إنما يبدأ بالنقل والاقتباس وحسن الاستخدام واتقانه الى أن يسير التطور نحو التجديد ثم الاختراع والاكتشاف .. بشرط أن نحسن الانتقاء لما يفيدنا ويلائم بيئتنا ومجتمعنا الثقافي وعقيدتنا الاسلامية .

ثم نأتي إلى الوسيلة الرابعة وتتركز في تشجيع الروح العلمية .. بحثا وملاحظة وتجريبا وتنقيبا واكتشافا .. باعتبارها الوسيلة الدائمة في التطور العلمي .. وهذا التشجيع للروح العلمية الموضوعية يقوم على مصدرين متوافرين في عالمنا الاسلامي هما :

على الأمة الاسلامية مسئولية قيادة الركب العلمي الانسـاني وتخليص الانسـان من الجاهلية .

الطاقة البشرية والخامات الطبيعية النافعة .

وهنـا تكمن مسئوليـة الأمـة الاسلامية في قيادة الركب العلمي الانساني وفي خلاص الانسان من الجاهلية .. قيادة تؤمن بالله وتسخر مظاهر الكون لخدمة الانسانية .

العالم الاسلامي والصراع العالمي

يبدو العالم الاسلامي كأنه لا رأي له في الصراع العالمي الحالي .. ولا في مقدرات العالم ولا مصير المسلمين الحـالي أو البعيـد نتيجـة لهـذا الصراع .. بل يبدو العالم الاسلامي وكأنه غائب عن هذا الصراع .. وكأن دور المسلمين أصبح مقصورا على اقـامة العبـادات والانطـواء عـلى أنفسهم .. بل إن العالم الاسلامي الآن .. هو الجبهة الجـديدة التي تجرب فيها القوى العالميـة جميع اسلحتها الفكرية والأخلاقية من شيـوعيـة واشتـراكيـة وعلمـانيـة وإباحية .. كما تجرب فيه اسلحتها السياسية والعسكرية .

فهل العالم الاسلامي ضعيف الى هذا الحد .. بسبب عقيدته أو بسبب فقره المادي أو بسبب عدوه الضئيل أو بسبب موقعه الجغـرافي أو بسبب انقطاع دوره التاريخي في تقرير مصير العالم والتحكم فيه ؟

إن العقيدة الاسلامية .. لا تزال كما هي وكما أنزلها الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .. صافية لم يلبسهـا شرك ولا تـزييف ولا تحوير .. ولقد حركت المسلمين قديما وفتحت لهم طريق الحضارة .. ولقد تمكن المسلمون من نشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها .. ولم يظهر على وجه الأرض مذهب من المذاهب قدم للبشرية تفسيرا شاملا للحياة وحافزا لها ومنظما ومتناسقا متكاملا كما جاء الاسلام . ولا يزال الاسلام قادرا على تحريك العالم .. بل إن الاسلام حفظ كل بلد اسلامي وقع في قبضة الاستعمار من الذوبان في بوتقة المستعمر .. فهل يكـون الاسـلام سببـا في ضعف المسلمين ؟

إن المنطق السليم والواقع يردان على مثل هذا الادعاء .

فهـل يمكن أن نعلـل ضعـف المسلمين الحالي بفقرهم المادي ؟

إن بلاد المسلمين تمتد من الشرق الى الغرب على ١٧ ألف كيلو متر من ايريان الغربية الى رأس الأخضر في

السنغال ، وتمتد من الشمال الى الجنوب على ٦ آلاف كيلو متر من تركستان الغربية وجنوبي الأورال الى زنجبار وتشتمل على مناطق هي من أهم مناطق العالم .

وبلاد المسلمين تقع على البحر الأبيض المتوسط وهو أهم بحر في العالم في قيمته التاريخية والتجارية والحربية .. والمسلمون يملكون في هذا البحر الساحل الجنوبي كله والساحل الشرقي كله ..

كما يملك المسلمون أكبر قسم من ساحل افريقيا الغربي على المحيط الأطلسي من طنجة حتى خليج بيافرا ، ويملك المسلمون سواحل البحر الأحمر كلها .. وبذلك فهو بحر اسلامي ، ويملك المسلمون قسما من ساحل أفريقيا الشرقي وساحل آسيا الجنوبى من باب المندب الى كراتشي ويملكون سواحل ماليزيا وسواحل اندونيسيا كلها .. وهم أصحاب الممرات البحرية الاجبارية كلها وأصحاب عقد المواصلات العالمية تقريبا .. فهم أصحاب الشاطىء الجنوبي لممر جبل طارق وهم أصحاب قناة السويس وباب المندب .

وبفضل هذا الموقع .. فإن المسلمين يملكون عصبا قويا من أعصاب الحرب والسلم..ولا أدل على أهمية هذا الموقع من محاولة كل من الكتلتين العالميتين .. التسلل الى البلاد الاسلامية بشتى الوسائل .

ثروات زراعية وتعدينية هائلة

ويملك المسلمون في بلادهم ثروات زراعية وتعدينية هائلة لا يمكن للعالم أن يستغني عنها في السلم ولا في الحرب .. فالعالم الاسلامي يملك ايضا المواد الخام الزراعية والصناعية والبترول .. بل ان المناطق الاسلامية بالاتحاد السوفيتي ذات اهمية حيوية كبيرة بالنسبة للاقتصاد هناك .

لقد صمد الاسلام كعقيدة تحرك الجماهير الاسلامية وتحميهم من المحاولات التي يبذلها أعداء الاسلام .

فإذا انتقلنا الى الناحية السكانية .. نجد أن العالم يتزايد سكانه بسرعة جنونية ويجمع خبراء علم السكان .. أن الأقوات على سطح الأرض لن تكفي البشر .. والعالم الاسلامي هو صاحب أكبر تزايد في عدد السكان ـ رغم حملات تنظيم النسل ـ فإنهم سيؤلفون عام ٢٠٠٠ خمس سكان العالم .

وعلى هذا .. لن يفيد البشرية في تقديم الأقوات .. الا البلاد الحارة ذات الأمطار الوفيرة أو ذات المياه الجوفية الكثيرة وذات المساحات الواسعة والسكان القليلين .. وهذه البلاد هي البلاد الاسلامية ، فالقسم الغربي من آسيا لا يزال غير مستثمر للزراعة ، بل يكاد يكون مهملا من الناحية

ان توفير الغذاء للبشر سيعتمد على العالم الاسلامي
الذي سيحتل المكانــة الأولى من الاقتصاد العالمي .

الزراعية .. فسهول العراق وايران وافغـانستان والبـاكستان صـالحة لاعطاء ثلاثة محاصيل سنويا وتقديم أقوات نباتية تكفي ألف مليون نسمة .

أما في افريقيا فالمستقبل العظيم للصحراء وللسودان الغربي والشرقي وللدول الاسلامية الواقعة على خليج غينيـا .. فالصحـراء الكبرى كنـز تعديني ، وتسبح على بحر من الماء العذب غير قابل عمليا للنضوب .. أما البلاد الاسلامية الواقعة على خليج غينيا والسودان الشرقي وتشاد .. فلم يـزرع حتى الآن سوى عشر أراضيها .. وستغدو هذه البلاد المنتج الأول للحوم ولـلزيوت النباتية .

إن توفير الغذاء للبشر .. سيعتمد في المقام الأول على العالم الاسلامي الـذي سيحتل المكـانـة الأولى في الاقتصاد العالمي ، ومن المتوقع أن تكون الزيادة الكبرى في عدد المسلمين مفتاحا لحـل الكثير من مشـاكلهم الحالية ولايقاف التآمر عليهم من قبل الاعداء .

إن عودة المسلمين الى تبوء مكانهم في العـالم بفضل الاسـلام وبقوة الاسلام هو العامل الاساسي في إشاعة السلام بين الأمم في المستقبل كما أشاعه المسلمون في الماضي .

عـوامـل التقـارب بـين الشعوب الاسلامية

إن المسلمين حين يحلون مشاكلهم عن طريق الاسلام الذي يدعوهم الى التعاون .. إنما يساهمون في حـل مشكـلات البشر جميعا ويخـدمون الانسانية كلها وينقذون الحضارة من كارثة الدمار نتيجة الصراع المستمر .

ولدى الشعوب الاسلامية رصيد عظيـم يمكـن استثمـاره لتحقيـق التعاون .. ذلك أن ثمة عوامل موجودة قائمة وليس عليهم إلا أن يعوها حق الـوعي ويقـدروهـا حق قـدرهـا ، ويفسحوا لها المجال لتقوم بدورها أحسن قيـام في خـدمـة الهـدف التعاوني .

ولاشك أن عوامل التقارب بين الشعوب الاسلامية كثيرة ومتعددة من أهمها : العقيدة التي تربط بين الشعوب المسلمة .. فإن بين هـذه الشعوب وحدة في النظرة الى الوجود وفي المفاهيم الاساسية في الحياة .. فـوحـدة العقيـدة بـين الشعـوب الاسلامية هي أساس وحدة التفكير ووحدة المفاهيم والاتفاق في قواعد

السلوك الاساسية .. كما أن الثقافة الاسلامية تعتمد على مصدرين هما القرآن الكريم والسنة النبوية وما يشتق منهما من عقائد وأحكام .

ولغة القرآن الكريم .. لغة ثقافية مشتركة بين الشعوب الاسلامية ،بها تقام شعائر الدين .. وقد اتخذت أكثر الشعوب الاسلامية الحرف العربي لكتابة لغاتها .. والتشريع الاسلامي هو في الأصل المرجع في العلاقات الاجتماعية المتعلقة بالأسرة والمعاملات المالية وغيرها وشعائر العبادات هي أيضا من أهم عوامل التقارب بين الشعوب الاسلامية .

التحرر من التبعية الفكرية الأجنبية

من العوائق القائمة في العصر الحاضر والتي يجب التخلص منها .. التبعية الفكرية للأمم الأجنبية البعيدة عن الاسلام أو المعادية له .. فقد تولدت في البلاد الاسلامية ـ خلال القرن الماضي ـ تيارات فكرية متصلة بالتيارات الفكرية المنتشرة في الحضارة الغربية وصيغت هذه التيارات الفكرية في صورة مذاهب وإيديولوجيات سياسية واقتصادية وذلك بتأثير الثقافة الاوروبية .. وهي في جملتها تشق طريقا في الفكر والحياة غير طريق الاسلام .. وترسي أسسا للمجتمع غير أسسه وتقيم روابط تحل محل الرابطة الاسلامية .

إن التحرر من التبعية الفكرية ومن المذاهب المنبثقة عن الحضارة المادية الأهداف والمنقطعة الصلة بالله وبالقيم الاخلاقية ، شرط ضروري لتحقيق أمن المجتمعات الاسلامية .

المخططات الاستعمارية لمقاومة الاسلام

في مؤتمر القدس الذي دعا اليه المستشرق « زويمر » تم الكشف عن العديد من المخططات الاستعمارية لمقاومة الاسلام .. إذ يقول هذا القس موجها حديثه الى المبشرين : « إنكم اعددتم شبابا في ديار المسلمين .. لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم عن الاسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الاسلامي ،اذا تعلم فللشهوات وإذا جمع المال فللشهوات وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء .. كما قبضنا على

التحرر من التبعية
الفكرية الغربية
شرط ضروري
لتحقيق أمن المجتمعات
الاسلامية .

تعاليم الاسلام وآدابه لا تعترض على مبدأ القومية كوحدة اجتماعية .

جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية » .

ويقول المستشرق الانجليزي « جب » في كتابه « أين يتجه الاسلام ؟ » « فقد الاسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية ، وأخذت دائرة نفوذه تضيق حتى انحصرت في طقوس محدودة ، ثم يقول : « ان العالم الاسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة علمانيا في كل مظاهر حياته » .

ويناقش الكاتب في هذا الفصل .. المعاني الدخيلة على الأمة الاسلامية فيستعرض الفتن التي سجلها التاريخ الاسلامي منذ مقتل الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه .. ويتحدث عن المتغيرات التي طرأت في مجال الدعوة الاسلامية .. ويرى أن التغير في مفهوم حمل الدعوة .. يكوّن الضعف الداخلي في الأمة الاسلامية ويمهد لدخول الاعداء وغلبتهم .. وذلك لأن الأمة التي يفقد أبناؤها حمل الرسالة تفقد معاني الجهاد وتفقد قيمة الحياة .

وحين يُفهم الاسلام أنه رسالة يجب ان تبلغ للعالم .. تصح المفاهيم .. وحين يصح معنى التوحيد يرى المؤمن من مستلزمات الايمان ... أن تكون صلاته ومحياه ومماته لله ..

موقف الاسلام من مبدأ القومية

إذا تدبرنا تعاليم الاسلام وآدابه .. أدركنا أنه لا يعترض على « القومية » كوحدة اجتماعية ينتمي اليها الفرد .. كما لا يتنكر الاسلام لحب المرء لأمته وحنينه لوطنه .. فالرسول عليه الصلاة والسلام قال عن مكة : « إنك أحب بلاد الله الي الله ، وأحب بلاد الله إليّ ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » .

ولكن الاسلام يرفض مبدأ القومية التي تجعل ولاء الفرد وإخلاصه للمصلحة القومية قبل أي اعتبار آخر من دين أو خلق أو عدالة .. ومن هنا جاءت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تنكر مبدأ القومية المتطرفة : « ليس منا من دعا الى عصبية ، أو قاتل على عصبية » وقوله : « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » .

وقبل ذلك .. نجد القرآن الكريم يقرر أن ولاء الفرد وإخلاصه يجب أن

يكون لخالقه عز وجل قبل نفسه وأهله وولده وقومه .. مع حث القرآن - في الوقت نفسه - على حب الانسان لوالديه وبرهما وحب الزوجة والأولاد ورعايتهم وحماية مصالحهم .

إذن .. فلا نسب بين المسلمين الا الاسلام .. ولا امتياز للون أو عنصر على لون أو عنصر آخر .. ولافضل ولا كرامة لانسان على أخيه الا بالتقوى والعمل الصالح والخلق الكريم .

فلا نكران للقومية العربية من حيث إنها حقيقة اجتماعية تاريخية لا تنكر .. فالعرب هم وعاء الاسلام الأصيل .. العرب هم أئمة الدنيا وقادة الشعوب الى الخير وخلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام .

منهج التثقيف الاسلامي

ويتناول الكتاب في الفصل الأخير .. موضوع التثقيف الاسلامي العام ، فيضع خطة لنشر الوعي الاسلامي الصحيح نلخصها فيما يلي :

- وضع ميثاق إسلامي عام يمكن أن يلتقي عليه معظم المسلمين ومن طبيعة هذا الميثاق أن يكون بعيدا عن النقاط الخلافية .

- وضع منهاج للتثقيف الاسلامي العام .

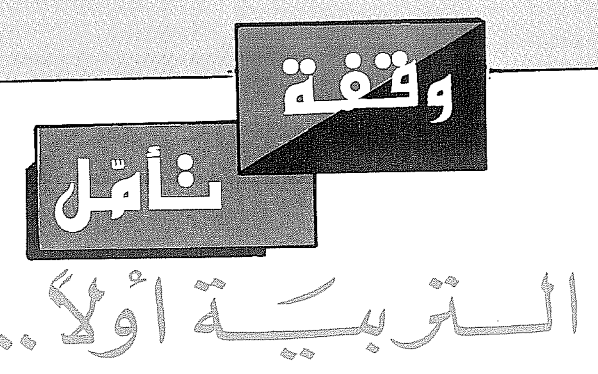
- اعداد مصنفات اسلامية حديثة ملائمة للغة العصر وأسلوبه الكلامي ، أو انتقاء المناسب منها وينبغي أن تكون هذه المصنفات بعيدة عن إثارة الخلافات المذهبية ، وأن تكون ايجابية في عرض جوانب الحق ، وأن تكون ذات مستويات تتناسب مع مستويات جماهير المسلمين ، على أن يتم نشرها بينهم بنسبة كافية .

- العمل على إعداد جيش المثقفين ثقافة اسلامية حسنة . مقرونة بوعي والتزام واتزان ، وينبغي أن تكون دوائر التثقيف الاسلامي في حالة اتساع مستمر .

- توجيه هذا الجيش المتزايد الى التوعية الاسلامية العامة بمستويات تتناسب مع حال الجماهير المختلفة .

قال حكيم :

« إذا أردت أن تخطط لعام فازرع القمح ، وإذا أردت أن تخطط لجيل فشجّر الأرض ، وإذا أردت أن تخطط للعمر كله فعلِّم الناس » .



التربيــة أولاً..

○ داخل المسجد النبوي الشريف .. حيث تشد الرحال إليه ، وحيث الصلاة فيه تفضل الصلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى .

○ داخل المسجد النبوي الشريف .. وقف صاحبنا أمام قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقرئه السلام ، ويصلي ويسلم عليه ، ويشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ويطلب من الله أن يجزيه عن أمة الاسلام خير الجزاء .. ويعطيه الوسيلة والفضيلة . درجة عالية في الجنة .

○ ثم سلم على خليفته الصديق أبي بكر ، وعلى أمير المؤمنين عمر ، ودعا لهما بخير .. ثم غادر المكان وسط زحام شديد كادت تنخلع أضلاعه ، ولكن الشوق ، وتفاعل الايمان داخله ، أنسياه كل معاناة .

○ وبعد أن خرج من الزحام اكتشف أن حافظة نقوده قد سرقت .. واستغرب صاحبنا ماحدث ، فهؤلاء جميعا ، قد قدموا لأداء مناسك الحج ، ولزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والعيش ساعات في جو ترددت فيه أنفاس محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وليمشوا على أرض خطت عليها أقدام السابقين الذين رضي الله عنهم ، ورضوا عنه من المهاجرين والأنصار .

○ فكيف يتعرض - إذن - لحادث السرقة ؟ وذهب ليبلغ شرطة الحرم النبوي ، وهناك يجد عددا من الحجيج قد تعرضوا لما تعرض له ، بل يجد من اضطرته الظروف للتسول - وهو الرجل الشريف العفيف - لأنه فقد كل شيء ،

○ ودار الحديث بين من جمعت بينهم الآلام والحيرة والشعور بالضياع . وتعددت الثقافات والجنسيات ، فجاءت التعليقات متباينة ، واحد يقول : إن المسئولية تقع على عاتقنا نحن ، فما كان ينبغي أن نحمل معنا وسط الزحام ما يغري بالسرقة ، وآخر قال : بل هي مسئولية السلطات المختصة ، فيجب أن تدقق في هويات الناس وتعرف من جاء للعبادة فعلا ، ومن جاء لينشر الفساد ، وتصادر الفساد قبل وقوعه .

وثالث يقول : لقد تعرضت لحادث سرقة عند زيارة مسجد السيد البدوي - وإن كان ذلك غير جائز - فظهرت كرامة السيد البدوي فظهر المسروق . وطبعا نحن في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وسوف أطلب منه أن يظهر المسروق . وقال رابع :- لقد جاءنا محمد صلى الله عليه وسلم بشرع الله ، وتطبيق شرع الله مسئولية الانسان ، ولو أحسنا تربية الناس على الايمان والأخلاق الحسنة ، لما حدث ما حدث ، وشرع الله يطالبنا بتنفيذ حكمه في حد السرقة ، ولو طبق هذا الحد في ديار المسلمين جميعا لما وقع ما وقع الآن ، ولكن التربية فاسدة ، والأحكام معطلة ، ولا يستطيع الأموات أن يفعلوا شيئا من أجل إعادة ما سرق .

○ ثم - يا أخي المسلم - لو ذهبت تعدد المظاهر السلبية الكثيرة ، والتي تتنافى مع قدسية الرحلة ، حيث الهجرة إلى الله هجرة الوطن والأهل والمال ، للتزود بالطاعة ، وإحياء ذكريات عزيزة ، لو ذهبت تعدد هذه المظاهر لوجدت الكثير الكثير .

أناس ذهبوا إلى الحرمين الشريفين لمجرد التسول .
وأناس رحلوا إلى هناك لمجرد السرقة .
وأناس يؤذون الناس في الطواف والرمي ، ويطأون أعناق الرجال .
وآخرون لمجرد العودة بلقب حاج ، وبذاءة اللسان لاتفارقهم .
وآخرون يستغلون الحجيج أبشع استغلال ، والحاج ضائع وسط الجموع الهائلة .
وعود كثيرة قبل أن تقدم على الحج ، ولاشيء منها عندما تعايش الحالة .

○ ونحن نهيب بكل من له دور أن يعمل على تيسير أداء شعيرة الحج على الناس ، فهم ضيوف الله سبحانه وتعالى ، وواجب علينا أن نكون في خدمتهم ، وأن نعمل كل ما فيه راحتهم .

○ وتفاديا لكل العيوب والمثالب التي أشرنا إليها ، ولم نشأ أن نبسط الحديث فيها ، يجب أن نربي المسلم تربية إسلامية صحيحة ، فنغرس فيه الفضيلة ، ونبعده عن الرذيلة ، عندها يكون حجنا مبرورا ، وذنبنا مغفورا ، ونعود وقد تخلصنا من ذنوبنا . أو بدون ذنوب - كما ولدتنا أمهاتنا ، وبالله التوفيق .

فهمي الامام

قصة قصيرة



وقف عند أبواب المدينة العتيقة ... المآذن الشامخة تخترق فضاء الكون .. يهم بالدخول .. تخونه قدماه .. حَمَامَات بيضاء تحط حوله .. أحيانا تحط واحدة منها على كتفه آمنة لا تكاد تخشاه أو تفزع منه .. إنه يرتعد .. يخاف منها .. إنسان يرتعد من حمامة !!

تطفر الدموع دافئة .. لا .. بل ساخنة من عينيه الكليلتين .. ينفض عنهما الدمع يمسحه بكم ردائه .. يتقدم قليلا .. ينظر إلى الأفق في رجاء ولهفة .. المآذن الشامخة تتعالى مرة أخرى .. يشع منها الضوء والطهر والرهبة أيضا .. تخونه قدماه .. يتراجع .. الناس .. كل الناس .. من حوله يتحركون .. يهللون ويكبرون بعضهم يلبي .. لبيك اللهم لبيك .. بشر هؤلاء أم ملائكة ؟

يسأل نفسه في دهشة فأرديتهم بيضاء ، وسواعدهم عارية ـ رؤوسهم مكشوفة . أقدامهم لا يكاد يمسكها على ظهر الأرض سوى ارتباطهم الجسدي بها ـ بعضهم يمضي حافي القدمين .. أفي يوم الحشر نحن ؟ .. رباه من أين أتى كل هؤلاء ؟ .. عاد يسأل نفسه .. انشقت فجاج الأرض .. أم هم نبتوا هنا فجأة ؟ .. إنه يشعر بضيق ، يود أن يخرج من ثيابه الثقيلة عاريا كيوم ولدته أمه .. ولكن هل يملك أن يفعل

ذلك ؟ .. لا .. لا .. لابد أن يخرج من أفكاره الكابوسية أولا .. يرسل البصر كرة وكرتين وثلاثا إلى الأفق الصافي فيلمح المآذن الشامخة ممشوقة تكاد تتكلم بألسنة كثيرة ولغات متعددة .. لكن ما بالها صامتة ؟!

تتأجج نيران الندم في قلبه تتمدد الرهبة في وجدانه وكأنه آت من جزر الفجيعة يحمل أسمال القهر والعذاب .

تعود أسراب الحمامات البيضاء ، تحط على جدران الدور المستحدثة المحددة لبداية أو نهاية المدينة العتيقة .. إنها بمثابة السور القديم الذي كان يحدد مداخل المدن التاريخية .. هديل الحمام يتسلل إلى وجدانه يحفر فيه جدولا صغيرا من الآهات العذبة ، فينزف وينزف ، ثم يواصل البوح من داخل أعماق الذات .. ابتعدي أيتها الملائكة الطائرة .. ابتعدي يا طيور الصفاء والنقاء .

فأنا ملوث .. أركض في ساحة إثمي .. أبوء بذنبي .. أشرب من قارورات الندم والألم .. لم أترك ظلا استظل بحماه .. ظلمت نفسي وظلمت الآخرين . سلبت النوم من عيون بريئة .. سرقت السكينة من قلوب طاهرة غضة .. خدعت الطيبين .. أكلت مال المسكين واليتيم .. عصافير خضراء تمر مرفرفة فوق رؤوس البشر الذين يتكاثرون .. بعضهم يأوى إلى الداخل .. وبعضهم ينقلب إلى الخارج .. الحركة دائبة .. صاحبنا وحده ساكن هادىء ، فهو ليس معهم ، وكأنه لا يمضي على دربهم .. إنه هناك يعيش ملحمة العذاب والندم والبوح .. يذرف الدمع على أبواب المدينة العتيقة .. تاريخه القديم يطل عليه من فوق حافة الزمن .. مسكينة أنت ياآمنة .. مسكينة يابنة أخي .. إنها في عمر الزهور . أين هي الآن ؟ هاجرت .. تركت الاهل والدار .. وهل كان لها أهل سواك يا (..) ؟ إن كانت قد ضلت الطريق فأنا المحرض المسئول ، فقد تركها أخي رضيعة او صاني بها .. ماتت امها وتركتها على عتبات الصبا .. اموالها ، كل أموالها ـ كانت عندي أمانة .. هي ايضا صارت في كنفي .. لقد فرطت فيما ائتمني أخي عليه .. ترى ماذا أقوال له يوم أن القاه .. ؟ تخشاه يارجل ولاتخشى الله !!

لقد قامرت بالأموال ـ لا لم أقامر ـ الأموال هي التي قامرت .. لست شريرا بطبعي . لا بل أنا شرير .. المال ليست له أرجل .. المال لا يملك عقلا ولا فكرا ، لماذا تنكر الحقيقة ؟ لقد قامرت بأموال آمنة طمعا في المزيد .

ـ كنت أفعل ذلك لصالح آمنة .

- لا/لا تكذب على نفسك - من الممكن أن أكذب على العالم كله أما على نفسي فلا .. لم أكن مستعدا أن أسلم آمنة بنت أخي ما يزيد عن مالها . كنت سأضمه الى مالى - لم أكن شريرا .. لم أقامر قبلها .

- ولكنك كنت سيء الخلق خداعا مداهنا منمقا غشاشا .. بوق سيارة يصرخ .. إنه يقترب كاد أن يضيع تحت عجلات السيارة المسرعة وهو تائه في دوامة أفكاره .. أنقذه الزحام .. دفع به من طريق السيارة المسرعة رجل عملاق .. ليتك تركتني يا رجل لأخرج من دوامة الألم .. رأسي تكاد تنفجر .. ضاعت أموالي وأموال آمنة .. وضاعت آمنة ايضا ، إنه يتفرس وجوه الناس ، النساء بالذات .. ترى هل أجدها بينهم ؟ .. غير معقول .. أبحث عن إبرة في كومة من القش !! .. ولماذا تأتي إلى هنا ؟ .. هزه الاعياء جلس على قارعة الطريق .. فجأة جلس بجواره شيخ كبير طاعن في السن ، يبدو أن الزمان قد أرهقه ، فاشتعل رأسه شيبا !!

- السلام عليكم .
- وعليكم السلام .
- عطشان يا ابني .. هل معك ماء ؟ .. مسكين يا والدي .. اصبر قليلا - سأعود حالا .. جفف دموعه بطرف ردائه .. مضى وهو يردد ما سمعه من المذياع بالأمس (رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير) القصص/ ٢٤ هجم على « برادة » بائع .. أخذ زجاجة ماء .. نسي أن يعطي البائع ثمنها .. استوقفه البائع
- صح النوم يا حاج ؟

قذف إليه بضعف الثمن .. عاد مسرعا .. لم يجد الشيخ الكبير ..هرول في الزحام .. بحث عنه .. كادت سيارة تدهمه ..
- أين الرجل .. أين ذهب ؟! يا للحظ السيء .. شربة ماء في سبيل الله لا أجد من يقبلها ! هل ما زال مالي ملوثا ؟ .. لقد ربحته هذه المرة من عرق جبيني .. ليس فيه شبهة حرام .. يبدو أن عرق جبيني نفسه ما زال ملوثا ..

ابتهل إلى الله في ضراعة .. فاضت عيناه من الحزن .. نظر إلى الأفق الأعلى وسحابة الدمع تحجب عنه الرؤى .. لم يعد يبصر شيئا غير المآذن الشامخة وكأنها تتحداه .. دخلت إلى بؤبؤ عينيه .. هذه المرة تجاوزت البصر .. دخلت إلى سمعه بل دخلت إلى قلبه ووجدانه ..



الهتاف الرباني يتردد من بعيد ومن قريب|من يمين وشمال ، من أعلى ومن أسفل يحاصره من كل مكان « الله أكبر .. الله اكبر .. أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد .. حي على الصلاة .. حي على ... » حائر ماذا يفعل .. مرهق لا يدري كيف ينظم أفكاره أو يسيطر على خواطره ؟ لا مفر .. لابد من الاجابة .

فجأة عاد الشيخ الكبير إلى الظهور ، دفعته إليه طائفة من الكتل البشرية إنها تتحرك بيد مد وجزر مثل موج البحر ..

ـ أين أنت يا أبي ؟ لقد جئت لك بالماء ..

ـ اسقني يا بني .. أطفىء غليلي ، أوشكت على الموت ستفوتني صلاة الجماعة .. لم أعد أستطيع السير على قدمي .. أرهقني صعود الجبل .. كنت هناك ..

ـ هناك ! أين كنت يا والدي ؟

ـ كنت أزور جبل النور لأستنشق شيئا من عبق النبوة .. يا لها من روعة .. هل ذهبت إلى هناك يابني ؟ .. هل ملأت قلبك وعينيك من عبير الذكريات ؟

ـ لا .. يا والدي ، لم أذهب إلى هناك ولا إلى هنا .. إني حائر خائف جبان

- لا حول ولا قوة إلا بالله .. دعني أحملك على كاهلي .. وأمضي بك إلى رحمة الله ..

- رحمة الله .. أين هي ؟

- في كل مكان .. إنها أقرب إلينا من حبل الوريد .. أركض معي .. لقد صرت قويا مثلك .. إني بلقائك سعيد .

- لا . يا والدي دعني أحملك .. أنت لا تقوى على مواصلة السير .. استو على كتفي .. مد رجليك حول عنقي .. أمسك برأسي .. دلني على الطريق . لم يكد المؤذن يقيم الصلاة حتى كان الرجلان في ساحة الحرم .. « الله أكبر » دخلت بلسما إلى شغاف القلب النازف ، أوشك الجرح الغائر أن يلتئم .. بعد أداء الصلاة عاد ليحمل صاحبه الشيخ ليطوف به حول الكعبة .. الحمامات البيضاء ترفرف في وداعة .. العصافير الخضراء تنقر القلب .. السعادة تطل عليه من ألف باب .. الجلال يغطي كل شيء .. إنها رحمة الله وتوبته .. السكينة تطرق أبواب وجدانه .. فجأة لمح وجها مشرقا كوجه آمنة .. ضاع في الزحام .. جرى خلف الوجه المشرق .. دفعته الكتل البشرية المتماوجة .. توقفت في حلقه الدعوات ، وانساب الدمع مرة أخرى ليتناثر أشتاتا على الساحة المباركة .. يود أن يغسل هذه الساحة بسيول من ندم ودمع وتوبة !!

جاءه صوت من بعيد :

- تذرع بالصبر .. لا تيأس .. تذكر أن رحمة الله قريب من المحسنين ، استولت عليه الدهشة .

- من أين يأتي الصوت .. لابد أنه ينبعث من الداخل .. آه كم في هذا الداخل من أعاجيب .

عاد الصوت من جديد :

- لا تيأس .. تذرع بالصبر .. تذكر أن ..

حاول أن يهرب من الصوت .. إنه يحمل اليه صورا من الماضي البعيد والقريب ، لم يكد ينتهي من الطواف حتى مضى هائما على وجهه في الآفاق .. ساقته قدماه إلى هناك .. إلى حيث امتطى سيارة تتجه نحو الميناء .. تحسس ملابسه - أين وثيقة السفر وأين « تذكرة » الركوب .. دخل إلى أول باخرة مسافرة ؟!!

حاول أن يرمي ببقايا همومه وأحزانه في عرض البحر الهائج .. لم يفلح .. همومه في الداخل لا تفارقه ..

. عاد إلى هناك .. ليبدأ رحلة البحث من جديد موقنا أن رحمة الله تكمن خلف الوجه الغائب .. وجه آمنة ..

الإداري الناجح في هدي سلوك الرسول

صلى الله عليه وسلم

للدكتور/ احمد شوقي الفنجري

يعتبر حسن الإدارة من أخطر وأهم العوامل في نجاح الأمم وتطورها في عصرنا الحاضر فبغير الإدارة الرشيدة لا يمكن أن تنجح مؤسسة حكومية أو شركة تجارية .. أو مصنع كبير أو صغير .. ويسوء الانتاج على مستوى الدولة والأفراد .. وتعم الفوضى ويظهر الفساد والتقصير في كل مجالات الحياة .

ومن أهم اسباب تخلف الدول الاسلامية في عصرنا الحاضر .. قلة الاداريين الأكفاء بينهم فكثير من الاداريين يوم يتولى منصبا رئاسيا فانه يتغير تغيرا كليا بين يوم وليلة .. وأول شيء يفعله أن يعبس في وجوه من كانوا زملاءه بالأمس .. ويتكلف معهم في الحديث ثم يبدأ يضع بينه وبينهم حاجبا وحاجزا .. فلا يقابلونه الا بصعوبة ومراسيم طويلة .. واذا قابلوه لم يأذن لهم بمحاورته أو إبداء رأيهم في سير العمل .. وقد لا يكون ذلك من باب التعالي والكبرياء ولكنه يتصور أن من أصول الادارة ألا يتباسط الرئيس مع مسئوليه حتى لا يفقد هيبته بينهم وحتى يضمن طاعتهم لأوامره .

وهذا تفكير ساذج .. وفهم خاطىء لمعنى الادارة .

فلا هو من حسن الادارة ولا هو من خلق الاسلام ..

لقد جاء الاسلام بتعاليم في الادارة .. ابتداء من ادارة البيت والأسرة الى ادارة البنوك والمصانع والشركات .. إلى إدارة الدول بحيث لو

اتبعناها لأصبحنا بحق خير أمة اخرجت للناس .. ولنا في ذلك خير قدوة ومثل في رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعرف التاريخ كله رجلا أوتي الحكمة وحسن الادارة مثل الرسول في إدارته لشئون المدينة وحله مشاكلها .

● - وأول مثل يضربه الاسلام في حسن الادارة أن الاداري الناجح يجعل من نفسه **القدوة الصالحة لغيره** فاذا طالبهم بالالتزام بمواعيد العمل كان هو أول من يحضر وآخر من يغادر .. واذا وضع خطة عمل ابتدأ بنفسه في تطبيقها .

وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أمر أصحابه ببناء اول مسجد في المدينة .. ابتدأ بنفسه فحمل الحجارة على كتفه الشريف فجاء الصحابة يرجونه أن يستريح وهم يعملون .. وقالوا له « نحن نكفيك ذلك يا رسول الله » ولكنه صلى الله عليه وسلم يأبى الا أن يعمل مثلهم ليكون قدوة لهم .

وفي غزوة الخندق قسم الرسول - صلى الله عليه وسلم - العمل في حفر الخندق على أهل المدينة جميعا .. ولكنه كان اول من تناول المعول وضرب به الصخر .. وكان كلما واجه المسلمون صخرة قاسية لا تشقها المعاول يستعينون به فيضربها بمعوله ويعينهم عليها .. وهذا كله جعلهم يتغنون :

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل

● - ومن صفات الاداري الناجح ان علاقته **بمرؤوسيه تقوم على المحبة** والاحترام المتبادل اكثر مما تقوم على الخوف من الجزاء والعقاب :

فبعض الرؤساء ما ان يتولى المسئولية حتى يبدأ عهده بخطابات الانذار والوعيد والتهديد للمخالفين والمقصرين .. ويعممها على الجميع المحسن والمسيء .. وهذا اسلوب جارح واحمق ونتائجه عكسية .. فالانسان بطبيعته يحب الخير ويأسره المعروف والمعاملة الكريمة .. واذا صدر اليه امر باسلوب كريم اندفع الى التفاني في ادائه واتقان العمل اكثر مما يفعل اذا كان الدافع هو الخوف من الجزاء والعقاب .. وكان الأولى به ان يبدأ عهده بخطابات المحبة والاكرام والحث على التعاون والانتاج قبل خطابات التهديد والوعيد .

وقد كان اصحاب رسول الله يتفانون في طاعته .. والاستجابة لاوامره اتقان العمل ارضاء لله ومحبة للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا كله لا يمنع وجود العقاب والجزاء للمسيء .. ولكن العلاقة الرئيسية يجب ان تقوم على الحب المتبادل والاحترام للجميع وفي ذلك يقول - صلى الله عليه وسلم - خيار ائمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار ائمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » رواه مسلم .

● - وبعض الاداريين والرؤساء **يحب المظاهر الكاذبة** ويرضي غروره ان يرى مرؤوسيه يقفون له اذا ظهر وينحنون له اذا تكلم واذا مشى يسيرون خلفه في خنوع .. وهذا نوع من الكبرياء الساذج الذي يقول عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » رواه احمد .

ويقول ايضا « من احب ان يمثل الرجال له فليتبوأ مقعده من النار » رواه احمد .

لقد كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هيبة في قلوب الناس لم نر لاحد مثلها .. ومع ذلك فقد كان يأبى ان يقف له الناس او ينحنوا له .. وكان يقول لهم « لا تعظموني كما يعظم الأعاجم ملوكهم » رواه مسلم .

ورأى عمر بن الخطاب رجلا من زعماء العشائر يسير في الطريق وخلفه اتباع له يعظمونه امام الناس فعلاه عمر بدرته وقال له « إياك ان تعود لذلك فإنه فتنة للمتبوع وذلة للتابع » .

ودخل على عمر بن عبد العزيز رجل واراد ان يقبل يده فغضب عمر وقال له « قبلة اليد من المسلم ذلة ومن الذمي خدعة ولا نحب ان نذل احدا .. او يخدعنا احد » .

لقد حرم الاسلام هذه المظاهر الكاذبة لأن فيها ذلة للمرؤوسين . والاسلام يريد لأبنائه الكرامة وعزة النفس .. كما ان هذه المظاهر فتنة للرئيس ولا يطلبها الا الساذج الأجوف الذي لا يستطيع ان يسير الامور بعلمه وحسن ادارته وبمحبة الناس له .

● - والاداري الناجح يعتمد في ادارته على **الشورى** ويقبل النصيحة والرأي .. من مرءوسيه فالانسان مهما بلغ من العلم ومهما علا مركزه فهو بحاجة الى رأي الآخرين .. وخبرتهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

«من استشار لم يعدم رشدا ومن ترك المشورة لم يعدم غيا » رواه مسلم عن ابن عباس .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو زعيم الامة وقائدها من اكثر الناس مشورة لاصحابه في امور الدنيا عملا بقوله تعالى « **وشاورهم في الأمر** » وكان يقول لاصحابه « من اراد امرا فشاور فيه امرءا مسلما وفقه الله لارشد أمره » رواه الطبراني .

وبديهي ان المرؤوسين والموظفين اذا احسوا انهم شركاء في الرأي وفي خطة العمل شعروا بالمسؤولية وعملوا على نجاحها . واقبلوا باخلاص وحماس على تنفيذها .

● والاداري الناجح لا يجعل بينه **وبين مرؤوسيه حجابا** او مانعا بل عليه ان يستقبل الكبير والصغير .. وان يزورهم في مقر عملهم .. وان يستمع الى شكواهم ومشاكلهم .. فبهذه الوسيلة لا يخفى عليه شيء من دقائق العمل واسراره .. وتصله اخبار المسيء والمنحرف قبل ان يستفحل امرها،كما يعرف الاخطاء وهي في مهدها وفي ذلك يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم

من ولى من أمر الناس شيئا فاحتجب عن أولى الضعف والحاجة ، احتجب الله عنه يوم القيامة . رواه احمد

ومن هنا ابتدع بعض فقهاء المسلمين اصطلاحا سموه « **سهولة الحجاب** » ويقول احد فقهاء الشريعة في تفسير هذا المبدأ .

« لا شيء اضيع للعمل من شدة الحجاب على الرئيس .. ولا أهيب

للمسئولين والعمال من سهولة الحجاب لان المسئولين اذا وثقوا بسهولة الحجاب على الرئيس احجموا عن الظلم والانحراف » .

ومن الحكم البالغة في هذا المجال وصية الخليفة ابي بكر الصديق الى احد قادته اذ يقول له « واسمر بين اصحابك تأتك الاخبار وتعلم الاسرار» اذ ان جلوس القائد مع ضباطه وجنوده وتسامره معهم يفتح له باب العلم والمعرفة بأخبار الجيش واسراره فلا يعيش في برج عاجي او في عزلة عن الأحداث .

● وبعض الاداريين يخاف من **الموظفين الأكفاء او ذوي الشخصية القوية** ولا يحاول الاستعانة بهم خوفا من معارضتهم له .. وفي نفس الوقت يفضل ان يقرب منه المداهنين والمتملقين الذين يوافقونه في الرأي وهذا طبعا يؤدي الى ضعف الانتاج وتراكم الاخطاء فهؤلاء المنافقون هم الذين يسميهم الرسول « **بطانة السوء** » ويأمر اصحابه « احثوا في افواه المداحين التراب » رواه ابن ماجه . ويضيف رسول الله المستشار المؤتمن فيقول « اذا اراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق اذا تذكر أعانه وان نسى ذكره واذا اراد الله بالأميرشرا جعل له وزيرسوء إذا تذكرلم يعنه وإذا نسي لم يذكره » رواه ابو داود في الامارة .

وآفة بطانة السوء هذه انها تضل صاحبها أو أميرها بكثرة مدحه على الخطأ والصواب .. مما يصيبه بالغرور ويعمي بصيرته حتى يتصور انه كالآلهة معصوم من الخطأ وبذلك يزداد خطأ وضلالا .

● والاداري الناجح **يضع الرجل المناسب في المكان المناسب** :

فلا يرفع الى المناصب الكبيرة احدا لقرابة اومحسوبية او علاقة شخصية ولكنه يراعي مصلحة العمل اولا .. ويراعي ربه وضميره في اختيار مسئوليه لخدمة الناس .. فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

«من ولي من امر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة او قرابة وهو يعلم ان في المسلمين من هو خير منه فقد خان الله ورسوله » رواه ابو داود .

● والاداري الناجح **يراقب اعمال موظفيه بنفسه** .. وحبذا لو يندس بين المراجعين ليرى بنفسه انجاز العمل .. ويسمع شكواهم وقد كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب يفعل ذلك بنفسه . وكان يقول : « ايما عامل لي ظلم احدا وبلغتني مظلمته فلم اعبرها فانا ظلمته » ويقول ايضا لاصحابه « أرأيتم اذا استعملت عليكم خير من علمت ثم امرته بالعدل أكنت قضيت ما علي » قالوا نعم قال : « لا حتى انظر عمله اعمل بما امرته أم لا » .

● والاداري الناجح لا يفرط في **العقاب عن الأخطاء** ..

كما انه لا يفرط في التسامح مع المخطىء والمهمل ..

فبعض الاداريين يتصور انه اذا اتبع القسوة او المبالغة في العقاب على أهون الاسباب كان ذلك رادعا وعبرة لكل العاملين معه .. حتى لا يتهاونوا في العمل .. وهذه سياسة خاطئة : فعلاوة على ما فيها من الظلم فهي تنشر

بين العاملين جو الرهبة والخوف من العمل بما يعرقل الاعمال .. وخير وسيلة هي التوسط بين الشدة والتسامح .. بحيث يصبح الجزاء من جنس العمل . فالله تعالى يقول « **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** » النحل/١٢٦ .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان شر الرعاء الحطمة » رواه مسلم ومعناه ان شر الناس من يتولى امر قوم فيعمل على تحطيمهم لأقل هفوة .

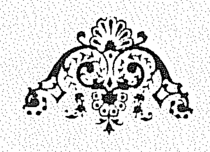
● ـ والاداري الناجح **يدافع عن حق مرؤوسيه** ويحب لهم الخير والزيادة في الراتب والرزق تماما كما يحب لنفسه . فلا يختص نفسه بخير لا يعمهم جميعا .. ويحرص على مكافأة المحسن والمجتهد .. وعلى تشجيعهم لمزيد من الانتاج ويتعاطف معهم في المحبة والمصيبة ويدافع عنهم ازاء مشاكل العمل وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من رجل يولى من أمر الناس شيئا لم يحفظهم بما يحفظ به نفسه الا لم يجد رائحة الجنة » رواه الطبراني .

● والاداري الناجح **دقيق في التنظيم والتخطيط** .. يضع الخطط للمستقبل القريب والبعيد .. ويتابع تنفيذها في حزم ومثابرة ولا يترك الأمور للفوضى والصدفة وقد كان رسول الله يضع بنفسه خطط المستقبل ويشرف على تنفيذها . فكان اذا اراد غزوة اعد لها قبلها بشهور .. ومن روعة تخطيطه وتصميمه ما فعله في غزوة الخندق .. فقد علم ان جيش المشركين سوف يصل بعد شهر وانه لا بد أن ينجز الخندق في هذه المدة القصيرة فأخذ يقيس طول الخندق بالذراع وعرضه وعمقه .. وأخذ يحسب مقدرة كل إنسان على الحفر .. وقدر بذلك عدد الايدي اللازمة للحفر في هذه المدة الوجيزة ليلا ونهارا .. وكلف كل فرد بمنطقة معينة .. وبهذه الدقة المتناهية كان الخندق كله قد تم حفره قبل وصول جيش المشركين فانبهروا من المفاجأة وقال أبو سفيان «هذا ليس من فعل العرب» .

كانت هذه هي بعض صفات الاداري المسلم متخذين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة ومن تعاليم الاسلام منهجا وسبيلا ولو اتبع المسلمون هذه التعاليم في عصرنا الحاضر عن فهم صحيح لأصبحنا بحق خير أمة اخرجت للناس .

فبهذه التعاليم سوف تعم المحبة والتعاون والثقة المتبادلة بين الحكام والمحكومين .. وبين الرؤساء والمرؤوسين .. وبين مدراء المصانع والشركات .. وموظفيهم وعمالهم ...

وبهذه الوسيلة وحدها يقبل الجميع على العمل في حماس وإخلاص ويزيد انتاج المصانع والشركات .. بل انتاج الأمة كلها ويعم الرخاء على الجميع .





التغيير بالثقافة الإسلامية

للأستاذ / محمد بن علي بن جبرة

إن المتأمل في التاريخ الغربي المعاصر يلاحظ بدون عناء أن ميزة القرن العشرين هو هيمنة الفكرة القائلة بأنه لم يوجد شيء قبله في أهم المجالات الثقافية والحضارية ، وأن الغرب هو مركز الثقافة العالمية ، وأنه يتحتم على جميع شعوب العالم الانصهار في بوتقة المذهب الغربي المادي . ولكن نتائج التحاليل المحققة أظهرت لنا العقم العام للثقافة الغربية ، وأن الحل يكمن في ثقافة إسلامية تغييرية بديلة متكاملة تبني إنسانا متوازن الأبعاد .

والحق ما شهدت به الأعداء يقول المفكر الانجليزي « أرنولد توينبي » **لقد وصلنا نحن الغربيين** إلى آخر المطاف وحان الوقت لأن نطوي الشراع لأننا لانستطيع أن نتبين أكثر مما أمامنا بوضوح إذا سرنا أبعد من ذلك .. ولكن في وسعنا أن نقف في أمر واحد وهو أن الدين سيكون الأساس الذي ستقوم عليه الحركة المضادة ذات القوة المركزية الجذابة »

وقد استطاع الغربيون خلال القرن التاسع عشر اجتياح عدد من الأقطار الاسلامية ، ثم استكملوا بعد الحرب العالمية الأولى ضرب الدولة العثمانية والسيطرة على البقية الباقية من تلك الأقطار . وكان العنف والقوة

القاهرة سبيلهم إلى ذلك .. ثم أصبح الغزو لديارنا غزوا ثقافيا بعد أن كان عسكريا .. فانتشرت المعاهد الأجنبية (التبشيرية والعلمانية) في طول البلاد الاسلامية وعرضها ، وعملت على نشر الأفكار الهدامة بين جيل من المثقفين المسلمين ضعيف الايمان ، فكانت النتيجة أن انتشر التفكك الأسري ، والاضطرابات الاجتماعية والنفسية ، والادمان على المخدرات ، والانتحار والاجرام .

والآن تقف البلاد الاسلامية أمام مفترق طريقين فإما أن تتوغل في طريق التغريب واستبدال موضوعات بموضوعات وإما أن تعود إلى أرضنا الطيبة وثقافتنا الاسلامية الاصيلة والوقوف عليها بثبات ورسوخ ، وعدم الخوف من الدفاع عنها أمام الارهاب الفكري وطغيان التغرب بل التحول من الفكر الدفاعي إلى الفكر المنهجي التغييري الجذري ، وتحقيق وعي وتقدم في مختلف مناحي الحياة .

إن وصول المسلمين في منحى التطور الحضاري إلى نقطة هبط فيها مستوى الأداء الفردي والجماعي هبوطا لا نجد مبررا للمكابرة فيه ، كما لانجد داعيا لالتماس الأعذار في شأنه ، يجعلنا نختار الوقوف على أرض الاسلام . **أو يجب علينا** أن ننتظر حتى تصبح أوربا إسلامية فنستورده منها ونطبقه في جميع مجالات حياتنا ؟ **أو هل نحن** بحاجة إلى أن نلدغ من الجحر عشرات المرات حتى نتعلم ؟

فالقضية اليوم ليست قضية تحديد مسؤولية ولوم وعتاب بقدر ما هي قضية سعي للتغيير وبناء الوعي الذاتي للأمة الاسلامية .

مكونات الهبوط الحضاري

إن أولى الخطوات نحو التغيير هي نبذ مكونات الهبوط الحضاري والانتهاء عن ممارستها فكرا وعملا ، إذْ إنَّ مفهوم التغيير يعني أن شيئا قد ينتهي وأن شيئا آخر يوجد بديلا عنه ، والله سبحانه يقول : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) (الحشر ٧) ومن بين مكونات الهبوط الحضاري :

- انتشار اللفظ والكلام على حساب الفعل الحضاري والعمل من أجل التطور .
- الانكفاء على الماضي واجترار أمجاده والخوف من المستقبل .
- غياب القدوة العملية والاستراتيجية المضبوطة .
- غياب الحريات الدنيا وانتشار القمع والتجزئة السياسية والفكرية

هذه بعض كوامن الخلل ذكرتها على سبيل المثال لا الحصر إلا أنه بات من

الضروري الحديث والبحث حول سبل الخلاص على ضوء الظروف المحيطة والامكانات المتوفرة . ذلك أن التغيير يحتاج إلى معالجة العديد من المشاكل الكامنة في أرض العمل الاسلامي نفسه وإيجاد الحلول لها . كيف توحد كل هذه الطاقات الداعية إلى الاسلام ؟ وكيف تمنع الفتنة لئلا يقع بأس المسلمين بينهم ؟ كيف نتخطى حالة التفرقة فتتوحد الأمة الاسلامية وتنسق جهودها دون الوقوع في الحزبيات والعقلية الضيقة ؟ كيف نجعل كل الجهود التي تبذل في سبيل الاسلام تتكامل وتتفاعل إيجابيا حتى لو بقيت مختلفة الاجتهاد فيما بينها ؟

إن إنجاز مثل هذا الواجب الشاق وهذه المسؤولية العظيمة يستلزم إمكانيات مادية ومعنوية هائلة ، وقد وهب الله تعالى المسلمين كل هذه الامكانيات بشكل وفير والحمد لله .

ففي مجال الامكانيات المعنوية نجد أن تعاليم الاسلام البناءة والتحررية التي تتجلى في كتاب الله وسنة رسوله وأصحابه واتباعه الأبرار قد أنارت حياة المجتمع الاسلامي وجعلته مستغنيا عن أية عقيدة وفكرة أخرى .

وبالاضافة للعطاء الثقافي والمعنوي الاسلامي الذي يضمن عظمة المسلمين فإن الله قد وفر العوامل المادية ووضعها تحت تصرف المسلمين بشكل جعل العالم يمد يده من مختلف الجهات إلى هذه المائدة المعطاءة الوفيرة ، ذلك أن العالم الاسلامي يمتلك أعظم المنابع والطاقات التي تضمن التقدم الصناعي والعلمي .

مقومات التغيير بالثقافة الاسلامية

يمر التغيير بالثقافة الاسلامية عبر توحيد الفكر في جميع الدول الجغرافية وإعطاء الفرصة لتحقيق الثورة الثقافية الكاملة من أجل التغيير وإقامة المجتمع الجديد عبر مؤشرات ومقومات نذكر منها :

أولا : **دراسة المجتمعات الاسلامية** دراسة سليمة مع تطبيق المنهج العلمي ولا يتيسر ذلك إلا بفهم الاسلام على حقيقته . ولا يمكن أن تدرس هذه المجتمعات من خلال الفهم الغربي الرأسمالي والماركسي للاسلام كدين وعقيدة أو أيديولوجية ونظام . ولايمكن أن يفهم تاريخ هذه المجتمعات إذا لم يفهم موقع الاسلام في حياتها وتاريخ الظواهر الاجتماعية الراهنة : الوحدة ، القومية ، الاقتصاد ، المرأة ، العائلة ، الشورى ، القيم ، الأدب ...

أو بكلمة أخرى إذا لم يفهم ذلك كيف يمكن أن يكون لدينا منهج علمي في دراسة هذه المجتمعات وتاريخها وظواهرها المختلفة ناهيك عن إيجاد الحلول لما يعترضها من مشاكل ومعضلات .

إن الاحتكام إلى النتائج الواقعية التي أمامنا « المنهج التجريبي » وهي في أساسها من ثمرات فكر التغريب وسياساته وبرامجه ودراساته ، لايدع مجالا للشك في إصدار الحكم على فشل سياسات التغريب في بلاد الاسلام .

كما أن الاعتبارات الموضوعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية تثبت أن الاسلام هو الأصلح لمعالجة قضايا الأمة المتعددة ، ولا يمكن ذلك إلا إذا كان المنطلق عقيديا ، أي لابد من أن يقوم الاسلام أساسا على العقيدة والايمان الخالص .

ومن بين محاور دراسة المجتمعات الاسلامية :

- دراسة حكم القرآن الكريم والسنة المطهرة بالنسبة للقضايا والمشاكل موضوع البحث
- دراسة التراث الفكري الاسلامي حول تلك القضايا .
- دراسة القضية في موقعها من التاريخ الواقعي .

ثانيا : توظيف الدراسات والأطروحات الفكرية والمقومات الأدبية الاسلامية ثقافة وأشكالا مختلفة للخروج من حالة البيات والنوم الحضاري إن صح التعبير . وينبغي ألا نخشى الحوار والنقاش ، ولا نحسب أن اختلاف الآراء والحلول مما يذهب بروعة الدين ووحدة المؤمنين ، ذلك أن مهمة المفكرين ليست أن يصوغوا فكرا دينيا عاما خالدا تقبله الانسانية في جميع عصورها ومجتمعاتها فهذا ما استأثر به رب الناس الذي نزل الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمؤمنين ... وإنما مهمة المفكرين أن يقدموا اجتهادا إنسانيا يستلهم مباديء الدين وأصوله ليصوغها في قوالب أكثر تحديدا وأقرب لمعالجة الواقع الذي يعايشه الناس . ولا شك أن ملامسة الواقع وتفصيل القول أدعى لاختلاف وجهات النظر ، لكن المهم أن نستلهم مصدرا واحدا وهو النصوص الاسلامية ونستهدف هدفا واحدا وهو العمل الخالص لوجه الله تعالى ومرضاته ، عند ذلك يمكن تحريك مختلف جوانب الثقافة الاسلامية لمعالجة المشاكل والتحديات التي تواجه الأمة .

ثالثا : تشريك جماهير الأمة في النهوض

إن مشروع التغيير لايمكن أن يتحقق إلا بقيام المشروع الحضاري الاسلامي الجديد الذي يشد جماهير الأمة أجمعهم إلى محور حركي ينظم طاقاتهم ، إذ إنه من غير العملي محاولة فرض برنامج تغييري يتناقض مع ضمير الجماهير ومعتقداته ووعيه ومنهجه في الحياة . لقد أثبت الواقع فشل الحلول القومية النخبوية في معالجة قضايا الأمة الاسلامية مثل (**العلمانية ، الاشتراكية ، القومية** ..) ذلك ان البرامج التغييرية الحقيقية لاتولد الا في احشاء المجتمع ولاتقوم إلا بالجماهير . فكيف يمكن أن تكون هناك نهضة او تنمية او وحدة او عدالة مالم تأخذ الجماهير ذلك كله على عاتقها وتستطيع أن تتفاعل معه وتتبناه وتدافع عنه .

إن التغيير لابد أن يأتي من القاعدة وليس من القمة . وإن مقولة التلاحم مع الجماهير والتعبير عن ارادتها ومصالحها واستنماخها وجعلها مصدر السلطة والقوة لايجب ان تبقى مجرد شعارات تلمع كالحلي الزائفة بينما يجري على ارض الواقع عكس ذلك . ومن هنا يمكن القول أن الذي يحقق الترجمة الفعلية لتلك المقولة هو المنهج الذي يستمد من الثقافة الاسلامية ويتواصل مع تراث البلاد وتاريخها ونمطها الحضاري مع تقدير الوقائع التي قامت خارج هذا التصور عبث المحاولات التي تسعى لتلقين الجماهير وعيا بعيدا عن الاسلام

رابعا : تحديد وتحديث المنهج الثقافي

إن التغيير نحو مستقبل أفضل يستوجب تحديد الهوية والمنهج الثقافي للأمة قبل تحديد حلول مشاكلها التي تواجهها . وهذا لايعني الانهزام أمام مشاكل الواقع الراهن والهروب من المواجهة الفعلية نحو النظريات الباردة ، ذلك أن صورة مجتمعنا الحالي ما هي إلا محصلة أنماط حضارية ومنهجية ثقافية سادت في عصور الانحطاط والاستعمار وما بعده ، كذلك مشروع المستقبل هو حصيدة مجموع الأسس الثقافية والحضارية التي تتبناها الأمة في واقعها اليوم .

إن نظرة فاحصة لعملية التغيير التي قادها النبي صلى الله عليه وسلم نجد أنها مرت أساسا عبر ثلاث مراحل وهي :
أ) مرحلة تحديد المنهج العقائدي والثقافي والحضاري : وهي الفترة المكية ..
ب) مرحلة الهجوم على مشاكل الواقع : وهي مواجهته صلى الله عليه وسلم مع كفار قريش في بداية الدعوة .
ج) مرحلة اقتراح الحلول الصحيحة في المعالجة : وهي فترة بناء الدولة في المدينة .

وكل عملية تغيير لابد أن تمر عبر هذه المراحل الثلاث ، ولا مفر من تحقيق المرحلة الأولى باعتبارها شرط الدخول في المرحلة الثانية والثالثة .
كذلك مما ينبغي أن نعني به في حياتنا المعاصرة العمل الجاد من أجل بعث ثقافي جديد ويكون هذا من خلال مؤسسات التعليم وأجهزة الثقافة ، وتشجيع حركة التأليف والترجمة والنشر ، والاهتمام بالبرامج الثقافية في أجهزة الاعلام المختلفة مع اعتبار أن الثقافة هي الارتقاء المعنوي لشعب من الشعوب ، بحيث تعبر عن قيمه الأصيلة وآماله وتطلعاته إلى حياة أفضل .

خامسا : الشمول في عملية التغيير :

لقد أدرك الاستعمار أن السيطرة العسكرية والاقتصادية والسياسية ضرورية ولكن غير كافية لتحقيق سيط ته الدائمة على الشعوب الاسلامية

وذلك لأمكانية ضربها « **هذه السيطرة الجزئية** » من خلال قوى محلية أو من خلال قوى معارضة عالمية . ولهذا عمد إلى جعل سيطرته في الجذور تكتسي صبغة شمولية . وقد تطلب هذا تركيزا على الجانب الثقافي وضرب الوحدة الاسلامية .

ولهذا لايمكن حصر معركة التغيير في جانب دون جانب آخر ، وعلى مناضلي التغيير أن يبصروا بعين ثاقبة شاملة ، ولا يبقوا خلفهم ثغرات للالتفاف عليهم وتطويقهم . والثقافة الاسلامية غنية بمكونات التطلع الحضاري من ذلك :

ـ تحرير عقولنا ونفوسنا من أفكار المستعمر ومفاهيمه ونظرياته ومعاييره قال تعالى : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) (المائدة ٣)

ـ التخلي عن مختلف أنماط الحياة الغربية وعاداتها في السلوك والمعيشة والاستهلاك وتنظيم العلاقات الانسانية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يكن أحدكم إمعة ..» « بمعنى تابع في فكره وسلوكه »«يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت». وذلك حفاظا على استقلالية المسلم ومنهجه الثقافي والحضاري .

ـ تجاوز الفكر الاقليمي أو الحدود الجغرافية التي رسمها الاستعمار وفرق فيها بين الاخوة (**إنما المؤمنون إخوة**) (الحجرات ١٠) (**وإن هذه أمتكم أمة واحدة ..**) (المؤمنون ٥٢)

إن هذه المكونات وغيرها لايمكن أن تتم إلا عبر حركة أصيلة شاملة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

هذا وإن مشكلة المسلمين ليست قصور الفكر والثقافة الاسلامية عن تقديم البديل لذلك كما يروج لذلك اليساريون ، بل إن المشكل الأساسي هو تغييب الشعوب الاسلامية ومفكريها الذين يعبرون عن هويتها عن الفعل والعمل من أجل بناء الانسان والدولة . ولا يستطيع أفراد أن يضعوا السبل والحلول للتغيير بالثقافة الاسلامية ، ذلك لأن المشكلات متداخلة ومعقدة غير أن الجهد المشترك يمكن أن يأتي أكله الطيب إذا ما توفرت النوايا الصادقة والاخلاص لله تعالى الذي قال في محكم كتابه : (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ..**) (العنكبوت ٦٩)



طهارة السماء

وتلوث الأرض

للدكتور/ فؤاد محمد محمود العارضة

حاجة الانسان إلى رحمة الله ورعايته

خلق الله الانسان
لحكمة سامية وغاية نبيلة ووضعه في الأرض واستخلفه فيها قال عز وجل : **(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة)** البقرة/ ٣٠ ومن حكمة الله في خلق الانسان . عبادة الله تبارك وتعالى كما قال جل شأنه : **(وما خلقت الجن والإنس إلاليعبدون)** الذاريات/ ٥٦ .

وعبادة الله تتجلى في طاعة الله قولا وعملا فنصلى ونصوم ونزكي ونحج ونعمل صالحا ونعمر الأرض . فالعمل الصالح ثمرة العبادة وميزان التفاضل بين الناس كما قال تعالى : **(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)** الملك/٢

ولم يخلق الله الانسان عبثا ولم يدعه وشأنه في الارض ولكن جعله تحت يده ورحمته فهو وسائر المخلوقات معلق بمشيئة الله ورحمته

قال عز وجل : (**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون**) المؤمنون/ ١١٥ .

والحياة الدنيا دار ممر واختبار وبلاء للانسان ومرآة للآخرة ففيها يصنع الانسان مستقبله الحقيقي الدائم كما قال تعالى :

(**ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا**) الاسراء/ ٧٢ .

وفي واقع الامر والحقيقة لو ترك الانسان وشأنه دون أن تمتد اليه يد العناية الالهية ودون أن ترعاه عين الله لضل وضاع وهلك فنور الله الذي يغمر الكون كله ويضيء السموات والارض يضيء له الطريق ويهديه سواء السبيل فأي انسان لا يستضيء بنور الله ولا يتبع سبيله يضل ويهلك في الدنيا والآخرة وكما أنه يستحيل أن يحيا الانسان والحيوان والنبات على وجه الارض بدون المطر الذي ينزل من السماء وبدون الشمس وحرارتها ونور القمر كذلك يستحيل أن يعيش الانسان حياة انسانية حرة كريمة راقية وبغير ذلك تصير حياة الانسان في الارض كحياة الحيوان في الغابات .

وتتجلى رحمة الله بالانسان ورعايته له في أنه علم آدم أبا البشر الاسماء كلها وجعله اول نبي لنفسه وزوجه حواء وبعث رسلا وأنبياء من البشر يحملون كتبا سماوية وشرائع وعلم الانسان ما لم يعلم . قال تعالى :

(**اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) . العلق/ ٣ ـ ٥ .

نزول الأديان السماوية

وقد ماشى نزول الأديان السماوية وارسال الرسل الحياة البشرية في مراحل عمرها ونموها وتطورها . وقد تبع آدم عليه السلام رسل وأنبياء كثيرون منهم نوح ولوط وابراهيم وصالح وموسى وعيسى وسليمان وداود عليهم الصلاة والسلام وكان خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم . وقد حمل الأنبياء والرسل من الله تبارك وتعالى الى خلقه وعباده كتبا وشرائع سماوية تهديهم سواء السبيل وتكشف لهم الكثير من حقائق الوجود وأسرار الحياة وتشفى نفوسهم وصدورهم من الأمراض النفسية والأخلاقية وتربطهم بالله خالقهم وبالحياة الآخرة وأشهر هذه الكتب السماوية صحف ابراهيم وموسى والزبور والتوراة والانجيل وخاتمها القرآن الكريم . ويلاحظ أن الرسل والأنبياء الذين سبقوا محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل كل منهم الى قومه خاصة تمشيا مع الفترات الزمنية التي ظهروا فيها وظروف البيئات البشرية التي بعثوا فيها وتطور الحياة البشرية . ففي مرحلة البلوغ والنضج من حياة البشرية أرسل الله تبارك وتعالى رسوله الأعظم محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون خاتم الرسل وآخر الأنبياء وأنزل عليه خاتم كتبه

السماوية وجامعها وناسخها القرآن الكريم بعد أن توزعت الناس الأديان السماوية السابقة وقد أصابها تحريف وتغيير على أيدي شياطين الإنس وأبالسة البشر وتفرقت بهم السبل واتبعوا طرقا عديدة في التعبد والتدين . فأراد الله عز وجل أن يجمعهم على صعيد واحد هو الأخوة الانسانية في ظل الاسلام الحنيف الذي حوى وطوى تحت جناحه ما سبقه من أديان سماوية وحل محلها في هذه المرحلة من حياة البشرية وحتى يوم القيامة فهي قد أدت دورها في حينها وجاء الآن دور الاسلام الحنيف الذي يحتويها وينسخها ويكمل أداء رسالتها الانسانية . ولا أدل على ذلك من أنه يحترف بها جميعا ويعتمد كل الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله إلى عباده وورد ذكرهم في الكتب السماوية الأصلية .

وهكذا تكون الأديان السماوية من مشكاة واحدة ونبع واحد فجوهرها واحد وغايتها واحدة وجوهرها الإيمان بالله وحده لا شريك له لم يلد ولم يولد والايمان بالملائكة والرسل والأنبياء واليوم الآخر وبيان أصل الانسان وبداية خلقه ومصيره . وثمرتها الطيبة المباركة التحلي بمكارم الأخلاق والفضائل السامية وتوكيد الأخوة الانسانية والتعايش السلمي والمساواة والحرية والعدالة الاجتماعية لجميع البشر على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأن مقياس التفاضل بين الناس جميعا هو التقوى والعمل الصالح والخلق الكريم وليس المال والجاه والسلطان الحسب والنسب كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه البخاري ومسلم . ولكن بحكم تكوين الانسان الجسماني والعقلي والنفسي واختلاف الناس في عقلياتهم ونفسياتهم وطباعهم وثقافاتهم وبيئاتهم ومصالحهم اتخذوا مواقف مختلفة متباينة من الله خالقهم وهذا التباين والاختلاف يرجع الى حرية التدين والتعبد التي سمح الله بها للانسان . قال عز وجل : (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) الكهف/ ٢٩ . وقال تبارك وتعالى : (**فذكر إنما أنت مذكر.لست عليهم بمصيطر**) الغاشية/ ٢١ـ ٢٢

وفي جو الحرية والانطلاق سار الناس في طريق معرفة الله و التقرب اليه خالق الخلق ورب الكون . ولا ريب في أن الله العلي القدير قادر لو شاء أن يجعل البشر جميعا على دين واحد قال جل شأنه : (**ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة**) النحل/ ٩٣

وفي ثورة شهوات الانسان الحيوانية وغرائزه البهيمية وطغيان مصالحه الدنيوية العاجلة يضل عن طريق الله .. وينزلق إلى مستنقع الشيطان .

ما يحفز الإنسان على العمل

ومنطلق الانسان الى العمل ومركبته الحياتية مصلحته الشخصية

ومنفعته الذاتية . فالمصلحة هي محور علاقة الانسان بأخيه الانسان وبسائر المخلوقات . فالمؤمن يعبد الله ويطيعه رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه

والفرق بين المؤمن والكافر هو أن المؤمن يغرس ليجني في الدار الآخرة والكافر يزرع ليحصد في الحياة الدنيا . وهكذا كل انسان في كل زمان ومكان . فلا أحد يزرع إلا ليحصد ولا يدفع إلا ليقبض سواء في الدنيا أم في الآخرة . وكل شخص صياد وحصاد

كما قال أحد الشعراء :

كل من في الوجود يطلب صيدا
غير أن الشباك مختلفات

ويسير الانسان في حياته على ضوء عقله ومعرفته بدافع من مصالحه وحوائجه وطموحاته وأحلامه . وبقدر ما يكون المرء واسع الأفق نافذ البصيرة تراه مستنيرا مهتديا في حياته سمحا مرنا في مواقفه وتصرفاته ، فبالعقل عرف الانسان الله تعالى وآمن به واهتدى الى صراطه المستقيم وعرف الخير من الشر والحق من الباطل والصواب من الخطأ ، وبقوة الفكر والارادة حلّق الانسان في السماء وغاص في أعماق البحار واخترق الجبال وطوى البر وقرب البعيد وجعل هذا العالم الرحب الفسيح صغيرا مرئيا ووضع الوحوش المفترسة والجوارح الضارية والثعابين السامة في الأقفاص في حدائق الحيوان .

وهكذا يكون العقل ميزان أقدار الناس وسلم الصعود والسمو ومناط التكليف والمسئولية لذلك رفع الله التكليف والمسئولية عن الطفل والمجنون .

والايمان بالله تعالى مدخله العقل ومستقره القلب فلا إيمان ولا علم ولا عمل بلا عقل فالعقل مفتاح الايمان وباب العلم كما أن العلم والايمان دليل على العقل فوصف الله العزيز الحكيم المؤمنين بأنهم أولو الألباب فقال : **(الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)** الزمر/ ١٨ .

لذلك دعا الله تعالى الناس الى التفكر في ملكوت الله وخلقه لمعرفته والايمان به وحده لا شريك له وادراك عظمته المتناهية وقدرته المعجزة وحكمته البالغة .

أثر الأديان السماوية في حياة البشر

والأديان السماوية أنزلت في مراحل مختلفة متباعدة لبناء الانسان المؤمن الطيب المثمر في كل زمان ومكان ، وصنع حياة انسانية حرة كريمة ينيرها العلم والايمان وطريقها الحق والخير والجمال ودستورها الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية والأخوة الانسانية والتعايش السلمي والتسامح الديني والوطني والقومي وتهدم ما بين الناس

كل من في الوجود يطلب صيدا غير أن الشباك مختلفات

من حواجز نفسية ومادية وفوارق طبقية وتمييز عنصري وما ينغص حياتهم من عنجهيات قومية ووطنية وتعصبات طائفية إذ تشعرهم بأنهم اخوة في الانسانية فهم أبناء أب واحد وأم واحدة وربهم واحد . وقد خلقهم الله ليتعارفوا و يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان وليتبادلوا المنافع ويتعايشوا سلميا في ظل خالقهم وربهم ورب الكون كله الله نور السموات والارض كما قال عز وجل : (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات/ ١٣

ودين الله يجتث ما في النفس البشرية الأمارة بالسوء والمفطورة على الأثرة والأنانية من شعور بالكبر والغرور والاستعلاء ونزعة التسلط والاستبداد والعدوان . وهذا الدواء الشافي نجده في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . قال الله تعالى (**ولا تصعّر خدك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحا إن الله لا يحبّ كل مختال فخور**) لقمان/ ١٨ . وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره » رواه الشيخان وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة .

وهكذا الدين السماوي الحق ، يبرأ من هذه المشاعر الشيطانية والنزعات الشريرة العدوانية التي تجعل الحياة البشرية جحيما لا يطاق . فأي مذهب أو دين يغرس في نفوس أتباعه، وأصحابه روح التكبر والاستعلاء والتفوق والتسلط بسبب اللون أو الجنس أو العرق أو على أساس من القوة والجاه والمال لا يكون من السماء النقية الطاهرة بل من الأرض الموبوءة الملوثة بالشياطين والأبالسة والأفاعي والذئاب والثعالب البشرية ، وسموم الأفاعي البشرية أكثر وأفتك من سموم الثعابين الحيوانية وضحايا الوحوش البشرية أكثر من ضحايا الوحوش الحيوانية .

عنصرية اليهود وغرورهم وافتراؤهم :

تجسدت هذه المذاهب الأرضية الملوثة السامة في الشعارات الخرقاء التي رفعها الصليبيون القدامى والمحدثون وفي التعصب الديني اليهودي الأعمى والعنصرية

الصهيونية العشواء الشعواء الحمقاء وفي شعور اليهود بالتفوق والاستعلاء والتعالي على الآخرين والادعاء بأنهم شعب الله المختار وأن الله معهم وحدهم اختصهم دون سائر البشر بالذكاء والتفوق والسيادة وخلافته في الارض وأنه ربهم وحدهم وقد وعدهم بأرض الميعاد . وتدعى أيضا أن الله قد أباح لهم ما لم يبحه لغيرهم كما أجاز لهم اتباع كل الطرق والوسائل والأساليب بما فيها ازهاق الأرواح البريئة وقتل الأطفال والنساء والشيوخ وانتهاك المقدسات والمحرمات وقتل المصلين وتسميم الأبرياء ونسف المنازل على رؤوس أصحابها في سبيل الوصول الى أهدافهم وتحقيق مصالحهم وقد علمتنا الحياة أن الذي يرى أنه فوق الناس سيجد نفسه آخر الأمر تحتهم واسفل منهم كما علمتنا أن الثعابين والوحوش البشرية تلقى نفس المصير الذي تلقاه الثعابين والوحوش الحيوانية .

ومن بدع الصهيونية العجيبة وتخريفاتها الغريبة الفذة اعطاء حكم ذاتي للسكان لا للأرض مع العلم بأن الانسان من الأرض وإليها وفيها مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه ومأواه ومولده ومسرح حياته ومثواه الأخير كما يقول المنطق السليم منطق الحق والخير والعدل يقول هذا المنطق القويم إن الحق هو القوة التي لا تقهر ولا تموت وليست القوة هي الحق كما يقول أبالسة الأرض وشياطين الانس . ومنطق الحق والخير يقضي بأن كل انسان له كل الحق في أن يعيش حرا كريما في وطن حر مستقل وبأن الدار أحق بها اهلها والأرض لمالكها الأصلي الذي ورثها عن آبائه وأجداده وليس هناك أي حق فيها للأجانب الدخلاء والغزاة المستعمرين كما يقول أحمد شوقي :

أحرام على بلابله الدوح
حلال للطير من كل جنس
كل دار أحق بالأهل الا
في خبيث من المذاهب رجس

فالحرية في الوطن والحياة الحرة الكريمة حق طبيعي الهي لكل انسان وقد خلق الله الناس أحرارا متساوين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » . فالذي يعتدي على حرية الانسان يعد متعديا لحدود الله ومغتصبا لحق اخيه الانسان في الحياة الحرة الكريمة في أرضه ووطنه .

الناس اخوة في الانسانية أبوهم آدم وأمهم حواء وربهم واحد وأصلهم واحد والى الله عز وجل مصيرهم جميعا ولا فضل لانسان على آخر الا بالعلم والايمان والتقوى والعمل الصالح . وهذا هو ميزان التفاضل السليم العادل الأوحد بين الناس جميعا . ولا يمكن ان يكون ميزان التفاضل والتقدير للون أو الجنس أو المال أو الجاه او السلطة فلا يد للانسان في لونه وشكله وعنصره وليس في مقدوره ادخال تغيير أو اجراء تعديل في صورته وخلقته، فالله تبارك وتعالى هو الذي خلق الناس مختلفين أشكالا وألوانا وصورا وألسنة قال عز

وجل : (**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم**) الروم/٢٢
لذلك لا يؤثر الله جل شأنه فردا على فرد ولا شعبا على شعب إلا لتقواه وصلاح عمله . قال عز وجل : (**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) . وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » . رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة .

هذا هو المنطق السليم الذي يدحض ادعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار فدعواهم هذه يرفضها العقل والمنطق ويأباها الخلق الكريم والذوق السليم . فبأي كتاب او منطق يجعل الله اليهود شعبه المختار وصفوة البشر ويضعهم فوق سائر خلقه وعباده وهم من نسل آدم وحواء ولا يفضلون غيرهم لونا وشكلا وعقلا وهم خبثاء لؤماء في طباعهم وأخلاقهم وسرائرهم ، أشرار مفسدون أينما حلوا ونزلوا وهكذا لا يلام انسان ولا يعاب على افتقاره الى شكل وسيم وقلب سليم انما يلام ويعاب على ما يصنعه بيده ويستطيع التصرف فيه فلو كان أمر الانسان في يده وطوع بنانه لجعل من نفسه مثالا للحسن والجمال والكمال لذلك يجب على الانسان الذي اعطاه الله مالا أو جاها أو قوة أو سلطة أو علما او ذكاء أن يستخدمه في ميدان الحق والخير والعدل واسعاد الناس ومسح دموعهم وتفريج كربهم لا في ميدان الباطل والشر والظلم وشقاء الناس وحنقهم . فما يجلب للانسان الخير والشرف ان يضع قوته وطاقته وماله في خدمة الحق والعدل وهدم الباطل وتحطيم القيود والأغلال من أيدي الناس وأعناقهم كما قال شاعر حكيم :

شرف الفتح ان تحطم قيدا
عن رقاب الورى وتنشر عدلا

وفي الواقع ان المال والسلطة والقوة محك طباع الناس ومرآة معادنهم وأخلاقهم

طهارة السماء وتلوث الأرض

ويحرم دين الله على الناس اتخاذ أساليب انتهازية لا أخلاقية ووسائل دنيئة للوصول الى ما يبتغون من مال وجاه وسلطة ، كما انه يحرم الغايات الخسيسة والأهداف الحقيرة . ففي نظر شريعة السماء ان الغاية الشريفة لها وسيلتها الشريفة والغاية لا تبرر الواسطة . أما شياطين الانس وأبالسة الأرض فهم الذين عندهم الغاية تبرر الوسيلة ويتبعون أساليب « مكيافلية » ملتوية لا يتورعون عن سلوك أحط السبل واتخاذ أقذر الوسائل للوصول الى اغراضهم الدنيئة وغاياتهم الحقيرة ولا يحللون ولا يحرمون .

وهكذا يضعون مبادىء الحق والعدالة والشرف والضمير والانسانية تحت أقدامهم لبلوغ

أغراضهم الدنيوية غير المشروعة واهدافهم اللاانسانية المحرمة .. وهذه الأخلاق وهذا المسلك مستحيل أن يمت الى السماء بصلة ، فالسماء نقية طاهرة كماء المطر والنسيم العليل .

فالدين السماوي الحق يحرم على الانسان أن يسفك دم أخيه الانسان أو ينتهك حرمته ويمس عرضه بسوء أو ينهب أرضه وماله وداره بغير حق كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » مسند الامام احمد ص ٤٩١ .

فأي مذهب أو دين يبيح لأتباعه إلباس الحق بالباطل وانتهاك المحرمات والعدوان على الناس لا يتصل بالسماء من قريب أو بعيد وهو من صنع الانسان الأناني الجشع الشهواني بطبعه والمحب للسيطرة والتسلط بطبيعته، والأمارة نفسه بالسوء بفطرتها ، ومنطق السماء الحكيم يقول إن الأرض كلها ملك لله تعالى خالقها ، والبشر عيال الله وعباده فلا يمكن ان يختصها بجماعة معينة من الناس دون سائر الخلق لمجرد سواد عيونها ولون بشرتها فهي لعباد الله الصالحين العاملين المعمرين ولا نصيب فيها للكسالى الخاملين والمفسدين المخربين ، كما قال عز وجل : (**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**) الأنبياء/ ١٠٥ .

فأي جماعة ترى ان من حقها أن تستأثر بها على غيرها أو تنتزع ما تشاء من أرض غيرها رغم أنفها وارادتها تكون معتدية ظالمة ويكون منطقها منطقا شيطانيا جهنميا ينبع من الأنانية المفرطة والتعصب الأعمى والعنصرية العمياء

ومن ثمار الأنانية الفردية والقومية والوطنية الاحتكار والاستئثار بالخير من علم وايمان ونبوة ومال وأرض على سائر الناس فليس للخير والعلم والايمان والعدل والحرية وطن واحد ولا شعب خاص ولا احتكار ولا استئثار في الخير والحق والعلم والدين والحرية لجميع الناس على حد سواء.

والحياة الحرة الكريمة حق الهي مقدس لكل انسان وليست حكرا على جماعة معينة كالماء والهواء والشمس والقمر ونحو ذلك .. فالذي لا يحب لغيره ما يحب لنفسه ولا يعامل الآخرين بما يحب ان يعاملوه به .. لا ينتسب الى السماء منبع الخير والحق والجمال والطهر والنقاء انما منبته الأرض المليئة بالأوبئة والآفات والآثام والأوحال والمستنقعات والأشواك والإجرام . وقد بلغت العدالة الانسانية عصرها الذهبي في ايام المسلمين المؤمنين الأولين الفاتحين والهداة المصلحين فقد جنى الناس الذين احتكوا بهم وعرفوهم من شجرة الاسلام الطيبة المباركة ثمار الرحمة والعدالة واستضاءوا بأنوار علمهم وايمانهم وحضارتهم العربية

الاسلامية الروحية المادية ، وذلك كله من فضل الله تبارك وتعالى عليهم ، فقد صاروا في ظل الله حملة رسالة سماوية مباركة وهداة مصلحين وأحرارا محررين ولم يكونوا غزاة مستعمرين همهم التسلط على الضعفاء والمساكين ونهب خيراتهم وثرواتهم بكل الطرق والوسائل والأساليب المباحة والمحرمة ، فالأساليب « الميكيافيلية » والطرق الانتهازية اللاأخلاقية من صنع أبالسة البشر وشياطين الناس فالسماء تحرم التسلط على الناس والاستبداد بالأمور كما قال تعالى : **(وأمرهم شورى بينهم)** .

وهكذا الدين السماوي الصحيح النقي يدعو الى ان يعلم العالم الجاهل ويهدي المهتدي الضال ويأخذ القوي القادر بيد الضعيف العاجز وينفس الغني الموسر عن الفقير المعسر كربته فلا جشع ولا طمع ولا استغلال ولا ابتزاز ولا استئثار ولا استعلاء في شريعة السماء .

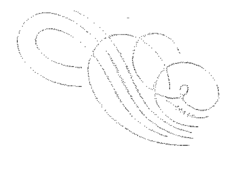
وفي شريعة السماء الحق هو القوة ولا تكتسب القوة حقا ليس لها وفي شريعة الانسان البعيد عن السماء أن الحق للقوة ولا حق للضعيف المسكين وهذه هي شريعة الغاب ، فالانسان فيها يحترم وجوده ويصان حقه ما دام قويا قادرا على الدفاع عن نفسه وظلم الآخرين كما قال الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى :

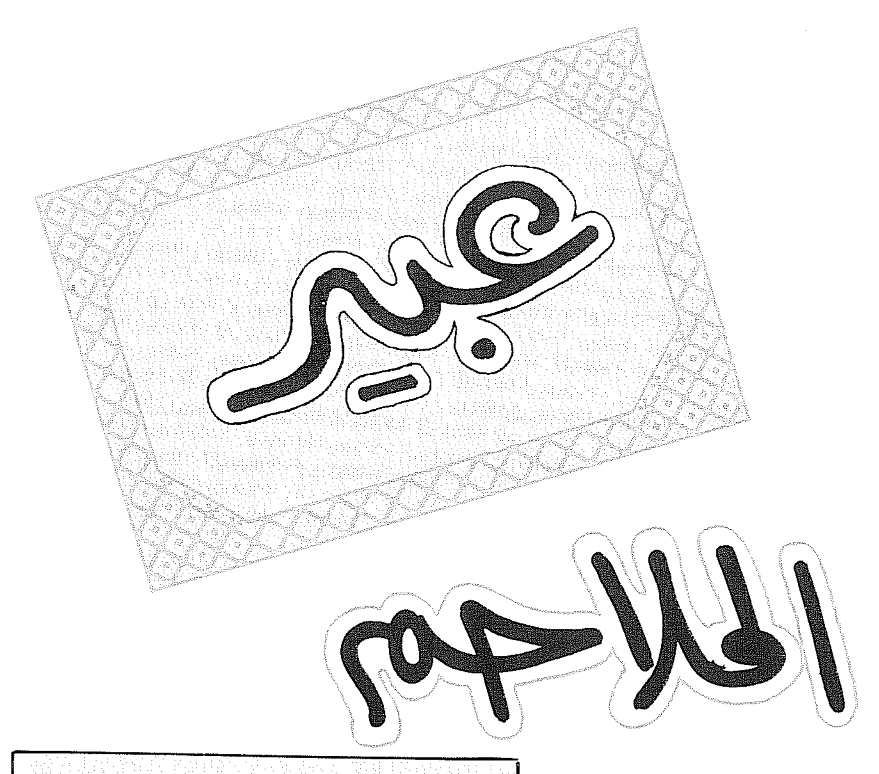
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

فاذا صار ضعيفا عاجزا افترسه القوي الظالم وأكله .

وشريعة السماء تحفظ للانسان حقه ووجوده سواء أكان قويا أم ضعيفا . وفي ذلك قال تلميذ الرسول البار وصديقه الحميم وخليفته الأمين أبوبكر الصديق رضي الله عنه مخاطبا المسلمين عندما تولى أمر الخلافة الاسلامية : انى وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني القوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه والضعيف منكم قوي حتى آخذ الحق له » .

وخلاصة القول ان ما نراه في الأرض من شر وظلم وسفك دماء زكية وسلب ونهب وجشع واستغلال وفساد لا يمت الى السماء بصلة فالسماء مطلع النور والهدى ومشرق العلم والايمان ومنبع الخير والبركة والرحمة والحق والعدل والجمال والطهارة ولكن منبته الأرض ومصنعه الانسان المفطور على الجشع والأنانية والحسد وحب السيطرة والتسلط والاستعلاء والتكبر ، فالانسان يتبع نفسه الأمارة بالسوء ويجرفه تيار شهواته البهيمية وغرائزه الحيوانية .





للأستاذ/ محمد منير الجنباز

أعِدْ يا زماني عهود الأماني ... ودعني أراها بعيني ثوان

امتع روحي بصرح علاها ... واطلق لَسْنا فصيح البيان

فإني بشوق لنفح هداها ... وحسبي صداه بكل كياني

اتوق لفجر يبيد الليالي ... يفوق سناه بريق الجُمان

له من شعاع الاباء مضاء ... كسيف أعدّ ليوم الطعان

أيا فجر إني أريد رجالا ... سعوا في بلادي لأعلى مكان

فكانوا أسودا وصانوا حدودا ... فعزت بلادي بُعيْد الهوان

فلحظ هواها يطوق جيدي ... وسهم رضاها بحبٍّ رماني

وصوت حُداها كلحن هزار ... يرتل مجدا عظيما شجاني

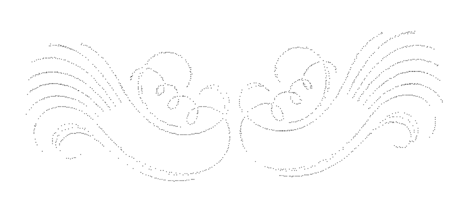
أشم عبير الملاحم حتى ... أحس كأن الجهاد دعاني

فأرفع نفسي اطاول نجما ... وأشعر أني طليق العنان

تظلل رأسي سيوف جدودي تصاول بهاغ كبرق يماني
واسمع طرقا لباب دمشق بسمر الزنود ونصل السنان
فيقبل يصغي ويفتح قلبا ولا من صدود له او توان
عبير الهداة يطوف ويغري بأن السلام له شعبتان
إقامة عدل الحياة مليا وفيض الحنان بكل اتزان
فأين جدودي واين نَداهم وأين زمان الهدى من زماني
فهذا زمان يئن ويبكي وران الظلام جثا فوق ران
وأضحى الحليم يحار ويخفي زفيرا ويحبس فيض المعاني
ايا ربي هذي العوالم حيرى ولا مَن يقود لبر الامان
يسيرون نحو السراب سكارى ويصغون لهوا لعزف القيان
واعداء قومي يعدون جيشا لحرق الديار وكسب الرهان
اذا ما استطاعوا إزالة فكر وجعل القلوب فدى للغواني
فإن البلاد ستضحي يبايا وترمى العقول بحرب عوان
ونحن الذين ملكنا كتابا وحصناً تَفَوَّقَ عبر الزمان

* * *

أعيدوا لسمع الزمان هداه فعز الجدود سما باقتران
لئن عاد مجد الدنى في يدينا فإن الوئام يرى في ثوان
وذاك لأن الشعوب ستصحو من التيه عند فواق الجنان
وتنفض عنها العمى بازدراء فعين الضياء لها مقلتان
تصافي الندى في ارتياد المعالي وتسكب حبا لعين الحسان
أيرضى الزمان يعود الينا أم الشوق يفني وتفنى الاماني ؟



الاشاعة

تحت هذا العنوان كتب الأخ السعيد ابراهيم الفقي .. يقول : لقد عرفت الاشاعة بأنها أخبار مشكوك فيها وفي صحتها ويتعذر التحقق من أصلها ، وتتعلق بموضوعات لها اهمية لدى الموجهة اليهم ويؤدى تصديقهم او نشرهم لها الى إضعاف روحهم المعنوية .. او هي : « النبأ الهادف الذي يكون مصدره مجهولا ، وهي سريعة الانتشار ذات طابع استفزازي او هادىء حسب طبيعة ذلك النبأ » .

وقد ثبت عبر العصور ان الاشاعة ركن أساسي في الحرب النفسية ، حيث انها اقوى الوسائل لإحداث البلبلة في الحرب والسلم ، لزعزعة الايمان بالعقيدة والنيل من امن الوطن وصموده في وجه التحديات والتيارات .

وترويج الإشاعة له اسس وطرق مختلفة تدور حول النقاط التالية :

١ ـ ان تكون بشكل خبر أو رواية مختصرة وملائمة لشغل حيز من تفكير المواطن العادي لتتمكن بعدئذ من تحوير فكره .

٢ ـ أن تبث في ظرف من الغموض والالتباس فالغموض يولد الشك ، والاشاعة تنمو في الشك وتؤثر في الرأي العام .

٣ ـ أن يكون الناس في حالة من التوجس والخوف من حدوث شيء ما ، فاذا ما ظهرت الاشاعة تبلورت حولها الهواجس وتحول التوجس الى خوف حقيقي وهذا هو هدف الحرب النفسية .

٤ ـ ان تكون الاشاعة في صالح جماعة أو مذهب أو طائفة ، وضد عصبة وجماعة أخرى لتشعل نار الكراهية والعداء والعنف والتوتر .

٥ ـ أن تعبر عن القلق الدفين أو النقد الحبيس فتأتي الاشاعة فيكون تداولها منفذا للتفريغ والتنفيس عن الحالة النفسية الداخلية .

والاشاعات المتواترة التي يطلقها الأعداء ضد وطننا تسير في هذا المنهج الخبيث .. ونستطيع تصور الجهاز الضخم الذي يقوم بصنع وإطلاق الاشاعات المدروسة الفعالة عبر أجهزة حديثة .

وقد صنف علماء النفس الاشاعة الى ثلاثة انواع رئيسة وهي :

١ ـ اشاعة الخوف : ويستهدف منها إثارة القلق في نفوس السكان

٢ ـ إشاعة الأمل : وتستند الى عوامل مغايرة تماما لاشاعة الخوف والتي يرجو فيها ناشروها ان تكون حقيقة .

٣ ـ اشاعة الحقد : ويستهدف منها عادة إرباك الرأي العام وخلق حالة من الاضطراب ممزوجة بالكراهية بين صفوف العدو لعرقلة سير انتاجه الحربي وبالتالي كفاحه من أجل قضاياه .

ثم يقول الأخ / السعيد ..

وقد عالج القرآن الكريم قضية الاشاعة ونبه الى خطرها في إجمال من خلال رده على مفتريات الافك فقال : « لولا اذ سمعتموه ظنَّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ، وقالوا هذا إفك مبين » النور / ١٢

كما امر الله تعالى في سورة النور بعدم تداول الخبر فقال سبحانه : « **ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم** » » النور / ١٦ وهذه احدى الوسائل لهدم الاشاعات لأن حياة الاشاعة في تناقلها ، وفي سورة الحجرات نجد الآية الكريمة تدعونا الى التثبت من الخبر والنبأ الذي يلقى الى مسامعنا او تقع عليه اعيننا قبل ان نتداوله ونذيعه على الناس .. حيث قال تعالى : « **يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** .. » فالله يدعونا الى التمسك بالثقة والتماسك الاجتماعي ويعد ناقل الأُخبار عن الناس قاذفا يستحق الجلد ـ في مواضع ـ والعقاب الاجتماعي بعدم قبول الشهادة .

ونهاية ، فإن الاشاعة نوع من الحروب النفسية التي ذاقت ويلاتها شعوب وجماعات ، وما زالت تعانيها شعوب ، يجب علاجها ومقاومتها ونشر أمصال الوقاية ضدها في كل مكان وزمان بعدم ترديدها وإعداد أجهزة خاصة للرد عليها وتفنيدها ، ونشر الثقة المتبادلة ، وإيضاح وتفسير كل المشاكل التي تثار حولها إشاعة ما ، والاهتمام بالتربية السليمة التي تنشيء المواطن الصالح ...

الفتاوى

(من أحكام السعي)

وردت اسئلة كثير من القراء خاصة بالحج ورأينا أن ننشر أهمها في موسم الحج وبالله التوفيق

○ **سؤال من الأخ القارىء أحمد الشرقاوي من طنطا جمهورية مصر العربية يقول هل السعي يشترط فيه الطهارة أم لا ؟ وما حكم من قدر على السعي وركب عربة ؟ وإذا أقيمت الصلاة والساعي أتم أربعة أشواط ماذا يفعل ؟**

ـ بالنسبة للطهارة في السعي ، يرى جمهور الفقهاء أنه لا يشترط في السعي الطهارة ، واستدلوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها حين جاءها الحيض قال لها ـ فاقضي ما يقضي الحاج غير ألا تطوفي بالبيت حتى تغتسلي ، رواه مسلم وإنما تشترط الطهارة في الطواف عند الجمهور ، وما عداه يجوز مع الحدث . وأيضا ثبت أن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما قالتا . إذا طافت المرأة بالبيت وصلت ركعتين ثم حاضت فلتطف بالصفا والمروة ، وبهذا يتبين أن الطهارة ليست شرطا في السعي بين الصفا والمروة ، ولكن الأفضل أن يكون المرء على طهارة في السعي وغيره من مناسك الحج ، ويجوز الركوب في السعي للقادر على المشي مع الكراهة ، أما المريض أو كبير السن أو المرأة الحامل وكل من كان به عذر فله أن يركب ولا كراهة في ذلك ، بل إن بعض الفقهاء يرى أن المشي للقادر عليه واجب ، ومن ركب من غير عذر عليه إعادة السعي إن كان في الوقت متسع ، وإن فاته الوقت ، عليه دم ، وأجابوا عن ركوب رسول الله صلى الله عليه وسلم في السعي بأنه صلى الله عليه وسلم بدأ السعي ماشيا فلما كثر عليه الناس ركب ليروه ويسألوه ، وهذا أمر يجيز الركوب ، أما من عرض له عارض أثناء السعي ، أو أقيمت الصلاة أثناء السعي كما جاء في السؤال ، فله أن يقطع السعي لهذه الامور الطارئة ، وبعد الفراغ منها يكمل الباقي من الاشواط .

وقد ثبت أن ابن عمر رضي الله عنهما ، كان يطوف بين الصفا والمروة فألح عليه البول فتنحى ودعا بماء وتوضأ ثم قام فأتم على ما مضى ، هذا ويلاحظ أن السعي يكون بعد الطواف لا قبله ولا بأس من تأخير السعي بعد الطواف حتى يستريح قبل السعي ، ولو طاف بالنهار وأخر السعي إلى الليل جاز كما فعل بعض الصحابة . وفي ذلك تيسير على الناس .

○ بعض القراء من المغرب ومصر وتونس لهم ملاحظة على موقف المسلمين يوم عرفة حيث يقضون هذا اليوم العظيم في أكل وشرب ونوم في الخيام بصورة لاتناسب عظمة هذا اليوم ، ويتساءلون هل هذا المظهر يؤثر في صحة الحج ؟

ـ من حيث صحة الحج فإنه صحيح ، لأن المطلوب هو حضور الحجاج في هذا المكان من زوال اليوم التاسع من ذي الحجة إلى فجر يوم النحر ، ومن الأفضل أن يجمع الواقف بين جزء من النهار وجزء من الليل ، فلا يغادر عرفات إلا بعد غروب الشمس في هذا اليوم ومن لم يدرك النهار وحضر ليلا أجزأه ذلك مادام حضوره كان قبل الفجر من يوم النحر ، ولكن لاينبغي أن يأتي الحاج من بلاد بعيدة وقد ترك أهله وماله ووطنه ثم يقضي هذا اليوم في أكل وشرب ونوم فقط لأن هذا الموقف فرصة للتعرض لرحمة الله ومغفرته ، على الحاج أن يجد في الذكر والدعاء والعبادة ملجأ في التوبة والإنابة ، ليقبل الله توبته ويرحم تضرعه ، بل على حجاج بيت الله أن يستحضروا وهم في عرفات موقف رسول الله صلى الله عليه وسلموخطبته الجامعة التي حرم فيها الدماء والأعراض وأوصى بالنساء والضعفاء وألغى الربا وبين للناس منهج الاسلام ، حسب هذا اليوم شرفا نزول الآية الكريمة (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة/٣ وقد ثبت أن الله من فضله يباهي الملائكة بأهل عرفة ، فمن الواجب أن يكونوا في درجة من السمو الروحي تؤهلهم لهذا التكريم ، لهم أن يأكلوا ويشربوا ويناموا ليستعينوا بذلك على مواصلة الجد في العبادة والطاعة . إن يوم عرفة يوم إسلامي مشهود ، يجب أن يتخذ منه المسلمون فرصة لعقد مؤتمر إسلامي عام يبحثون فيه قضايا المسلمين ووسائل تحرير الأرض والمقدسات ليكونوا خير أمة أخرجت للناس .

○ أكثر من قاريء يقول إني أدخل مكة المكرمة لارتباطي بأعمال تجارية فهل يجب الإحرام من الميقات أم لا ؟

ـ من المعروف أن الذي يقصد دخول مكة نوعان ، نوع يريد الحج أو يريد

العمرة ، وهذا النوع لايجوز له أن يجاوز الميقات المعروف للقادم حسب الجهة القادم منها لمن قصد مكة للحج أو العمرة أما القادم من المدينة فميقاته آبار علي ، لايجوز لأي منهم أن يجاوز الميقات المحدد له إلا بالاحرام ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وقت المواقيت وقال . هن لهن ولمن أتى عليهن من غيرهن لمن أراد الحج أو العمرة ـ رواه البخاري ومسلم ، فإن جاوز الميقات بدون إحرام ، وجب عليه أن يعود إلى الميقات ويحرم منه ، فإن لم يرجع وأحرم من مكانه يلزمه ذبح شاة ، النوع الثاني لايريد الحج ولا العمرة ، ولكن يريد دخول الحرم لحاجة متكررة أو غير متكررة ، كالحطابين وناقلي المؤن والسائقين ومن يزاول أعمالا تجارية أو صناعية داخل الحرم أو خارجه ومثل هؤلاء المدرسون والمهندسون والموظفون الذين يخرجون من الحرم ويعودون إليه ، هؤلاء لايكلفون بالإحرام كل مرة ، لأن في ذلك حرجا ومشقة ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد حجا ولا عمرة في فتح مكة ، وروى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، قال مالك ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ محرما ، كما ثبت أن المسلمين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يدخلون مكة لحوائجهم ولم يأمر النبي واحدا منهم بالإحرام ، وعلى هذا من أراد دخول مكة لحج أو لعمرة وجب عليه الإحرام من الميقات ، ومن أراد أن يدخلها لقضاء حاجة أو مصلحة لا يجب عليه الاحرام ، دفعا للحرج وتيسيرا على الناس وما جعل عليكم في الدين من حرج .

○ ورد إلى المجلة أكثر من سؤال حول جواز دفع قيمة الهدي لما فيه من راحة الحجاج وعدم تعرضهم لمواجهة مشقة الحصول على الذبائح وقت الزحام عليها .

ـ لم يجرؤ أحد من العلماء ، على الافتاء بجعل قيمة الهدي محل ذبح الهدي ، لأن التقرب إلى الله تعالى يكون بإراقة دماء هذه الذبائح لحكمة يعلمها الله سبحانه والعلماء يذكرون أن هذه القربة تذكر بحادث الفداء يوم عزم إبراهيم على ذبح ولده إسماعيل عليهما السلام امتثالا لأمر الله ، كما جاء في القرآن الكريم ، (**فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن ياإبراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم**) على أنه من الناحية الاقتصادية يحصل به نفع لأهل البادية ، تحقيقا لدعاء ابراهيم عليه السلام (**فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**) ابراهيم/٣٧ ومعلوم أن الماشية رأس مال أهل البادية وموسم الحج فرصة متاحة ليبيعوا فيها ماشيتهم ويحصلوا على رزقهم منها ويمكن التغلب على

تكدس اللحوم بتوزيع أيام الذبح فأيام النحر كلها زمن للذبح ، والحرم كله مكان للذبح ، على أن الذبح ليس مقررا على كل حاج فالمفرد مثلا لايطالب بذبح ، ومما لاشك فيه أن هذه المشكلة قد أخذت طريقها للحل بقيام المسئولين في المملكة العربية السعودية بتنفيذ مشروع جمع اللحوم وتجفيفها وترتيب توزيعها على فقراء المسلمين طول العام ، وبجانب ذلك على المسلمين أن يتخيروا أطيب الذبائح ليقبل عليها الفقراء والمساكين ، كما قال تعالى (**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم**) أما أن تقوم الصدقة مكان الذبح فهذا غير جائز شرعا .

حكم من مات في المدينة أثناء الحج

قارئة من الدار البيضاء بالمغرب تسأل ، خرج والدي للحج أول مرة وكان كثيرا ما يطلب الموت في المدينة المنورة واستجاب الله دعاءه وجاءه الأجل في المدينة فهل له ثواب الحج وهل سقط عنه الحج أم أحج عنه ؟

والدك رحمه الله تعالى ان كان قد أدى أعمال الحج وكانت الزيارة بعد الحج فقد ادى الحج ، ولا يلزم أن تحجي عنه ، أما إذا كانت الوفاة في المدينة قبل اداء فريضة الحج ، يعني ذهب للزيارة اولا كما هو المفهوم من السؤال فلا يكون قد أدى فريضة الحج لانه لم يسع ولم يطف ولم يقف بعرفة ولم يؤد اركان الحج وبهذا لا يعتبر قد حج ولكن له ثواب واجر قال تعالى : « **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** » والرسول صلى الله عليه وسلم قال : انما الأعمال بالنيات .. وما دام قد خرج ناويا أداء الفريضة فلا يحرم من ثواب هذه النية ان شاء الله ..

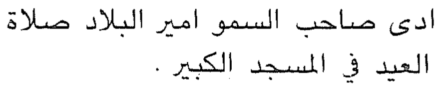
وبهذا ينبغي ان تحجي عنه ان كنت قد أديت الحج عن نفسك من قبل ، لأن من يحج عن الغير يشترط أن يكون قد حج هو عن نفسه والنبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة فقال له : أحججت عن نفسك ؟ قال لا : قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة . لك ان تحجي عنه إن سبق لك الحج وأن ترسلي من يحج عنه بالشرط المذكور . هذا بر واحسان وصلة للوالدين .

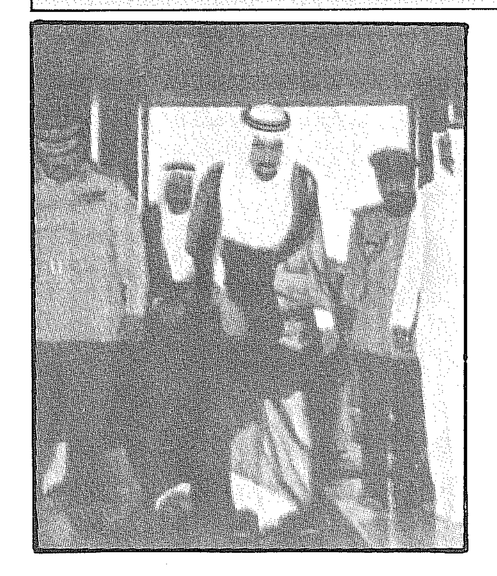
ولا تحزنوا لوفاته بالمدينة لما رواه الطبراني باسناد حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من استطاع منكم ان يموت في المدينة فليمت فإن من مات بها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة .

وقد سأل عمر رضي الله عنه ربه ان يموت بالمدينة فقد روى البخاري عن زيد بن اسلم عن أبيه ، ان عمر قال اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفعلا مات شهيدا في سبيل الله ودفن مع صاحبه ابي بكر رضي الله عنه بجوار المصطفى صلى الله عليه وسلم .

مع الصحافة

الكويت — افتتاح المسجد الكبير





ادى صاحب السمو امير البلاد صلاة العيد في المسجد الكبير .

وادى الصلاة بمعية سموه سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح والشيوخ ورئيس مجلس الامة احمد السعدون والوزراء والنواب وكبار رجالات الدولة وجمع غفير من المواطنين .

وبعد انتهاء شعائر الصلاة انتقل سموه ومرافقوه الى قصر السيف حيث استقبل المهنئين بالعيد السعيد . وقد ترافدت جموع كثيرة من المواطنين لتقديم التهنئة لسموه وسمو ولي العهد حيث تجلت روح الاسرة الواحدة بتكاتفها وتراحمها في صبيحة هذا اليوم الكريم . ثم توجه سمو الامير جريا على عادة سموه في كل عيد بزيارة عدد من مناطق العاصمة لرد التهاني بالعيد السعيد .

هذا وكان في استقبال سمو الامير وسمو ولي عهده سعادة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية وكبار المسئولين بالوزارة .

وقد استقبل سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح المهنئين من المسؤولين والمواطنين في قصر الشعب صبيحة يوم العيد . وقد توافد عدد كبير من المواطنين لتقديم التهاني معبرين عن فرحتهم بهذا اليوم ومؤكدين ولاءهم للكويت وقادتها الابرار .

السعودية — ١٥٠٠ مرشد يعملون داخل الحرم المكي

قامت الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين بتعيين الف وخمسمائة مراقب ومرشد للعمل المؤقت خلال الحج وذلك لتوجيه وارشاد الزوار والمعتمرين .

وذكر نائب الرئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين الشيخ عبدالله بن سليمان بن عبيد أن الرئاسة قامت بتأمين خمسة الاف خزان متنقل لمياه زمزم المبردة منها الفان حول صحن المطاف وثلاثة الاف موزعة على كافة ارجاء الحرم بالاضافة على تجهيز خمسة وثلاثين مجمعا لمياه زمزم موزعة على ادوار الحرم . كما ان هناك ثلاثة مجمعات لمياه زمزم خارج الحرم لتعبئة الجوالين الخاصة بالمواطنين والمقيمين كما خصص سبيل المغفور له الملك عبدالعزيز لتعبئة الجوالين والوايتات لتوزيع ماء زمزم في الاحياء والقرى التابعة لمكة المكرمة وما حولها كما تقوم الرئاسة خلال شهر رمضان المبارك بتزويد المسجد النبوي الشريف بماء زمزم حيث ينقل اليه خمسون طنا يوميا .

واضاف بأن الرئاسة قامت بتهيئة سطح الحرم المكي الشريف بعد تسويته لاداء الصلاة فيه تخفيفا من ازدحام المصلين داخل الحرم المكي الشريف .

المدينة المنورة تستعد لاستقبال الحجاج

عقدت لجنة الحج الفرعية بالمدينة المنورة اجتماعا برئاسة الامير عبدالمجيد ابن عبدالعزيز امير منطقة المدينة المنورة ورئيس لجنة الحج الفرعية وضم الاجتماع الادارات ذات العلاقة باعمال الحج .

ويأتي هذا الاجتماع امتدادا للاجتماعات السابقة وذلك بهدف الوقوف على سلبيات موسم الحج الماضي لكل ادارة كما تم خلال الاجتماع ايجاد الحلول المناسبة لتلافي تلك السلبيات بما يحقق تقديم افضل الخدمات لضيوف الرحمن الى جانب مناقشة عدد من الموضوعات منها تشكيل لجنة عامة من الادارات المختصة تندمج فيها اللجان العاملة وذلك لمراقبة إسكان الحجاج وعدم افتراشهم للشوارع والارصفة الى جانب مراقبة الاجانب مزاولة التجارة وبخاصة على الارصفة خلال موسم الحج لما لها من اثار سلبية .. كما نظر المجتمعون في نقل مقر استقبال الحجاج السابق الى مقر مناسب ومجهز بالمظلات والمرافق العامة لضمان راحة الحجاج .

كما اتخذت اللجنة الترتيبات اللازمة بمنع الأشخاص الذين يقومون بإسكان الحجاج بدون تصاريح ومعاقبة من يضبط بذلك . وفي نهاية الأجتماع أكد الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة على اهتمامات الحكومة بتقديم كافة الخدمات لحجاج بيت الله الحرام بما يكفل راحتهم وأداء فريضتهم وبكل يسر .. كما حث الادارات ذات العلاقة بمتابعة الأعمال واللجان بما يعطي العمل الجدوى المطلوبة .. وقد حضر الاجتماع وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة سعد الناصر السديري وأمين المدينة المنورة المهندس عمر قاضي ومدير شرطة منطقة المدينة المنورة اللواء حمد العريفي .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥).

★ السعودية : جدة ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق ـ جدة ٢١٤١٣ ص.ب : ٩٤٠٩ ـ تلفون ٦٦٩٥٠٠٠ .

الرياض ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق .

الخبر ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق .

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

○ الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



محتويات العدد

مطابع دار السياسة ـ الكويت